قادة الفتح الإسلامي

قادة فتح الشام ومصر

تأليف
اللواء الركن
محمود شيت خطاب
عضو المجمع العلمي العراقي

الناشر
دار الفتح - بيروت

قادة فتح الشام ومصر

الطبعة الأولى
١٣٨٥ هـ — ١٩٦٥ م

بسم الله الرحمن الرحيم

" إذا جاءَ نصرُ اللهِ والفتحُ ، ورأيتَ الناسَ يدخلونَ في دينِ اللهِ أفواجاً ، فسبِّحْ بحمدِ ربِّكَ واستغفرْهُ ، إنَّهُ كانَ توّاباً "

(القرآن الكريم)
سورة النصر

الإهداء

إلى أول من بعث الجيوش لفتح الشام تنفيذاً لمخططات الرسول القائد (عليه أفضل الصلاة والسلام) في الفتح؛

إلى ثاني اثنين إذ هما في الغار؛

إلى الصدّيق أبي بكر رضي الله عنه؛

أُهدي سير بعض قادته الذين جاهدوا تحت لواء الإسلام لتكون كلمة الله هي العليا.

محمود شيت خطّاب

الرُّوم

في أرض الشّام وَمِصر وليبيا

قُبَيل الفَتح الإسلامي وَفي أيّامِه

« ألم ، غُلبت الروم ، في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون . في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ، ويومئذ يفرح المؤمنون : بنصر الله »

(القرآن الكريم)

المقدمة

- ١ -

تحتل (أرض الشام) [١] مكانة فريدة في تاريخ العالم، وقد كان لها فضل في رقي العالم من الناحيتين الفكرية والروحية أجلّ شأناً من فضل أي بلد آخر [٢].

وتاريخ أرض الشام قبل الإسلام يمكن تقسيمه الى: عصر ما قبل التاريخ، ثم الدور السامي الذي بدأ بالأموريين (حوالي ٢٥٠٠ ق. م) وانتهى بسقوط الامبراطورية البابلية الجديدة أو (الكلدانية) في (٥٣٨ ق. م)، وتتبعه سيادة الفرس، ثم العصر اليوناني الروماني الذي بدأ بفتوح الاسكندر الكبير في (٣٣٣ ق. م) وانتهى بالفتح الاسلامي في (٦٣٣ - ٦٤٠ م) [٣].

---

(١) أرض الشام: غربيها بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط)، وشرقيها البادية من (أيلة) الى الفرات ثم من الفرات الى حد الروم، وشماليها بلاد الروم وجنوبيها حد مصر وتيه بني اسرائيل. أنظر التفاصيل في المسالك والممالك ص (٤٣)، وأرض الشام تشتمل على سورية ولبنان وفلسطين وشرقي الأردن في الوقت الحاضر.

(٢) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (١/٤).

(٣) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (١/٦١).

وقد شهدت (أرض الشام) قبل ظهور الإسلام وانتشاره ثلاث دول عربية هي : دولة الأنباط في الجنوب ودولة (تدمر) في الشمال ودولة الغساسنة بينهما [٤] .

ولسنا بصدد ذكر تاريخ الروم[٥] في أرض الشام ومصر وليبيا ، إذ ليس هناك مجال لبحث ذلك في هذه المقدمة ، ولكننا سنقتصر على ذكر أوضاع الروم التي كانت سائدة في تلك البلاد قبل الفتح الاسلامي وفي أيامه ، لإعطاء (فكرة) واضحة عن حالتهم السياسية والإجتماعية والعسكرية حينذاك .

- ٢ -

استهل القرن السابع الميلادي سنواته الاولى بنشوب صراع عنيف بين أعظم قوتين في العالم يومذاك : دولة الفرس ودولة الروم ، وبلغ ذروته عندما تولى الامبراطور (هرقل) العرش سنة (٦١٠ م) ؛ وكان سبب تلك الحروب أطماع أكاسرة الفرس التوسعية التي ساعد على إذكاء أوراها ما ساد دولة الروم من اضطراب وما تفشى فيها من حوادث القتل والدس والمؤامرات .

---

(٤) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (٤١٧/١) .

(٥) تأسست روما سنة (٧٥٣) قبل الميلاد وتأسست معها الدولة الرومانية، وظلت روما عاصمة تلك الدولة عشرة قرون ونصف قرن، وقد فتحت العالم المعمور يومئذ كله. وفي سنة (٣٢١م) نقلت العاصمة الى بيزانتيوم وانتقل اليها قسطنطين الكبير وسماها : (القسطنطينية) وهو اسمها الى اليوم . وبعد وفاته سنة (٣٣٧) للميلاد اقتسم المملكة أولاده الثلاثة . وبعد مدة إنفصلت المملكة الرومانية الى مملكتين إحداهما شرقية عاصمتها القسطنطينية والاخرى غربية عاصمتها روما .

وكانت حدود المملكة الشرقية في القرن الخامس للميلاد تنتهي في الغرب بالبحر الأدرياتيكي، وفي الشرق بضفاف دجلة، وتمتد حدودها الشمالية الى أعالي بلاد التتر ، وتنتهي في الجنوب الى بلاد الحبشة .

كانت الحرب الدائرة بين هاتين الدولتين قد نشبت قبل اعتلاء (هرقل) الذي عاصر النبي صلى الله عليه وسلم عرش الروم ، فأوغلت جيوش الفرس في بعض أقاليم آسيا الصغرى حتى وصلت الى مشارف القسطنطينية على الشاطىء الآسيوي ، كما وصلت قوات فارسية أخرى الى أرجاء الشام سنة (٦٠٧ م) .

واستمر زخم زحف التيار الفارسي في تقدمه عندما تقلد (هرقل) منصب الامبراطور على الدولة الرومانية الشرقية ، إذ استولى الفرس على (إرمينية) سنة (٦١١ م) وتقدمت جيوشهم الى (حمص) فاستولت عليها في تلك السنة أيضاً .

ورأى (هرقل) أن الأمر يحتاج إلى إعداد وتطهير أجهزة جيوشه قبل مواجهة الفرس ، فأدخل تغييراً جذرياً في قادة جيوش الروم في الميدان الفارسي ، وأخذ يعدّ الجيوش لملاقاة الفرس في جبهتين ، إذ بعث جيشاً الى (إرمينية) ، على حين نصب نفسه قائداً عاماً لجيوش الميدان الثاني في أرض الشام ؛ ولكن الجيوش الفارسية لم تقف ساكنة فزحف كسرى (برويز) بجنده على سورية سنة (٦١٤ م) ففتحها واستولى على (إنطاكية) و (دمشق) وبيت (المقدس) ومدن أخرى من سورية وفلسطين ، ثم أباح لجنده نهب (اورشليم) فنهبوها وأحرقوا القبر المقدس وكنيسة القيامة وسلبوا خزائنها وحملوا بطريركها والصليب الحقيقي الى بلادهم وواصلوا القتل والنهب في أرض الشام الى سنة (٦١٤ م)[٦] .

وفي سنة (٦١٩ م) غدا الفرس سادة بحر الشام وأكملوا سيطرتهم على مياه البحر الأبيض المتوسط باستيلائهم على مصر ، ولم تقف اطماعهم الى هذا الحد بل هاجموا القسطنطينية فأنقذتها منعتها الطبيعية وموقعها

---

(٦) انظر الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ص (٣١-٣٢) الطبعة الثانية ، والتمدن الاسلامي (٣٩/١) الطبعة الثانية .

الجغرافي المنيع من التردي في أيدي الفرس [٧] .

ولكن اتساع الخطر الفارسي وابتلاعه ولايات الروم الكبرى وتهديده للقسطنطينية نفسها أثار شعور الروم وامتلأوا حماسة للدفاع عن كيانهم . ووقفت الكنيسة على رأس هذه الحركة تشد أزر الأمبراطور لتخليص الأراضي المقدسة من أيدي الفرس وأضفت على مشروعات (هرقل) الحربية صبغة دينية ؛ وضربت الكنيسة مثلاً عملياً على تعضيدها لـ (هرقل) بأن قدّمت له كل ما لديها من ذهب وفضة ليسكها نقوداً على أن يتعهد بردها فيما بعد ؛ وهكذا وقفت الكنيسة والدولة صفاً واحداً في سبيل تخليص بيت المقدس وتخليص صليب الصلبوت ؛ وانكب (هرقل) على إعداد خطته الحربية التي انتهى منها سنة (٦٢١ م) [٨] .

وقضى هرقل ثلاث سنين متوالية حتى أوغل في بلاد الفرس واضطر (برويز) أن يسحب جنده للدفاع عن قلب مملكته .

وفي سنة (٦٢٧ م) حارب (هرقل) الفرس مرة أخرى ، فأجهز على قواتهم وبلغت جنود الروم الى (نينوى) عاصمة الآشوريين القديمة ، وهي أول مرة وطىء الروم تلك المدينة ؛ وكان (برويز) قد أصبح شيخاً طاعناً في السن ، فأوصى بالملك لإبنه (مردانشاه) ، وكان له ابن آخر اسمه (شيرويه) حسد أخاه وعمد الى الكيد به وبأبيه ، فاستعان ببعض الناس حتى قبض على من بقي من أولاد (برويز) وهم ثمانية عشر ولداً ، فقتلهم جميعاً بين يدي أبيه ، وزجّ أباه بالسجن حتى مات .

وبموت كسرى (برويز) إنقضى مجد الدولة الساسانية ، ولم يعش ابنه (شيرويه) بعده إلا ستة أشهر ، فأصبحت حكومة الفرس فوضى ، وادعى المُلك تسعة ملوك خلال أربع سنوات ، فساد الفساد والفوضى وتمكن الاختلال

---

(٧) الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ص (٣٢) .

(٨) الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ص (٣٢-٣٣) .

فيها ، فجاءها المسلمون وهي في تلك الحال[٩] ..

لقد ظفر (هرقل) على الفرس سنة (٦٢٨ م) في حرب تخللتها عدة انتكاسات ، فاستعاد أرض الشام بعد أن كانت في أيدي الفرس وبعد أن كان (خسرو الثاني) قد اجتاحها سنة (٦١١–٦١٤ م) ، وفي ١٤ أيلول سنة (٦٢٩ م) أعاد امبراطور بيزنطية الظافر الصليب الأعظم الى القدس فنادوا به محرراً للمسيحية ومعيداً لمجد الامبراطورية الرومانية الشرقية[١٠] .

-٣-

خرج (هرقل) من الحروب الفارسية شديد الاعتداد بنفسه ، يؤمن بأنه قدير على حل المشاكل المذهبية المزمنة التي بلغت ذروة تعقدها في عهده ؛ فأقبل بكليته بعد انتصاره في الحروب الفارسية على إنهاء الخلافات المذهبية التي تفشّت في أقاليم دولته[١١] .

كان الامبراطور وأهل دولته يقولون : إن للمسيح طبيعتين ومشيئتين ، وأما رعيته في مصر و (أرض الشام) ، فكان أكثرهم يقولون بطبيعة واحدة ومشيئة واحدة وهم اليعاقبة . وفي أيام (هرقل) سعى البطريرك (أثناسيوس) بطريرك اليعاقبة في (منبج) في التوفيق بين الطائفتين ، فخاطب الامبراطور في ذلك وذهب مذهباً متوسطاً بين القولين ، وهو أن للمسيح طبيعتين ومشيئة واحدة ؛ فوافقه الامبراطور واستمهله ريثما يخابر البطريرك القسطنطيني (بيروس) وهو سوري الأصل . وكان (اثناسيوس) قد اتفق معه على ذلك قبل مخاطبة الأمبراطور ، فنشر بهذا المعتقد منشوراً قَبِل به أكثر الأساقفة الشرقيين إلا (صفرونيوس) البطريرك

---

(٩) التمدن الاسلامي (٤١/١) وانظر كتاب : قادق فتح بلاد فارس ص (٦٠) .

(١٠) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين (٣/٢) .

(١١) الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ص (٣٥) .

الأورشليمي وبعضَ الأساقفة وفي مقدمتهم أسقف (عمان) وسائر أهل الكنيسة الملكية ، فشق ذلك على الامبراطور وعمل على الانتقام من الذين لم يقبلوا بمنشوره وفيهم جانب عظيم من الروم ، فأصبح الانقسام مزدوجاً : الامبراطور والبطريرك القسطنطيني والاسكندري والانطاكي حزب يقول بطبيعتين ومشيئة واحدة ، واليعاقبة ومنهم الأقباط وأهل (حوران) وسائر أهل سورية الداخلية حزب آخر (١٢) الخ ..

لقد اعتقد (هرقل) ان الخطوة التي أقدم عليها كفيلة بحل المسألة الدينية المزمنة المعقدة التي عانت منها دولة الروم كثيراً ، فقد داعبه الأمل في قبول رعاياه لمذهبه الجديد لأنه محاولة للتوفيق وفيه من الآراء والعقائد ما يقبله كل من الفريقين المختلفين ، فأخذ يدعو الى مذهب (التوحيد) ، وبعث رسله الى سائر أقطار دولته لتفهيم الناس حقيقة الوضع الديني الجديد وحثّهم على قبوله . غير أن هذا المذهب جاء بنتيجة على غير ما يهوى (هرقل) ، إذ قال المعاصرون سواء كانوا من الملكانيين أو من أصحاب الطبيعة الواحدة (الذين أطلق عليهم أيضاً اسم اليعاقبة نسبة الى زعيمهم يعقوب براديوس) : إن الامبراطور ما أراد بهذا المذهب إلا ليضلّ الكثيرين ، ورفض كل منهما التخلي عن مذهبه واتِّباع مذهب ثالث يعدونه زيفاً وبهتاناً . واشتدت المعارضة لهذا المذهب ولا سيما في مصر ، حيث لجأ (قيرس Cyrus) وهو (المقوقس) المبعوث الامبراطوري هناك لحلِ المسألة المذهبية الى العنف وجميع وسائل التعذيب لحمل الناس على اتِّباع المذهب الجديد ، فاضطر البطريرك القبطي (بنيامين) الى الهرب والقيام بحركة سرية ، فأصبح فرار هذا البطريرك ايذاناً باندلاع حركة مقاومة في البلاد ، وغدا القبط يتمنّون زوال الامبراطورية والامبراطور صاحب المذهب الجديد (١٣) .

---

(١٢) التمدن الاسلامي (١/٤١-٤٢) .

(١٣) الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ص (٣٩-٤٠) .

وكان لهذه الانقسامات تأثير شديد في السياسة ، لاختلاط السياسة عندهم بالدين ، حتى آل ذلك أحياناً الى خروج أمم بأسرها من حوزة الروم الى الفرس ، كما حصل بالأرمن مثلاً ؛ فقد شدّد الامبراطور النكير عليهم لتمسكهم بعقيدتهم وعدم رضوخهم لعقيدته ، فأفضت بهم الحال الى تسليم بلادهم الى الفرس (١٤) .

– ٤ –

كيف كانت الحالة الاجتماعية في أرض الشام ومصر وليبيا ؟

كان الرومان في أرض الشام وغيرها يعدّون البلاد وأهلها (وهم العامة) ملكاً لهم يتصرفون بهم كيف شاءوا ، وكان الفلاحون في كثير من البلاد يُعدّون من توابع العقار فينقل العقار من مالك الى آخر وفلاحوه معه ، وكان بعض سكان البلاد يحاولون التقرب الى الروم بالصناعة أو الأدب أو التجارة وهم قليلون ؛ فكان الناس طبقتين : طبقة الخاصة وهم الملك وأهله وأعوانه ورجال الدين ، والعامة وهم أهل البلاد الأصليون وأكثرهم الفلاحون والعمال .

وكان (الخاصة) من أهل (أرض الشام) في العصر الروماني هم البطارقة ، (والبطريق غير البطريرك) ، وكان البطارقة عند الرومانيين جماعة من أشراف المملكة الرومانية نشأوا مع مدينة روما وكان لهم نفوذ عظيم في الدولة الرومانية فانحط شأنهم بعد انقسامها الى شرقية وغربية ولم يبق لهم عمل ؛ فلما امتدّت سطوة الروم الى المشرق عهدوا بحكم تلك البلاد الى البطارقة وولّوهم حكم المستعمرات الشرقية ومنها الشام ومصر ، فكانت (أرض الشام) ولاية واحدة تقسم إلى إحدى عشر إقليماً على كل إقليم

---

(١٤) التمدن الاسلامي (١/ ٤٢) .

(بطريق) معه الجند كأنه حاكم مستقل[١٥] .

وكان في (أرض الشام) عند ظهور الإسلام بقايا الآراميين الأصليين وهم السريان في الشمال والشرق ، واليهود والسامريون في الجنوب ، وبقايا الأنباط في الغرب والغساسنة ، يتخلّل هذا المجموع شتات من أمم أخرى ، كالجراجمة في جبل (اللكام[١٥ أ] وأخلاط من مولدي اليونان والرومان على الشواطىء ، وكانت جامعة الدين قد تغلّبت على جامعة النسب أو الجنس او اللغة ، فأصبحت الطوائف تنسب الى مذاهبها الدينية كاليهود والنصارى والسامريين ، وينقسم النصارى الى ملكيين ويعاقبة ونساطرة وموارنة وغيرهم ، وكانت الديانة والسياسة مرتبطتين، والحزب الديني عبارة عن حزب سياسي يستخدم في تأييد الدولة ، وكانت كنيسة أم الكنائس في المشرق ، وشعوب تلك الكنائس تنقاد الى تلك الكنيسة لتأييد سلطة القيصر صاحب العرش فيها[١٦] .

أما سكان مصر ، فكانوا أقل اختلاطاً من سكان أرض الشام والعراق ، ومع ذلك فقد توالت الهجرة إليها من أقدم أزمنة التاريخ قبل زمن الفراعنة . والفراعنة أكثرهم من الفاتحين الغرباء ، فكانوا إذا احتلوا مصر واستقام لهم الأمر فيها ، هاجر اليها أهل عصبيتهم لاستثمار ذلك الاحتلال ، فيأتون عازمين أن تكون إقامتهم في مصر وقتية ريثما يجتمع لهم المال ، ولكن أكثرهم لا يرجعون الى مناطقهم الأصلية فلا تمضي بضعة أجيال عليهم حتى يختلطوا بالسكان ويصيروا جزءاً منهم كما حدث في زمن (الرعاة[١٦ أ] والفرس واليونان والرومان وغيرهم ممن احتلوا مصر قبل الأسلام .

---

(١٥) التمدن الاسلامي (٥/١٢-١٣) .

(١٥ أ) اللكام : جبل لبنان .

(١٦) التمدن الاسلامي (٥/١٢) .

(١٦ أ) الرعاة : هم الهيكسوس .

وكان المحتلّون يترفّعون غالباً عن الإختلاط بسائر أفراد الشعب ، فيكون منهم الجند ورجال الدولة والكهنة ونحوهم من أهل السيادة ، ويجعلون مقامهم في المدن الكبرى ، ويبقى للشعب الفلاحة والصناعة والخدمة .

لقد حكم البطالسة مصر نحو ثلاثمائة سنة، وتقاطر اليونان في أيامهم بكثرة ، وكانوا يقيمون في الإسكندرية أو غيرها من العواصم ، وكان أكثرهم من التجار والجند ورجال الدولة . كذلك كان شأن الرومان ، فإنهم تولّوا وادي النيل ستة قرون، والروماني يمتاز عن المصري لغةً ومذهباً وخلقاً، وكانوا يقيمون في المعاقل والحصون والمدن الكبرى كما كان حالهم في (أرض الشام) .

ولما ظهر الإسلام ، كان سكان مصر طبقتين : الرومان أو الروم وعاصمتهم الاسكندرية ، ومنهم رجال الدين ؛ والسكان وهم الأقباط الأصليون يخالطهم بعض المولودين من اليونان والرومان وغيرهم من النازحين للتجارة أو الخدمة أو غيرهما من أهل الشام واليمن والعراق والنوبة وإفريقية ؛ وكان بين الحكومة والأهالي فاصل آخر مذهبي ، فكان الروم على مذهب الملك وهم الملكيون ، وكان الأقباط على مذهب يعقوب البراذعي وهم اليعاقبة (١٧) .

أما ليبيا فقد انتشرت فيها النصرانية خلال القرن الثاني للميلاد على يد رهبان أتوا اليها من مصر ، ومع أنها لاقت قبولاً طيباً فقد كان انتشارها محدوداً ، وأخذ الرهبان ينتشرون بين البربر ، فكانت المسيحية بذلك سبيلاً للاتصال بين الرومان والسكّان الأصليين (١٨) ، وقد استمرت النصرانية في ليبيا حتى بعد زوال الحكم البيزنطي (١٩) .

وبعد ان فتح الروم ليبيا ، ومع طول الزمن وتعاقب السنين ، اندمج

---

(١٧) التمدن الاسلامي (٥/١٣-١٤) .
(١٨) ليبيا بين الماضي والحاضر ص (٩٤) وانظر تفاصيل ذلك في مقدمة قادة فتح المغرب .
(١٩) ليبيا من الاستعمار الإيطالي الى الاستقلال ص (٢٧) .

سكانها الأصليون من البربر بالروم ونسي بعضهم قوميتهم وعاداتهم وأصبحوا روماً في كل مقومات الحياة حتى زالت الفوارق بينهم وبين الروم ؛ وبهذا الاندماج أمكنهم أن يتولّوا أكبر المناصب في الدولة . وكان هذا الاندماج في بربر السواحل وما قاربها . أما البربر الذين يسكنون الجبال وما وراءها فقد احتفظوا بقوميتهم وعاداتهم ولم يتأثروا بعادات الروم ، ولذلك نراهم كثيراً ما قاوموا الروم وحاولوا إجلاءهم عن وطنهم ، ولم يتركوا فرصة للثورة إلا ثاروا عليهم للتخلص من حكمهم [٢٠] .

لقد كان معظم سكان البلاد الاصليين من البربر ، يعتصمون بالجبال دأبهم النهب والسلب ، وقد وجد الرومان أهل تلك البلاد طبقتين : أحدهما حضرية تستوطن السواحل يتعاطون التجارة والصناعة ، والأخرى تسكن الجبال والبادية . وكان سكان ليبيا عند الفتح الاسلامي طبقتين أيضاً : الأولى أهل المدن وهم الموريتانيون ومن اختلط بهم من الأمم الفاتحة من الروم والفندال ، وقد اعتنقوا المسيحية وتحضّروا ؛ والثانية النوميديون الذين يسميهم العرب : قبائل البربر ، وهم لا يزالون على بداوتهم وظلّوا ممتنعين في جبالهم [٢١] الى الفتح الاسلامي حيث اعتنقوا الاسلام .

- ٥ -
كيف كان جيش الروم قبيل الفتح الإسلامي ؟

لقد تطوّر جيش الروم بالتدريج أسوة بالجيوش العالمية الأخرى ، فقد كان الناس في أوائل أدوار تمدنهم قبائل يدافع عنها القادرون على حمل السلاح من رجالها ، فاذا تهدّد القبيلة خطر عسكري اجتمع رجالها بلا ترتيب

(٢٠) تاريخ الفتح العربي في ليبيا ص (١٨) .
(٢١) تاريخ التمدن الاسلامي (١٤/٥-١٥).

ولا نظام .. ثم ينال كل واحد من الغنيمة ما يستطيع الحصول عليه بنسبة شجاعته وقوة شكيمته ، فلما تحضّر الناس وتقاسموا الأعمال ونشأت الدول كان من أقدم المهن عندهم الكهانة والجندية .

وأول دولة نظّمت الجند هي الدولة الفرعونية في مصر ، فقد جنّدت جنداً من الزنوج والأحباش حوالي القرن العشرين قبل الميلاد ، أخضعت بهم سكّان سواحل البحر الأحمر ؛ ثم انتشر أمر التجنيد في الدول القديمة : الآشورية والبابلية والفينيقية واليونانية والرومانية والفارسية ...

لقد كان الفراعنة أسبق الأمم الى تنظيم الجند ، وكان نظامه عندهم هو نظام الصفوف المتعاقبة المتراصة ، والمشهور أن (رعمسيس) الثاني هو منظم الجند المصري على النظام المعروف .

أما اليونان ، فقد اقتبسوا نظام الجند المصري ونوّعوه ، فأنشأوا الكتائب وهو أن تتراص الجنود صفوفاً متعاقبة ، وكانت الكتيبة تتألف من أربعة آلاف رجل يصطف رجالها الواحد بجانب الآخر على بضعة أقدام في صفوف متعاقبة الواحد وراء الآخر ، فجعلها (فيليب المقدوني) ضعفي ذلك ، ثم جعلها ابنه الاسكندر أربعة أضعافه وقارب ما بين الرجال حتى كادت تتماس أكتافهم وتترابط تروسهم ، واصطنع لهم رماحاً طول بعضها أربعة وعشرين قدماً . وفي هذا النظام تكون رماح الصف الأمامي قصيرة ، ورماح ما وراءه أطول فأطول حتى تبرز رماح الصف الخامس ثلاثة أقدام نحو الأمام ؛ وكان فيليب قد نظّم فرقة من الفرسان ، فأضاف ابنه الاسكندر اليها آلات الحرب ومن جملتها المنجنيق ، وبهذا النظام تغلّب الاسكندر على العالم في القرن الرابع قبل الميلاد .

فلما نشأت دولة الروم ، اقتبست نظام الكتائب عن اليونان وأدخلته في جندها ، وكان الجيش الروماني في إبان الدولة مؤلفاً من فرق ، عدد رجال كل منها ستة آلاف رجل تتألف من ثلاث طبقات من المقاتلين : الشباب

ومنهم يتألف الصف الأول من الكتيبة في الحرب ، والكهول في الصف الثاني ، وأهل الدربة والحنكة ويتألف منهم الصف الثالث ، وكان يُلحق بكل فرقة عندهم كوكبة فرسان تتقلد السهام والمقاليع والمزاريق لمشاغلة الأعداء في حرب المشاة ولاجراء الاستطلاع قبل الاصطدام .

ثم قسّم الروم الفرق الى كراديس بلا تقييد بالصف ، فجعلوا الفرقة عشرة كراديس ، كل كردوس ثلاثة أقسام ، كل قسم فصيلتان عدد رجال كل منهما مائة رجل ... وهذا النظام يخالف نظام الكتائب المتقدم ذكره ، وذلك بأن لا يتقيد الجند بصف واحد أو كتيبة واحدة ، بل يكون تنظيم كل كتيبة مؤلفاً من كراديس ، وقد ظل نظام جند الروم في حروبه على هذه الصورة الى الفتح الاسلامي .

ولما ظهر الاسلام ، كانت جنود الروم يقود كل عشرة آلاف منها قائد يغلب أن يكون بطريقاً [٢٢] وبإمرة البطريق ضابطان يسمى كل منهما (طومرخان) [٢٣] يتولى قيادة خمسة آلاف جندي ، وبأمر كل (طومرخان) خمسة ضباط مرؤوسين (طرنجارية [٢٤] Drungrû) كل واحد يقود الف رجل ، وبإمرة كل ضابط من هؤلاء خمسة ضباط مرؤوسين أيضاً (قومس [٢٥] Comes) يتولى كل واحد منهم قيادة مائتي جندي ، وبإمرة كل ضابط من هؤلاء ضباط صف (قمطرح [٢٦] Cemturiones) وبإمرة كل واحد منهم عشرة رجال [٢٧] .

لقد كان الجيش الروماني مرتكزاً على الحكم الاقطاعي ، وذلك أن

---

(٢٢) يشابه قائد فرقة في الوقت الحاضر ، والبطريق أحد أشراف روما كما ذكرنا سابقاً .

(٢٣) يشابه آمر لواء في الوقت الحاضر .

(٢٤) يشابه آمر فوج في الوقت الحاضر .

(٢٥) يشابه آمر سرية في الوقت الحاضر .

(٢٦) يشابه آمري الحضائر في الوقت الحاضر .

(٢٧) انظر التمدن الاسلامي (١/ ١٤١-١٤٣) .

كل بطريق (نبيل) يعد قائداً لجماعته ، وكان هؤلاء النبلاء يمنحون الأراضي والعقارات الشاسعة للقيام باعاشة أتباعهم ، وقد أدى ذلك الى حدوث حروب داخلية بين النبلاء خاصة عندما تضعف الحكومة المركزية في القسطنطينية، فقد كان كل نبيل يطمع في توسيع ملكه وسلطته على حساب غيره من النبلاء ، بل كان بعض النبلاء ينقضّون حتى على الحكومة المركزية في بعض الأحيان [٢٨] .

ويؤخذ من رسالة (فجيتيوس Vegetius) في علم الحرب ، أن نظام الجيش الروماني في الغرب والشرق كان قد تعاوره الخلل قبل ظهور الاسلام بأكثر من قرنين ، فقد قال : « إن الجيش الروماني قد وهن واضمحل » ، ويذكر من أسباب وهنه واضمحلاله : « أن مناصبه الكبرى أصبحت تمنح للمحاباة والصنيعة بعد أن كانت وقفاً على الكفاءة والخدمة الطويلة ، وأن عامة جنوده يهربون منه ويؤثرون الخدمة في الفرق المتطوعة لأنهم يستثقلون تمريناته وأسلحته ويستقلّون جزاءه ويضيقون ذرعاً بوطأة نظامه[٢٩] » .

لقد استنفدت الحرب الفارسية قوى الجيش الروماني في المال وفي السلاح ، كما أهمل الروم إدامة حصونهم ، وأبطلوا الجراية التي كانت توزع على قبائل الحدود ، كما تضعضع الضبط داخل صفوف جيوش الروم وكثرة التمرد والفوضى [٣٠] .

- ٦ -

لقد كانت علل الفناء قد اصطلحت على بناء الدولة الرومانية الشرقية قبيل ظهور الاسلام وفي أيام النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت تلك الدولة تعيش في محنتين ماحقتين : محنة العقيدة ، ومحنة النزاع على الملك والولاية .

---

(٢٨) الرسول القائد ص (٤٦) الطبعة الثانية .

(٢٩) عبقرية خالد – عباس محمود العقاد ص (١٣٥–١٣٦) طبعة دار الهلال .

(٣٠) الروم (١/٢٤٨) .

فقد ضُرب المثل بالجدل البيزنطي في التاريخ القديم والحديث من جراء الخلاف على المذاهب الدينية في الدولة الرومانية الشرقية ، وكان معظم أبناء الولايات من النساطرة واليعاقبة يخالفون مذهب الدولة الرسمي ويمقتون رجاله ويرمونهم بالهرطقة والوثنية .

وابتذل عرش الملك بالقتل والاغتصاب ، فضعف الولاء له في نفوس الشعب وقادة الجيوش ، وقد استقر الأمر زمناً للقيصر (هرقل) الذي حضر عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنه شقي بالفتن في أخريات عهده ، وركبته الوساوس في شيخوخته ولا سيما بعد بنائه ببنت أخته ، فاعتقد أنه مغضوب عليه مستحق لعقاب السماء (٣١أ) .

وكان الذين لا يعتنقون المسيحية من رعايا الدولة الرومانية الشرقية كاليهود والوثنيين ساخطين ناقمين ، لأن رؤساء الكنيسة والدولة اتهموهم غير مرة بالتواطؤ على فتح البلاد مع المغيرين عليها من الفرس والبرابرة ، فأثخنوا فيهم قتلاً وتشريداً ، حتى قيل : إنهم كانوا يفتكون في المذبحة الواحدة بعشرات الألوف من الرجال والنساء والأطفال (٣١أ).

وكان رد الفعل في محنة العقيدة ومحنة اختلال الملك والسلطان ، ظاهراً غاية الظهور في الجيش الروماني : ارتباك في القيادة ، واضطراب في الأهداف ، وإخلال في الضبط ، وفساد في القضايا الادارية .

وفي تلك الأيام كان النبي الكريم صلوات الله وتسليمه عليه قد استطاع بفضل رسالته أن يخرج العرب من جاهليتهم التي جعلت دولة الروم تنظر اليهم دائماً على أنهم جنس قليل الخطورة ، متخبط في نظمه الجاهلية بما فيها من أحقاد وترات وغارات وطعان .

في تلك الايام ، أخذ يفوح شذا الدعوة الإسلامية بالكتب التي بعثها

(٣١أ) عبقرية خالد ص (١٣٤-١٣٥).

الرسول صلى الله عليه وسلم الى (هرقل) و (المقوقس) وغيرهما من قادة العالم، فلم تقدّر دولة الروم تلك الدعوة التي وصلتها، ولم تدرك ما انطوت عليه من عقيدة جديدة سوف تزلزل أركانها، كما لم تعر موطن العقيدة الإسلامية اهتماماً، لأنها لم تتصوّر أن بلاد العرب سوف تصبح بفضل تلك العقيدة الجديدة وحدة لها خطرها ونفوذها (٣٢).

ولكن الأسباب التي قضت على الروم بالهزيمة كائنة ما كانت، ليست هي الأسباب التي قضت للعرب بقيام دولة وانتشار عقيدة، لأنّ استحقاق أناس للزوال لا ينشيء لغيرهم حق الظهور والبقاء.

كذلك لم يكن انتصار العرب على الفرس والروم لأنهم عرب وكفى، فقد كان هناك عرب كثيرون انهزموا أمام المسلمين وهم أوفر في السلاح والعدد وأغنى بالخيل والابل والأموال، فهي نصرة عقيدة لا مراء!

ولكن القول بانتصار العقيدة هنا لا يغني عن كل قول، فالواقع أن الذين انتصروا بالعقيدة كانوا رجالاً أولي خبرة وقدرة يؤمنون بها ويعرفون كيف يتغلبون بها على اعدائها (٣٣).

والواقع إن الاسلام عقيدة منشئة بناءة ذاد عنها حماة قادرون، لذلك انتصر العرب المسلمون على الروم، ولم يكن انحلال الدولة الرومانية حينذاك إلا من عوامل اندحارهم وانتصار العرب عليهم، ولكن هذا الانحلال لم يكن هو العامل الوحيد لانتصار العرب على الروم.

وقد كان الرسول القائد على رأس الحماة القادرين الذين خطّطوا للفتح الاسلامي، فهو الذي رسم بنفسه الخطة التمهيدية التي حملت الجيوش العربية على فتح (أرض الشام) وتأسيس أول ركن في دولة الاسلام خارج بلادهم على شواطيء البحر الأبيض الشرقي؛ وذلك أن الرسول صلى الله

---

(٣٢) الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ص (٤٢).

(٣٣) عبقرية خالد (١٢٧–١٢٨) وانظر الفاروق القائد (١٨) الطبعة الأولى.

عليه وسلم الى جانب تبليغه الدعوة الاسلامية الى قادة العالم في وقته كان قائداً ماهراً يقظاً لا يغضّ الطرف عن أي مظهر عدواني قد يحطّ من شأن دعوته أو يعمل على النيل منها ، فلم يقف ساكناً إزاء استشهاد رسوله الذي بعثه الى أمير الغساسنة في (بُصْرى) ، فأرسل في السنة الثامنة للهجرة (٦٢٩ م) أحد قادته المقربين اليه وهو (زيد بن حارثة الكلبي) على رأس حملة عددها ثلاثة آلاف رجل الى الحدود الشمالية الغربية من بلاد العرب ، وهناك عند (مُؤْتَة) الواقعة على حدود (البَلْقَاء) الى الشرق من الطرف الجنوبي للبحر الميت التقى المسلمون بقوات الروم[٣٤] .

ومهما تكن الخاتمة التي لقيتها غزوة (موْتة) ، فان نتائجها وآثارها كانت بعيدة المدى ، فبينما رأى الروم في تلك الغزوة غارة من الغارات التي اعتاد البدو شنّها للنهب والسلب ، كانت غزوة زيد في الحقيقة غزوة من نوع جديد لم تقدّر دولة الروم أهميتها ، فهي حرب منظّمة كانت لها مهمة خاصة جعلت المسلمين يتطلّعون جِدّياً لفتح (أرض الشام) .

وفي العام التالي أي في السنة التاسعة للهجرة (٦٣٠ م) قاد النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه غزوة (تبوك) ، فأظهر قوة المسلمين وعاد الى المدينة .

وفي السنة الحادية عشرة للهجرة (٦٣٢ م) أعدّ النبي صلى الله عليه وسلم جيشاً بقيادة أسامة بن زيد لمهاجمة الروم ، غير أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي في ربيع الأول من تلك السنة (كانون أول ٦٣٢ م) قبل تحرّك ذلك الجيش ، فترك لخلفائه خطة واضحة المعالم ، وولّى وجوههم شطر قبلة عيّنها لهم ، وهكذا وقف الرسول القائد بثاقب نظره على أن أشد الأخطار التي يمكن أن تحلّ ببلاد العرب وتناوىء دعوته إنما موطنها (أرض الشام) حيث الروم وعمالهم الغساسنة ؛ وقد أثبتت حوادث الفتح الأسلامي في

---

(٣٤) انظر تفاصيل معركة موْتة في كتاب : الرسول القائد ص (٢٠٣-٢٠٧).

أراضي الروم صدق هذه الاشارة ، فكان الروم أشد المحاربين عناداً [٣٥] .

فماذا عمل أبو بكر رضي الله عنه لتحقيق أهداف النبي صلى الله عليه وسلم وكيف سار قُدُماً نحو إنجازها ؟

وماذا عمل عمر بن الخطاب ومن بعده عثمان بن عفان رضي الله عنهما لتحقيق تلك الأهداف ؟

ومن هم أولئك الحماة القادرون الذين حملوا رايات العرب والإسلام شرقاً وغرباً في (أرض الشام) ومصر وليبيا ؟ [٣٦]

ذلك ما ستقرأه وشيكاً في هذا الكتاب ؟

والحمد لله الذي حقّق لي أملاً من أعز آمالي وحلماً من أغلى أحلامي في نشر سِير قادة الفتح الاسلامي ، وأدعوه أن يعاونني على إكمال ما أصبو اليه من نشر تاريخ حياة قادة الفتح حتّى يشمل تاريخ الفاتحين الذين نشروا رايات العرب والاسلام في بلاد الفرس والروم وفي بلاد لم يدخلها الفرس والروم ، فكان هذا الفتح عجيبة من أعظم عجائب التاريخ لا يبرح المؤرخون حتّى أيامنا هذه يأتون في تعليلها كل يوم بعلل جديدة .

وصلى الله على القائد الذي أفنى عمره المبارك مجاهداً من أجل التوحيد ، وموحداً من أجل الجهاد .

ورضي الله عن خلفائه الراشدين وقادته الفاتحين الذين نفّذوا مخططاته وأهدافه في جمع الشمل ورصّ الصفوف ، وقضوا حياتهم المباركة في إعلاء كلمة الله ، واضعين نصب أعينهم : الجهاد من أجل التوحيد ، والتوحيد من أجل الجهاد .

---

(٣٥) الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ص (٤١) .

(٣٦) تفاصيل فتح ليبيا تقرؤها في كتابنا قادة فتح المغرب .

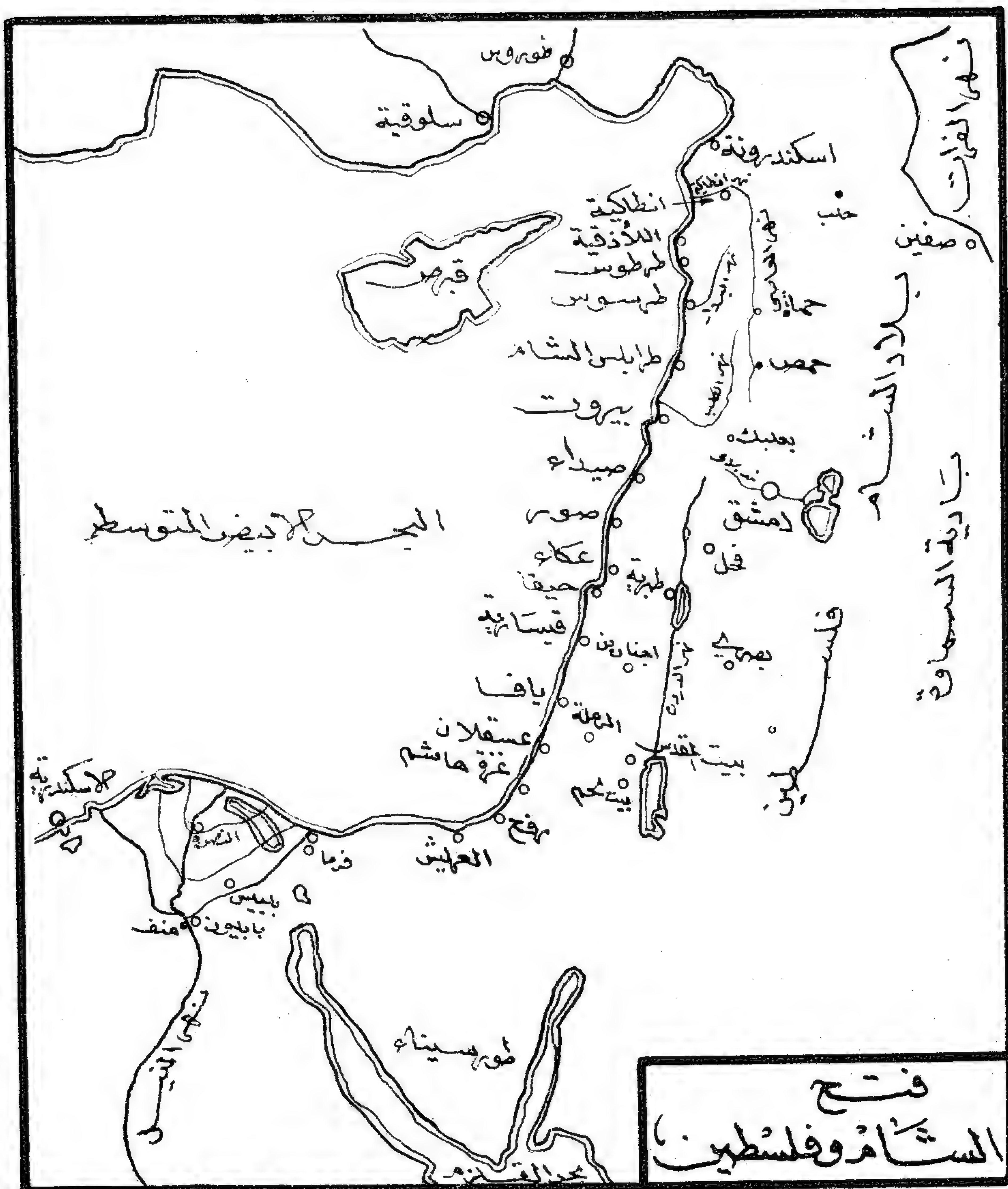
القَادَة العَامُّونَ

١ – أسامة بن زيد الكلبي .

٢ – خالد بن الوليد المخزومي[١] .

٣ – أبو عبيدة بن الجراح القرشي الفهري .

(١) راجع كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة ص (٤٧-٢٠٩) .


فتح
الشام وفلسطين
طوروس
سلوقية
اسكندرونة
انطاكية
حلب
اللاذقية
طرطوس
قبرص
حماة
طرابلس الشام
حمص
بيروت
بعلبك
صيداء
دمشق
صور
البحر الابيض المتوسط
عكاء
فحل
طبرية
حيفا
قيسارية
اجنادين
بصرى
يافا
الرملة
عسقلان
غزة هاشم
بيت المقدس
بيت لحم
رفح
العريش
فرما
بلبيس
بابليون
منف
الاسكندرية
نهر النيل
طور سيناء
صفين
نهر الفرات
بلاد الشام
بادية السماوة
فلسطين

أُسَامَة بن زَيْد الكلبي

القائد الذي هاجم الامبراطورية الرومانية وجرّأ العرب على مهاجمتها

« ما كنت لأحبي أحداً بالإمارة غير اسامة ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض وهو أمير » .

(عمر بن الخطاب)

عائلتـــه :

هو أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن عبد العزى الكلبي [1]. أبوه هو زيد بن حـــارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأمــه أم أيمــن حاضنة رسول الله ﷺ ، وكانت مولاة لأبيــه عبد الله بن عبد المطلب ، فلما توفي أصبحت ملكاً للرسول ﷺ ، فأعتقهارسول الله ﷺ وزوّجها زيد بن حارثة، فولدت له أُسامة ، وكان رسول الله ﷺ يقول : « أم أيمن أمي بعد أمي » [2] .

وتتلخّص قصة اتصال زيد بن حارثة بالرسول صلى الله عليه وسلم : أن سعدى أم زيد زارت قومها ومعها زيد ، فأغارت خيل لبني التين بن جسر في الجاهلية على أبيات بني معن قوم أم زيد ، فاحتملوا زيداً وهو

---

(١) طبقات ابن سعد (٤/٦٢) والاصابة (١/٢٩) واسد الغابة (١/٦٤) والاستيعاب (١/٧٥) وتهذيب ابن عساكر (٢/٣٩١) .

(٢) الاصابة (٨/٢١٢) .

غلام فأتوا به سوق عكاظ وعرضوه للبيع ، فاشتراه حكيم بن حزام لعمته خديجة بنت خويلد ، فلما تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبته لـه [٣] .

وأقبل موسم الحج ، فحجّ قوم من بني (كلب) ، فرأوا زيداً بمكة وعرفوه وعرفهم ، ولما غادروا مكة عائدين الى قومهم أخبروا أباه ، فخرج حارثة وأخوه كعب وقدما مكة . ودخلا على محمد بن عبد الله يسألانه : « يا ابن عبد المطلب ! يا ابن سيد قومه ! أنتم أهل حرم الله ، تفكّون العاني وتطعمون الأسير ... جئناك في ولدنا عندك ، فامنن علينا وأحسن في فدائه ، فاننا سنرفع لك في الفداء !! » قال محمد : « وما ذاك ؟ » ، فقالا : « زيد ابن حارثة ، » فقال لهما : « فهل لغير ذلك ؟ » قالا : « وما هو ؟ » ، قال « ادعوه فخيّروه ، فان اختاركم فهو لكم بغير فداء ، وإن اختارني فوالله ما أنا بالذي أختار على من اختارني أحداً !! » ، قالا : « قد زدتنا في النصف وأحسنت ! » .

وجاء زيد فعرف أباه وعمه ، فقال محمد يخاطبه : « فأنا من قد علمت ورأيت صحبتي لك ، فاخترني أو اخترهما » ، فقال زيد : « ما أنا بالذي أختار عليك أحداً ، أنت مني بمكان الأب والأم ! » ، فقال أبوه وعمه : « ويحك يا زيد ! أتختار العبودية على الحرية وعلى أبيك وعمك وأهـل بيتك ؟! » ، فقال لهما : « نعم ! إني قد رأيت من هذا الرجل شيئاً ما أنا بالذي أختار عليه أحداً أبداً » . فلما رأى محمد ذلك ، أخرجه الى الحجر في البيت الحرام ، فقال : « اشهدوا أنّ زيداً ابني أرثه ويرثني » ، فلما سمع ذلك أبوه وعمه ، طابت نفساهما وانصرفا ، فكان زيد يدعى : زيد بن محمد حتى جاء الاسلام [٤] ، وحتى نزلت الآية الكريمة : (أُدعوهم

---

(٣) الاصابة (٣/٢٥) .
(٤) اسد الغابة (٢/٢٢٥) .

لآبائهم) ،فأصبح زيد يدعى : زيد بن حارثة .

ولما نزلت رسالة السماء على محمد صلى الله عليه وسلم ، كان زيد أول من أسلم . ولما أذن الرسول صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى المدينة ، هاجر زيد اليها ، فآخى النبي صلى الله عليه وسلم بين حمزة سيد الشهداء وعم النبي وزيد بن حارثة ، ثم آخى بعد استشهاد حمزة في غزوة (أُحُد) بين زيد وبين أُسيد بن حضير .

ونشب القتال بين المسلمين والمشركين ــ وكان زيد من الرماة المذكورين والشجعان المعدودين ــ فشهد بدراً وأُحداً والخندق والحديبية ويوم حُنَيْن ، كما خرج زيد أميراً لسبع سرايا ، كما استخلفه الرسول صلى الله عليه وسلم على المدينة حين خروجه الى غزوة (المريسع) . قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : « ما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد ابن حارثة في سرية إلا أمّره عليهم ، ولو بقي بعده لاستخلفه [٥] » . وأراد الرسول صلى الله عليه وسلم غزو الروم ، فجمع ثلاثة آلاف من المسلمين وعقد لزيد وقدّمه على الأمراء الآخرين قائلاً : « عليكم زيد ابن حارثة ، فان أُصيب زيد فجعفر ، فعبد الله بن رواحة » [٦] .

واستشهد زيد في غزوة (مؤتة) بعد أن قاتل الروم قتال الأبطال ، فاستغفر له الرسول صلى الله عليه وسلم وبكاه .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول عن زيد : « وأيم الله ! إن كان لخليقاً للامارة وإن كان لمن أحب الناس اليّ » [٧] .

تلك هي عائلة أسامة : أبوه أقرب الناس الى قلب النبي الكريم ، وأمه

---

(٥) اسد الغابة (٢/٢٢٦) .

(٦) سيرة ابن هشام (٣/٤٢٧) .

(٧) فتح الباري بشرح البخاري (٧/٦٩) ، وانظر تفاصيل سيرة زيد بن حارثة في طبقات ابن سعد (٣/٤٠) والاصابة (٣/٢٤) واسد الغابة (٢/٢٣٤) والاستيعاب (٢/٥٤٢) .

أم النبي صلى الله عليه وسلم بعد أمه .

مع النبي :

عاش أسامة في كنف النبي صلى الله عليه وسلم وفي رعايته ، وكان الصحابة يطلقون عليه : حِبّ رسول الله وابن حِبّه . ويصف أسامة حب الرسول صلى الله عليه وسلم له بقوله : «كان يأخذني رسول الله والحسن ابن علي بن أبي طالب ، ثم يقول : ألّلهم أحبهما فاني أحبهما »[٨] . وبلغ حب النبي صلى الله عليه وسلم لأسامة ، أن كان يردفه وراءه مرات عديدة : دخل مكة يوم (الفتح) ورديفه أسامة ، فأناخ في ظل الكعبة ودخلها مع بلال وأسامة ، وشوهد أسامة وهو رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أفاض من عرفه[٩] .

ولم يجرؤ أحد أن يكلم النبي صلى الله عليه وسلم في قضية المخزومية التي سرقت غير أسامة . قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : «إنّ امرأة من بني مخزوم سرقت فقالوا : من يكلم فيها النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فلم يجترىء أحد أن يكلمه ، فكلّمه أسامة بن زيد ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «إنّ بني إسرائيل كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف قطعوه ! لو كانت فاطمة لقطعت يدها »[١٠] .

لقد ولد أسامة بمكة ونشأ وترعرع ولم يعرف غير الإسلام ديناً ، وهاجر الى المدينة ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحبه حباً شديداً ، وكان عنده كبعض أهله[١١] . لقد ولد في بيت إسلامي ، فتلقّى تعاليم الاسلام منذ نعومة أظفاره من نبي الاسلام ، فلا عجب أن يؤمن إيماناً عميقاً برسالة

---

(٨) طبقات ابن سعد (٦٢/٤) .
(٩) فتح الباري بشرح البخاري (٨١/٨) وطبقات ابن سعد (٦٦/٤) .
(١٠) فتح الباري بشرح البخاري (٦٩/٧) .
(١١) طبقات ابن سعد (٦١/٥) .

النبي صلى الله عليه وسلم ويتحمّس في الدفاع عنها .

ردّه الرسول صلى الله عليه وسلم يوم (أحُد) لصغر سنه ، وأجاز يومئذ سمرة بن جندب الفزاري ورافع بن خديج من بني حارثة ولهما خمسة عشر عاماً ، وردّ أسامة وعبد الله بن عمر وغيرهما لصغر سنهم ، ولكنه عاد فأجازهم عام (الخندق) بعد ذلك بسنة ، وكان لعبد الله بن عمر يوم (أُحُدْ) أربعة عشر عاماً ، وكان سائر من ردّ معه في هذه السن ايضاً (١٢) .

وشهد غزوة (الخندق) بعد أن أصبح عمره خمسة عشر عاماً ، كما شهد الغزوات الأخرى تحت لواء الرسول القائد عدا (موْتة) ، فقد شهدها تحت لواء (أبيه) زيد (١٣) ، وقد أبلى يوم (حُنَيْن) أحسن البلاء وثبت فيه ثبات الأبطال ، إذ أنه ثبت مع عشرة رجال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وآل بيته الطاهرين بعد هزيمة المسلمين في اول معركة (حنين) (١٤) ، فاستطاع الرسول صلى الله عليه وسلم بهذه الساقة الصغيرة أن يجمع مائة من المسلمين يحمي بهم انهزام المسلمين من مطاردة المشركين لهم ، ثم يقوم بالهجوم المقابل بعد فتور زخم هجوم المشركين ، فلما عاد المنهزمون من المسلمين بعد فرار المشركين ، وجدوا أسرى المشركين في الأغلال .

لقد كان أسامة الشجاعة والاقدام منذ نشأته : أرسل النبي صلى الله عليه وسلم أسامة على رأس قوة من المسلمين ، وكان ذلك أول تجربة عملية لإمارة أسامة ، فلقي العدو وقاتلهم مظهراً شجاعة نادرة . قال أسامة : « فأتيت

---

(١٢) جوامع السيرة – لابن حزم – ص (١٥٩) .

(١٣) طبقات ابن سعد (٦٢/٤) .

(١٤) الذين ثبتوا عشرة رجال وهم : آ . من المهاجرين ١–أبو بكر ، ٢–عمر . ب . من أهل البيت ١–علي بن أبي طالب ، ٢– العباس بن عبد المطلب ، ٣– أبو سفيان بن الحرث ، ٤–ابن أبي سفيان ، ٥ – الفضل بن العباس ، ٦ – ربيعة بن الحرث . ج . من الموالي ١– أسامة بن زيد ، ٢ – أيمن ابن أم أيمن . راجع سيرة ابن هشام (٧٢/٤) .

النبي صلى الله عليه وسلم وسلم وقد أتاه البشير بالفتح فاذا هو متهلل وجهه ، فأدناني ثم قال : حدثني ! فجعلت أحدثه ، فقلت : فلما انهزم القوم أدركت رجلاً وأهويت اليه بالرمح ، فقال : لا إله إلا الله ! فطعنته فقتلته !.. فتغيّر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ويحك يا أسامة ! فكيف لك بلا إله إلا الله ؟! ويحك يا أسامة ! فكيف لك بلا إله إلا الله ؟ فلم يزل يردّدها عليّ حتى لوددت أني انسلخت من كل عمل عملته واستقبلت الاسلام يومئذ جديداً ، فلا والله لا أقاتل أحداً قال : لا إله إلا الله ، بعد ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم [١٥] » . ولم يؤمّر الرسول صلى الله عليه وسلم أسامة مرة واحدة بل مرّات عديدة . قال سلمة بن الأكوع : « غزوت مع النبي صلى الله عليه وسلم سبع غزوات وخرجت فيما يبعث من البعوث تسع غزوات : مرة علينا أبو بكر ، ومرة علينا أسامة » [١٦] ، وهذا يدلّنا بوضوح على أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أمّر أسامة في بعض الغزوات قبل أن يؤمّره على الجيش الذي أعدّه لمهاجمة الروم قبيل التحاقه بالرفيق الأعلى .

وكان أسامة بالاضافة الى شجاعته النادرة ، يتمتّع بذكاء خارق واتزان في التفكير ونضوج عقلي مبكّر ، مما جعله موضع ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم وأحد مستشاريه المقربين ، يدلنا على عقليته الراجحة استشارة النبي صلى الله عليه وسلم له في أخطر قضية عائلية هي قضية حديث الافك . قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : « دعا (اي الرسول) علي ابن ابي طالب وأسامة بن زيد فاستشارهما ، فأما أسامة فأثنى خيراً عليّ وقاله : ثم قال : يا رسول الله ! أهلك ولا نعلم إلا خيراً وهذا الكذب والباطل » [١٧] .

---

(١٥) طبقات ابن سعد (٦٩/٤) وتهذيب ابن عساكر (٣٩٥/٢) .
(١٦) فتح الباري بشرح البخاري (٣٩٨/٧) .
(١٧) سيرة ابن هشام (٣٤٦/٣) .

لقد كان أسامة موضع ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم الكاملة وموضع حبه العظيم .

جهاده :

بعث أسامة :

١ – بعد عودة الرسول صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ، أقام بالمدينة بقية ذي الحجة والمحرَّم و صفر من السنة الحادية عشرة للهجرة (٦٣٢ م) ، فأمر بتجهيز جيش ضخم كان فيه أبو بكر وعمر وسعد بن أبي وقّاص وأبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم ، وجعل هذا الجيش بإمرة أسامة ، فتجهّز الناس وأوعب [١٨] مع أسامة المهاجرون الأولون [١٩] ، وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أسامة أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء [٢٠] والداروم [٢١] من أرض فلسطين .

وتأخّر تجهيز هذا الجيش لمرض الرسول صلى الله عليه وسلم ، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم قال : « أيها الناس ! أنفذوا بعث أسامة ، فلعمري لئن قلتم في إمارته لقد قلتم في إمارة أبيه من قبله ، وإنه لخليق للامارة ، وإن كان أبوه لخليقاً لها [٢٢] » . ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسرع الناس في جهازهم . وخرج أسامة وخرج جيشه معه حتى نزلوا موضع (الجرف) [٢٣] ، فعسكر الجيش هناك ينتظرون

---

(١٨) اوعبوا معه : اي خرجوا جميعهم للغزو .

(١٩) سيرة ابن هشام (٣١٩/٤) وطبقات ابن سعد (١٩٠/٢) .

(٢٠) البلقاء : كورة من أعمال دمشق بين الشام ووادي القرى ، قصبتها عمان . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢/ ٣٧٦) .

(٢١) الداروم : قلعة بعد مدينة غزة للقاصد الى مصر ، الواقف فيها يرى البحر الا ان بينها وبين البحر مقدار فرسخ . راجل التفاصيل في معجم البلدان (٤ /١٣) .

(٢٢) طبقات ابن سعد (٤ /٦٨) .

(٢٣) الجرف : موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو دمشق . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨٧/٣) .

نتيجة مرض الرسول صلى الله عليه وسلم .

قال أسامة : « لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هبطتُ وهبط الناس معي الى المدينة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أصمتَ فلا يتكلّم ، فجعل يرفع يده الى السماء ثم يضعها عليَّ ، فأعرف أنه يدعو لي »(٢٤) .

٢ – وكان أول أمر أصدره أبو بكر رضي الله عنه بعد أن تمّت له البيعة بالخلافة أن قال : « أنفذوا بعث أُسامة » .

ولكن أسامة طلب من عمر رضي الله عنه أن يرجع الى المدينة ليستأذن أبا بكر في رجوع أسامة وجيشه قائلاً : « إرجع الى خليفة رسول الله فاستأذنه يأذن لي أن أرجع بالناس ، فإنّ معي وجوه الناس وحدّهم ، ولا آمن على خليفة رسول الله وثقل رسول الله يتخطّفهم المشركون » .

وقالت الأنصار لعمر : « فإن أبى إلا أن نمضي ، فأبلغه عنا واطلب اليه أن يولي أمرنا رجلاً أقدم سناً من أسامة » .

وأبلغ ابن الخطاب أبا بكر رسالة أسامة ، فلم يلبث حين سمعها أن ثار ثائره وقال : « لو خطفتني الكلاب والذئاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله صلى الله عليه وسلم » .

ولما سمع أبو بكر رسالة الأنصار من عمر ، وثب لها وكان جالساً ، فأخذ بلحية عمر وقال مغضباً : « ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب ! إستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم وتأمرني أن أنزعه ؟! » .

ورجع عمر الى الناس ، فسألوه عما صنع ، فقال : « أُمضوا ثكلتكم أمهاتكم ! ما لقيت في سبيلكم من خليفة رسول الله(٢٥) » .

---

(٢٤) طبقات ابن سعد (٤ /٦٨) .
(٢٥) الطبري (٢ /٤٦٢) .

وقال الناس لأبي بكر : « إنّ هؤلاء جند المسلمين ، والعرب على ما ترى فقد انتقضت بك ، فلا ينبغي أن تفرّق جماعة المسلمين عنك » .. فأجابهم أبو بكر : « والذي نفسي بيده ، لو ظننت أنّ السباع تخطفني لأنفذت جيش أسامة ، كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم »[٢٦] .

ورجع أسامة بنفسه إلى أبي بكر وقال له : « إنّ رسول الله بعثني وأنا على غير حالكم هذه ، وأنا أتخوف أن تكفر العرب ، فان كفرت كانوا أول من يُقَاتل ، وإن لم تكفر مضيتُ ، فإن معي سروات الناس وخيارهم » .. وكان جواب أبي بكر لأسامة ولغيره من الناس ما ذكره في خطابه : « والله لأن تخطفني الطير أحب إليّ من أن أبدأ بشيء قبل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم »[٢٧] .

٣ ـ وأمر أبو بكر الناس بالتجهز للغزو ، وأن يخرج كل من هو من جيش أسامة الى معسكره بـ (الجرف) ، فخرجوا كما أمرهم أبو بكر . ولما أكمل الجيش تحشّده بـ (الجرف) ، زارهم أبو بكر مودّعاً . وتحرّك هذا الجيش الى هدفه فشيّعه أبو بكر ماشياً وأصرّ على بقاء أسامة راكباً ليزيد الناس لإمارة أسامة إذعاناً وتسليماً ، فقال له أسامة : « يا خليفة رسول الله ! والله لتركبنَ أو لأنزلن : » ، فقال أبو بكر : « والله لا تنزل ووالله لا أركب ! وما عليّ أن أغبرّ قدمي في سبيل الله ساعة ، فان للغازي بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له وسبعمائة درجة ترفع له ، وترفع عنه سبعمائة خطيئة ! » ، فلما آن له أن يودّع الجيش قال لأسامة : « إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل[٢٨] » ، فأذن أسامة

(٢٦) ابن الأثير (٢/ ١٢٧) .
(٢٧) طبقات ابن سعد (٤/ ٦٧) .
(٢٨) الطبري (٢/ ٤٦٣) .

لعمر أن يتخلّف عن الجيش.

وقبل أن يعود أبو بكر أدراجه الى المدينة، وقف في جيش أسامة خطيباً وقال: «أيها الناس، أوصيكم بعشر فاحفظوها عني: لا تخونوا، ولا تغلُّوا، ولا تغدروا، ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيراً إلا لمأكلة، وسوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان الطعام، فاذا أكلتم شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليه، وتلقون أقواماً قد فحصوا أوساط رؤوسهم وتركوا حولها مثل العصائب فاخفقوهم بالسيف خفقاً... اندفعوا باسم الله».

وقال لأسامة: «إصنع ما أمرك به نبي الله صلى الله عليه وسلم: إبدأ ببلاد قضاعة، ثم إئت (آبل)[29]، ولا تقصرنّ في شيء من أمر رسول الله، ولا تعجلنّ لما خلّفت عن عهده»[30].. لقد كانت وصية أبي بكر لجيش أسامة أروع ما يمكن أن يوجهه خليفة إنسان يقدِّر كرامة الانسانية، لقائد إنسان يقود جيشه لخوض حرب عادلة، ولم تطمع قوانين الحرب والحياد من القانون الدولي في القرن العشرين أن تسمو الى الهدف الرفيع الذي عبّر عنه أبو بكر رضي الله عنه بهذه الكلمات القليلة في عددها الكبيرة في معناها.

٤ ــ وسار أسامة في ثلاثة آلاف[30أ] يقطع البيد في أيام شديدة الحر من شهر حزيران، وبعد عشرين يوماً من مسيرته نزل أسامة بجيشه

---

(٢٩) آبل: تسمى آبل الزيت وهي مدينة بالأردن من مشارف الشام، راجع معجم البلدان (١/٥٢).

(٣٠) الطبري (٢/٤٦٣).

(٣٠أ) البدء والتاريخ (٥/١٥٢).

فأغار على (آبل) الواقعة شمالي (مؤتة) ، وبثّ خيوله في قبائل قضاعة وأحلافهم ، تلك القبائل التي ظاهرت الروم على جيش المسلمين في معركة (مؤتة) ، فبثّ خيوله في تلك القبائل وقضى على كل مقاومة صادفها هناك .

لقد نفّذ أسامة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم : أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، وأن ينزل على أعدائه في عماية الصبح ، وأن يتمّ ذلك دراكاً حتى لا تسبق الى أعدائه أنباؤه ، فلما أنجز كل ذلك ، عاد الى المدينة بعد أربعين يوماً ، وقيل سبعين يوماً من يوم مغادرته لها ، ممتطياً الجواد الذي استشهد عليه أبوه زيد في غزوة (مؤتة) ، فما : (رُئي جيش كان أسلم من ذلك الجيش)[٣١] .

عاد الى المدينة بجيشه الظافر ، فتلقّاه أبو بكر الذي خرج في جماعة من كبار الصحابة للقائه ، وتلقّاه أهل المدينة . ودخل أسامة المدينة المنورة تحيط به هالة من فخار النصر ، والناس حوله يردّدون فيه قول الرسول صلى الله عليه وسلّم فيه : « إنه خليق للامارة ، وإن كان أبوه لخليقاً لها » .

وبعثه أبو بكر بعد رجوعه في أثر خالد بن الوليد الى (اليمامة) ، فلحقه وشهد معه القتال [٣١أ] .

الانسان :

١ ـ عاش أسامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم في أيام أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ومعاوية ، فكان مرموق المكانة مقدّراً محترماً محبوباً من الخلفاء جميعاً ومن المسلمين على حد سواء .

وكمثال على رعاية الخلفاء له ، أن عمر كان يقول عنه : « ما كنت لأحيّ أحداً بالإمارة غير أسامة ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبض

---

(٣١) طبقات ابن سعد (٤ /٦٨) .
(٣١أ) البدء والتاريخ (٥/ ١٥٢).

وهو أمير »[٣٢] ، وقد فضّله في العطاء على أترابه من أبناء المهاجرين والأنصار حتى على ابنه عبد الله بن عمر ، إذ فرض لأسامة أربعة آلاف درهم وفرض لابنه عبد الله ثلاثة آلاف درهم ، فقال عبد الله لأبيه : « يا أبت ! لم زدته عليّ ألفاً ؟ ما كان لأبيه من الفضل ما لم يكن لأبي ، وما كان له ما لم يكن لي ! » ، فأجابه عمر : « إنّ أبا أسامة كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أبيك ، وكان أسامة أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم منك »[٣٣] .

أما عثمان ، فقد كان يثق بأسامة كثيراً ويقرّبه اليه ، وعندما اشتدّت عليه وطأة المعارضة ، أشار عليه ذوو الرأي أن يبعث الى الأمصار رجالاً يثق بهم ليبحثوا عن أسباب هذا الاضطراب ويقفوا على حقيقة الحال في البلاد الاسلامية ، فأرسل عثمان محمد بن مسلمة الى الكوفة ، وأرسل أسامة الى البصرة ، وأرسل عمّار بن ياسر الى مصر ، وأرسل عبد الله بن عمر الى الشام ، وفرّق رجالاً سواهم ، فرجعوا جميعاً وأخبروا عثمان أنهم لم ينكروا شيئاً ولا أنكره أعلام المسلمين[٣٤] .

٢ ــ واعتزل أسامة الفتن بعد مقتل عثمان الى أن مات[٣٥] وفاء لعهده الذي كان قطعه على نفسه : ألاّ يقاتل من يقول : « لا إله إلاّ الله » ، بعد الذي كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم معه حين علم منه قصة قتله أحد الرجال في إحدى الغزوات بعد أن قال : « لا إله إلاّ الله » ، كما أسلفنا . كما اعتزل هذه الفتن بعض كبار الصحابة منهم سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وغيرهم ، حيث آثروا ألاّ يلوّثوا أيديهم بدماء المسلمين ، مما يدل على تحرج أسامة وصحبه من الشبهات...

---

(٣٢) طبقات ابن سعد (٤/٦٧) وتهذيب ابن عساكر (٢/٣٩٤) .
(٣٣) الخراج – لأبي يوسف – ص (٥١) .
(٣٤) ابن الأثير (٣/٥٩) .
(٣٥) الاصابة (١/٢٩) .

فقد قال أسامة لعلي بن ابي طالب رضي الله عنه : « لو أدخلت يدك في فم تنين لأدخلت يدي معها ، ولكنك قد سمعت ما قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قتلت ذلك الرجل الذي شهد : أن لا إله إلاّ الله » .

٣ - وسكن أسامة (المزة) [٣٦] في دمشق بعد فتحها ، ثم رجع فسكن (وادي القرى) [٣٧] ، ثم عاد الى المدينة حيث توفي بـ (الجرف) [٣٨] ، وحمل من (الجرف) الى المدينة بعد موته ودفن فيها [٣٩] .

٤ - لقد مات النبي صلى الله عليه وسلم وعمر أسامة عشرون عاماً أو ثمانية عشر عاماً برواية أخرى [٤٠] .

وإنني أرجح أن عمره حين مات النبي صلى الله عليه وسلم كان عشرين عاماً ، ذلك لأن عمره في غزوة (أحد) كان أربع عشرة سنة ، وكان عمره يوم (الخندق) التي وقعت في السنة الخامسة للهجرة خمس عشرة سنة ، وكان وفاة النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الحادية عشرة للهجرة (٦٣٢ م) ، وعلى ذلك يكون مولد أسامة قبل الهجرة بتسع سنين (٦١٣ م) ، وقد توفي سنة أربع وخمسين للهجرة [٤١] (٦٧٤ م) فيكون قد عاش ثلاثاً وستين سنة قمرية .

٥ - لقد كان أسامة آلفاً مألوفاً ، وكان موضع ثقة الناس وتقديرهم

---

(٣٦) المزة : قرية كبيرة غناء في وسط بساتين دمشق بينها وبين دمشق نصف فرسخ . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤٧/٨) .

(٣٧) وادي القرى : واد بين المدينة والشام من أعمال المدينة ، كثير القرى . راجع معجم البلدان (٣٧٥/٨) .

(٣٨) الاصابة (٢٩/١) .

(٣٩) طبقات ابن سعد (٧٢/٤) .

(٤٠) طبقات ابن سعد (٧٢/٤) .

(٤١) الاصابة (٢٩/١) . وفي تهذيب ابن عساكر (٣٩٢/٢) ان عمره يوم توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين عاماً .

وإجلالهم : شجاعاً مقداماً راجح العقل تقياً ورعاً ، عالماً بأمور الدين ، يقصده الناس يستفتونه في أمور دينهم حتى عُدّ من أصحاب الفتيا من الصحابة [٤٢] كما روى عن الرسول صلى الله عليه وسلم (١٢٨) حديثاً [٤٣].

وكان براً غاية البر بوالدته أم أيمن : بلغت النخلة على عهد عثمان بن عفان الف درهم ، فعمد أسامة إلى نخلة فنقرها وأخرج جمارها وأطعمه أمه ، فقالوا له : ما يحملك على هذا وأنت ترى النخلة قد بلغت ألف درهم ؟! فقال « إن أمي سألتنيه ، ولا تسألني شيئاً أقدر عليه ، إلاّ أعطيتها [٤٤] » .

وكان بطيناً [٤٥] أسود أفطس [٤٦] ، وكان قد أصيب بالجدري أول ما قدم المدينة [٤٦ أ] .

القائد :

١ – « إنه خليق للإمارة » هذا ما كان يردّده النبي الكريم عن أسامة ، والمعروف أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يتمتع بموهبة فذّة في اختيار الرجال المناسبين للعمل المناسب ، حتى إن بعض المستشرقين يرون أن موهبته الفائقة في معرفة نفسيات وقابليات أصحابه وتكليف كل فرد منهم بما يناسب نفسيته وقابليته ، كانت من أهم عوامل نجاحه في نشر الدعـوة الاسلامية .

لقد طعن (المنافقون) [٤٧] أولاً في إمارة أسامة لصغر سنه ، فانتشرت

---

(٤٢) اصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم – ملحق بجوامع السيرة لا بن حزم ص (٣٢١).
(٤٣) اسماء الصحابة الرواة – ملحق بجوامع السيرة لا بن حزم ص (٢٨٧) .
(٤٤) طبقات ابن سعد (٤ /٧١) .
(٤٥) طبقات ابن سعد (٤/ ٧١) .
(٤٦) اسد الغابة (١ /٦٦) .
(٤٦أ) تهذيب ابن عساكر (٢ /٣٩٥).
(٤٧) الطبري (٢/ ٤٢٩) .

قالتهم هذه بين بعض الناس [٤٨] ، فتناقل هذا الطعن الناس ونقله بعض المستشرقين من بعض المصادر القديمة ، ونقله عنهم بقصد أو بدون قصد بعض المثقفين من العرب والمسلمين ، فشاع أمره في مدارسنا وبين مثقفينا كأنه حقيقة واضحة لا تحتاج الى تفكير وتمحيص ! !

إن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يمكن أن يولي أسامة إمارة جيش فيه صفوة أصحابه يتحرك لخوض معركة غير معروفة النتائج ، ما لم تتوفر فيه صفات معينة تؤهله لتسنم هذا المنصب الخطير .

وإذا كان أي إنسان سَوِيّ لا يُقدم على تعيين شاب لا كفاءة له على قيادة جيش فيه خاصة أصدقائه وأهل بيته في مهمة خطيرة يحتمل أن يلاقوا فيها الموت ، فكيف يمكن أن يُقدم الرسول القائد على مثل هذا العمل ؟؟.

٢ ـ فما هي المزايا التي وجدها الرسول صلى الله عليه وسلم في أسامة ، فجعلته يعيِّنه أميراً على أخطر جيش في أخطر مهمة في أخطر الظروف والأحوال ؟؟.

ولكي نقدر مزايا أسامة التي أهّلته لتسنم هذا المنصب الخطير ، لا بد لنا أن نذكر شيئاً عن واجبه الذي أنيط به تنفيذه في الغزوة الأخيرة التي قـــادها .

كان واجب أسامة في تلك الغزوة ، استناداً الى الأمر الصريح الذي أصدره الرسول صلى الله عليه وسلم اليه ، هو : أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم في عماية الصبح ، دراكاً ، وأن يعود من مهمته بعد إنجازها الى المدينة دون تأخير ! إذاً ، فمهمة أسامة ، هي القيام (بغارة) كبيرة تهدف الى التأثير المعنوي على الروم وحلفائهم بالدرجة الأولى . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يتوخّى من هجماته المتكررة على تخوم الروم ، إثبات

---

(٤٨) طبقات ابن سعد (٤/ ٦٥) .

قوة المسلمين عملياً ، حتى يحول دون مهاجمة الروم للمسلمين ، وكان بهذه الهجمات يطبق الفكرة السوقية المعروفة : « الهجوم أنجع وسائل الدفاع » .

لقد كان واجب أسامة هو خوض معركة معنويات بالدرجة الأولى ، تعتمد على المباغتة والاندفاع والحرب الخاطفة تجاه عدو قوي تتيسر لديه قوات نظامية وغير نظامية، ولديه إمكانات مادية هائلة بالنسبة لإمكانات المسلمين في حينه ، ومثل هذه المعركة تحتاج إلى قائد يمتاز بالشجاعة الخارقة التي تضمن الاقدام والاندفاع ، ويمتاز بالعقيدة الراسخة التي تستهين بالأخطار ، ويمتاز بالعقلية الراجحة التي تتبصّر بالعواقب ، وتمتاز بعد كل ذلك بالفتوة التي تتحمل المشاق ولا تبالي بالأهوال .

لقد رأينا أسامة يتمتع بكل هذه الخصال بشكل واضح كما مرّ بنا في دراسة سيرته .

لمسنا شجاعته في إقدامه متطوعاً للقتال يوم (أُحُد) حين كان بعمر الورد ، فردّه الرسول صلى الله عليه وسلم لأنه لم يبلغ يومها من العمر ما يؤهله لتحمل أعباء القتال . ولمسنا شجاعته في ثباته المستميت مع الرسول صلى الله عليه وسلم يوم (حُنَيْن) عندما تحطّمت أعصاب أشجع الرجال . ورأينا شجاعته حين أمّره النبي صلى الله عليه وسلم على سرية قاتلت بعض الأعراب ... تلك هي شجاعته وإقدامه .

وقد نشأ أسامة وترعرع في بيت النبي صلى الله عليه وسلم ، فآمن منذ عرف نفسه بالاسلام ، وأصبح مستعداً للتضحية بكل شيء في سبيل عقيدته التي آمن بها ... لقد كان أسامة منذ نعومة اظفاره عقائدياً من الطراز الأول .

أما عقليته الراجحة التي ظهرت بوادرها مبكرة على تصرفاته ، فيدلنا عليها إيثار النبي صلى الله عليه وسلم له باستشارته في أخطر قضية عائلية صادفها في حياته ، وكان عمر أسامة حينذاك ستة عشر عاماً ! لقد كان أسامة مقرباً من الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولكن ذلك لم يكن السبب الأول

والأخير لاستشارته ، إذ كان هناك كثيرون غير أسامة مقربين من النبي صلى الله عليه وسلم ذوي قرباه ومن آل بيته ومن أصحابه ، وهم أكبر من أسامة سناً وأكثر تجربة في الحياة ، فإيثار أسامة بالاستشارة دليل قاطع على مكانته العقلية الرفيعة .

أما شبابه فلا حاجة بنا إلى إثباته ، خاصة وإنّ هذا الشباب ، كان السبب المباشر لتذمّر بعض الناس من إمارته .

تلك هي مزايا أسامة التي تجدها واضحة عند دراسة سيرته ، وهي وحدها التي أهّلته لتسنم منصبه الرفيع .

لقد قضى الاسلام – مع ما قضى عليه من تقاليد الجاهلية – على الأنفة من تأمير من لم تقدمه السن ، والاستمساك بعرى التفاضل بالأنساب والأحساب... إن التفاضل في الاسلام يخضع للتقوى وصالح الأعمال .. للكفاءة .

لقد رفعت مزايا أسامة وحدها أسامة الى الامارة ، وقبل أن يتولى إمارة الجيش الذي تعرّض بالامبراطورية الرومانية : جرّبه الرسول صلى الله عليه وسلم قائداً لعدة غزوات داخلية أثبت فيها كفاءته بصورة عملية . أما حب الرسول صلى الله عليه وسلم له فلم يك السبب الوحيد لإمارته ، وحسبنا أن نتذكر نتائج المعركة التي قادها أسامة ، فقد كان إنفاذ جيش أسامة من أعظم الأمور نفعاً للمسلمين ، لأن العرب قالوا : « لو لم يكن بهم قوة لما ارسلوا هذا الجيش » ، فكفّوا من كثير مما كانوا يريدون أن يفعلوه [٤٩] ، كما إن الروم قالوا : « ما بالى هؤلاء بموت صاحبهم أن أغاروا على أرضنا [٥٠] فشغلوا بالاستعداد للدفـــاع عن بلادهم تجاه جيش المسلمين ، واستبعدوا من أذهانهم فكرة مهاجمة المسلمين في عقر دارهم إنتهازاً لفرصة موت قائدهم ونبيهم عليه أفضل الصلاة والسلام .

---

(٤٩) ابن الاثير (١٢٨/٢) .
(٥٠) طبقات ابن سعد (٨٦/٤) .

٣ ـ واستناداً الى مبادىء الحرب ، كان أسامة (يختار هدفه ويديمه) ويفكر في أقوم وسيلة للوصول اليه ، ثم يقرّر الخطة المناسبة للحصول عليه. وكانت غزوات أسامة كلها (تعرُّضية) تشيع فيها روح (المباغتة) ، وكانت غزوته الأخيرة مباغتة كاملة لأعدائه بالزمان والمكان ، لذلك استطاع الانتصار عليهم بالرغم من قلّة قواته بالنسبة الى كثرة قواتهم وبالرغم من وجودهم في ديارهم بينما كانت خطوط مواصلات أسامة بعيدة عن المدينة قاعدة حركة المسلمين.

كما إن أسامة كان (يحشد قواته) قبل الاقدام على خوض المعركة ، و (يديم معنوياتها) فكان جيشه يتحلى بالطاعة الناجمة عن الحب المتبادل والثقة المتبادلة ، كما امتاز جيشه بالشجاعة والاقدام والجلد والصبر وتحمل المشاق ، وهي الصفات المعنوية الخالدة لكل جيش في كل زمان ومكان.

لقد كان أسامة يتحلى بنفس صفات جيشه المعنوية ، وكان مثالاً شخصياً رائعاً لجيشه في كل تلك الصفات.

أسامة في التاريخ

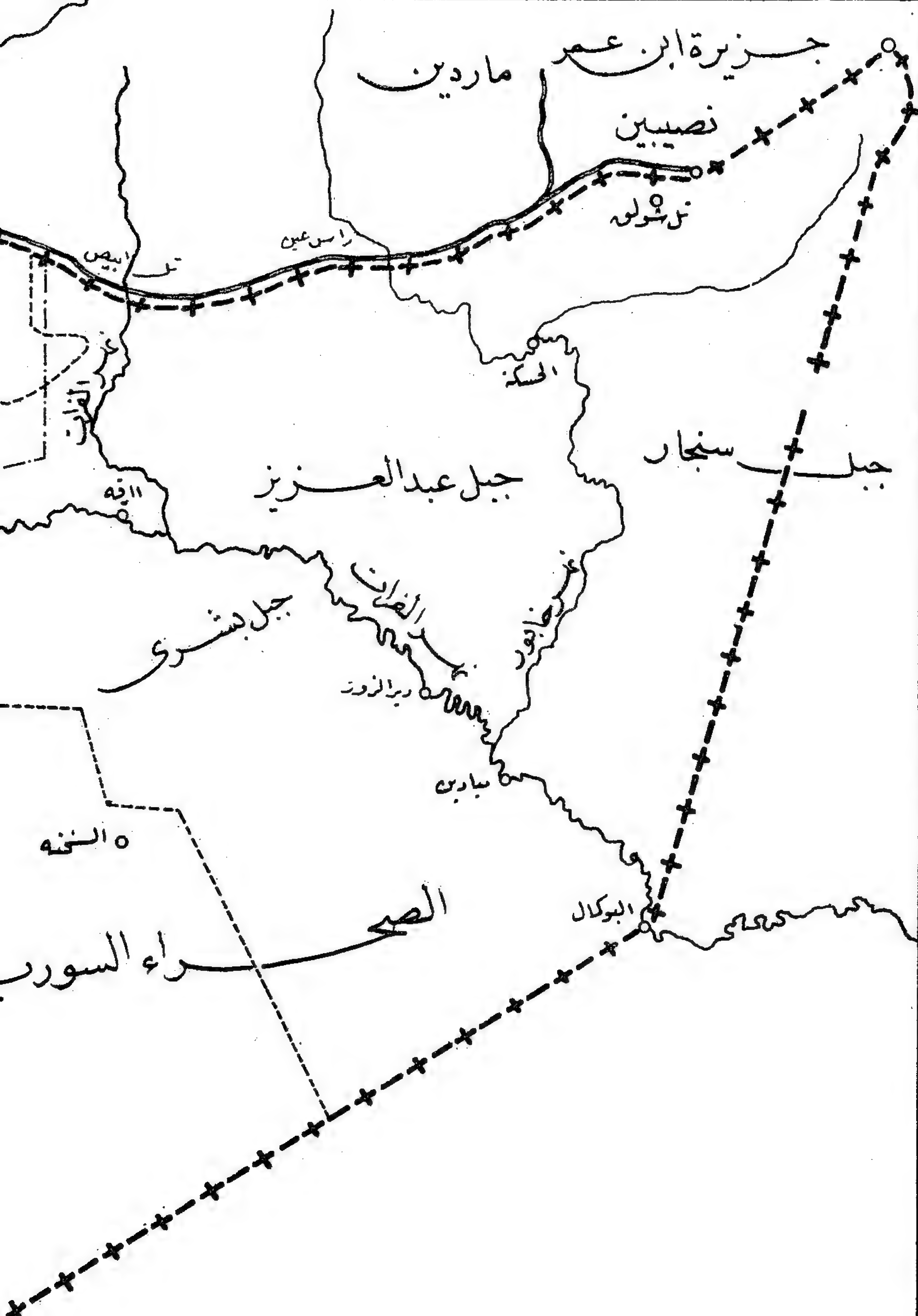
يذكر التاريخ لأسامة ، بأنه أول قائد عربي مسلم تجرّأ بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم على مهاجمة الامبراطورية الرومانية ، وأنه أول قائد عربي مسلم جرّأ العرب المسلمين على مهاجمة الروم ، فكانت معركته التي خاضها ضد الروم وأحلافهم معركة معنويات حاسمة من معارك المعنويات الحاسمة في التاريخ.

لقد كان العرب قبل الاسلام ، لا يفكرون ـ مجرد تفكير ـ بمهاجمة الروم ، ولكنهم بعد انتشار الاسلام في ربوع الجزيرة العربية ، أصبح من الضروري حمايته داخلها ، فلا عجب أن يجهز الرسول صلى الله عليه وسلم هذا الجيش لحماية تخوم شبه الجزيرة العربية من الروم ذوي البأس

في ذلك العهد ؛ وكان لا بدّ من إيجاد قائد ممتاز في مزاياه ، وجيش ممتاز في عدده وعُدده ومعنوياته ، حتى يستطيع ذلك القائد تحمل تلك المسؤولية الجسيمة ، وحتى يستطيع ذلك الجيش تنفيذ ما يُعهد اليه من أعمال !

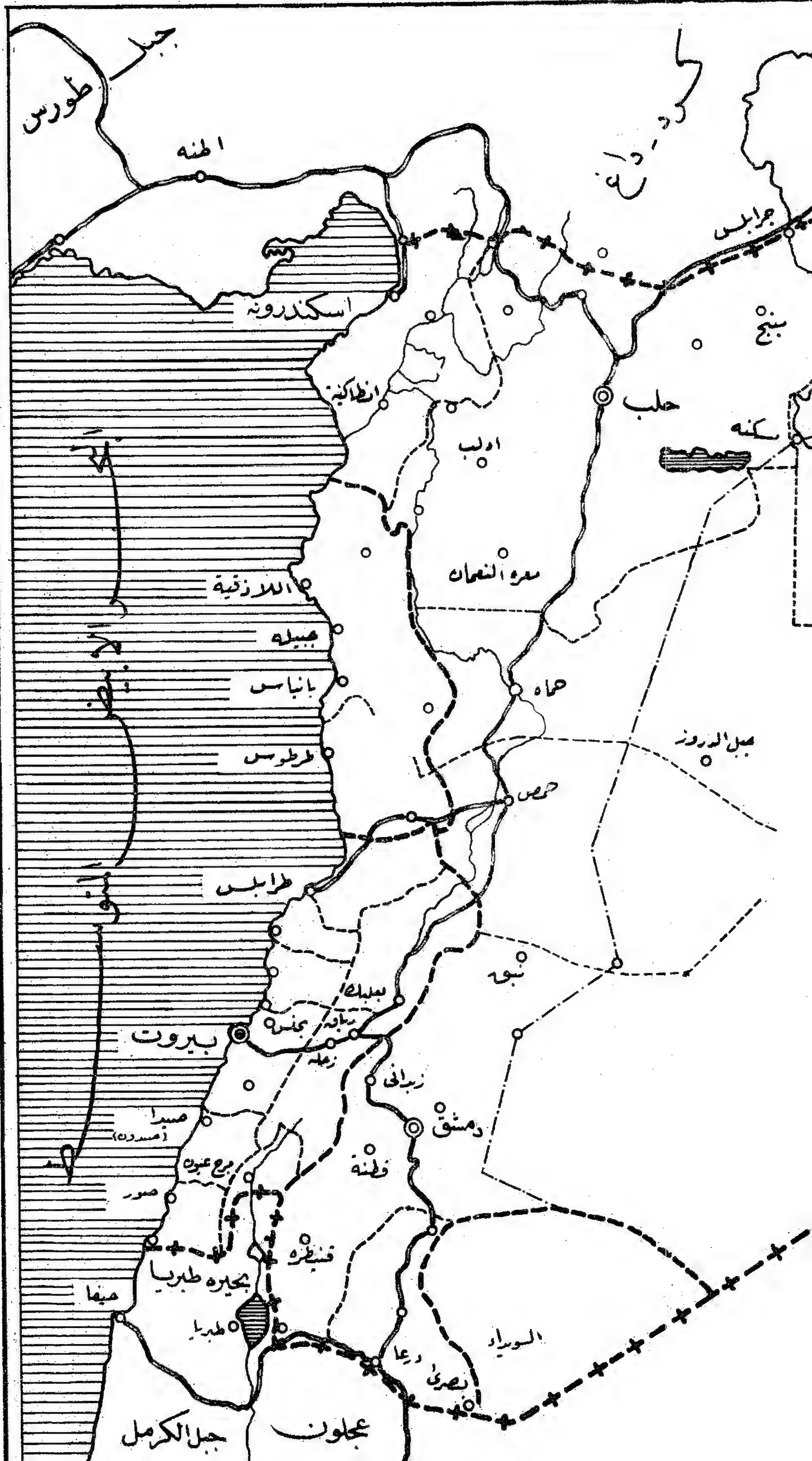
وتحمّل أسامة المسؤولية كاملةً ونجح في تعرّضه بالدولة الرومانية ، وتحمّل جيشه واجبه كاملاً وهاجم تخوم (أرض الشام) بنجاح .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد البطل ، حِبّ رسول الله وابن حِبّه أسامة بن زيد الكلبي .



جزيرة ابن عمر
ماردين
نصيبين
راس عين
تل ابيض
الحسكة
جبل سنجار
جبل عبد العزيز
الرقه
الفرات
جبل بشرى
نهر الخابور
دير الزور
ميادين
السخنه
البوكمال

سورية



جبل طورس
اطنه
اسكندرونه
انطاكيه
حلب
ادلب
جرابلس
منبج
معرة النعمان
اللاذقية
جبله
بانياس
حماه
طرطوس
حمص
طرابلس
بعلبك
بيروت
زحلة
صيدا
دمشق
صور
قنيطره
بحيره طبريا
طبريا
حيفا
درعا
السويداء
بصرى
جبل الكرمل
عجلون

أبو عُبَيدة بن الجرّاح القرشِي الفِهْري

فاتح أرض الشام [١]

« هذا أمين هذه الأمة »

(محمد رسول الله)

مع النبي :

أسلم أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجرّاح القرشي الفِهْرِي [٢] قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم دار الأرقم [٣] ، فكان أحد العشرة السابقين الى الاسلام [٤] .

وهاجر أبو عبيدة الى الحبشة الهجرة الثانية [٥] تخلصاً من التعذيب

---

(١) أرض الشام : حدودها من الغرب بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) ، ومن الشرق البادية من (أيلة) الى الفرات ثم من الفرات الى حد الروم ، ومن الشمال بلاد الروم (الجمهورية التركية حالياً) ، ومن الجنوب حد مصر وتيه بني اسرائيل ، وآخر حدودها مما يلي مصر (رفح) . راجع التفاصيل في المسالك والممالك - للاصطخري - ص (٤٣) ومعجم البلدان (٢١٩/٥) . وانظر زبدة كشف الممالك ص (٤٢)، وهي سورية و لبنان وفلسطين والأردن في الوقت الحاضر .

(٢) هو عامر بن عبد الله بن الجراح بن أهيب بن ضبة بن الحارث بن فهر ، وأمه أميمة بنت غنم . راجع طبقات ابن سعد (٤٠٩/٣) والاصابة (١١/٤) واسد الغابة (٨٤/٣) وقد غلبت عليه كنيته . يلتقي نسبه بنسب رسول الله صلى الله عليه وسلم بـ (فهر) . راجع جوامع السيرة لابن حزم ص (٣) ، وقد نسب الى جده . أنظر البدء والتاريخ (٨٧/٥) .

(٣) طبقات ابن سعد (٤٠٩/٣) و (٣٨٤/٧) .

(٤) الاصابة (١١/٤) ، وانظر تسلسل الذين أسلموا في سيرة ابن هشام (٢٦٤/١-٢٦٩) وفي جوامع السيرة لابن حزم ص (٤٥-٤٦) .

(٥) طبقات ابن سعد (٤١٠/٣) وسيرة ابن هشام (٣٥٢/١) وجوامع السيرة ص (٦٣) والاصابة (١١/٤) .

والبلاء[٦] ، ولكنه عاد الى مكة بعد أن اتّصل بمن كان في أرض الحبشة من المسلمين أن قريشاً قد أسلمت ، وكان هذا الخبر كذباً[٧] .

ولما أذن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة الى المدينة ، هاجر أبو عبيدة مع من هاجر من المسلمين اليها ، فآخى النبي بينه وبين أحد أصحابه[٨] ، وهناك بدأ صفحة جديدة من كفاحه لإعلاء كلمة الله .

فقد شهد (بدراً) وقتل أباه الذي كان مشركاً في المعركة[٩] إذ جعل والده يتصّدى له وأبو عبيدة يحيد عنه ، فلما أكثر َقصَدَهُ وقتله[١٠] ، فنزل فيه قول الله تعالى : (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر ، يوادُّونَ من حادّ[١١] الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ، أولئك كتب في قلوبهم الايمان وأيّدهم بروح منه ، ويدخلهم جناتٍ تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، رضي الله عنهم ورضوا عنه ، أولئكَ حزب الله ؛ ألا إنّ حزب الله هم المفلحون)[١٢] .

وشهد (أُحُداً) وثبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انهزم الناس وولّوا . قال أبو بكر الصديق : « لما كان يوم (أُحد) وُرِميَ رسول الله

---

(٦) سيرة ابن هشام (٣٤٣/١) وجوامع السيرة ص (٥٥) .
(٧) سيرة ابن هشام (٣٩١/١) وجوامع السيرة ص (٦٦) .
(٨) في سيرة ابن هشام (١٢٤/٢) أن النبي صلى الله عليه وسلم آخى بينه وبين سعد بن معاذ وكذلك في جوامع السيرة ص (٩٦) . أما في طبقات ابن سعد (٤١٠/٣) ففيه : أنه آخى بينه وبين سالم مولى أبي حذيفة ، وفي رواية بينه وبين محمد بن مسلمة .
(٩) الاصابة (١١/٤) والسيرة الحلبية (١٧٨/٢) .
(١٠) الاصابة (١٢/٤) .
(١١) حاد الله : حارب الله .
(١٢) انظر تفسير الكشاف للزمخشري (١٧٢/٣) وتفسير ابن كثير (٢٧٣/٨) وفيه : نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح ، حين قتل أباه يوم (بدر) . والآية الكريمة من سورة المجادلة (٥٨ : ٢٢) . وقد جاء في البدء والتاريخ (٨٣/٥) : إنه سمع أباه يسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع رأسه وجاء به الى النبي وأخبره الخبر .

صلى الله عليه وسلم في وجهه حتى دخلت في وجنتيه حلقتان من المغفر[١٣]، فأقبلتُ أسعى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنسان قد أقبل من قِبَل المشرق يطير طيراناً، فقلت: اللّهم اجعله طاعة؛ حتى توافينا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا أبو عبيدة بن الجراح قد بَدَرَني، فقال: أسألك بالله يا أبا بكر الا تركتني فأنزعه من وجنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فتركته؛ فأخذ أبو عبيدة بثنيته إحدى حلقتي المغفر فنزعها وسقط على ظهره وسقطت ثنية أبي عبيدة، ثم أخذ الحلقة الأخرى بثنيته الأخرى، فسقطت؛ فكان أبو عبيدة في الناس أثرم »[١٤].

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة في أربعين رجلاً من المسلمين، فأغار على المشركين في (ذي القَصّة)[١٥] فأعجزوهم هرباً في الجبال وأسروا رجلاً واحداً من المشركين فأسلم[١٦].

وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المهاجرين الأولين، فيهم أبوبكر وعمر مدداً لعمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل، وقال له: « لا تختلفا! »، فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم على عمرو قال له عمرو: « إنما جئت مدداً لي ». قال أبو عبيدة: « لا، ولكني على ما أنا عليه وأنت على ما أنت عليه ». فقال عمرو: « بل أنت مدد لي ». فقال أبو عبيدة: « يا عمرو! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي: لا تختلفا، وإنك إن عصيتني أطعتك »[١٧].

---

(١٣) المغفر: زرد يلبس فوق الرأس عند الحرب.

(١٤) طبقات ابن سعد (٤١٠/٣). والثرم بالتحريك: سقوط الثنية وهي واحدة الأسنان الأربع، وانظر جوامع السيرة ص (١٦١) وسيرة ابن هشام (٢٨/٣).

(١٥) ذو القصة: موضع بين زبالة والشقوق دون الشقوق بميلين على بعد ميل من المدينة فيه قلب للأعراب يدخلها ماء السماء عذب زلال. والى هذا الموضع كانت غزاة أبي عبيدة بن الجراح أرسله اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم. راجع التفاصيل في معجم البلدان (١١٤/٧).

(١٦) طبقات ابن سعد (٨٦/٢) و (٤١١/٣) وجوامع السيرة ص (١٨).

(١٧) سيرة ابن هشام (٢٩٩/٣) وطبقات ابن سعد (١٣١/٢) والاصابة (١٢/٤).

وبعثه في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار فيهم عمر بن الخطاب الى حي من جهينة بـ (القَبَلِيّة)[18] مما يلي ساحل البحر ، فأصابهم في الطريق جوع شديد حتى أكلوا الخبط[19] ، فابتاع لهم قيس بن سعد جزراً ونحرها لهم وألقى لهم البحر حوتاً عظيماً فأكلوا منه ، ثم انصرفوا دون أن يلقوا كيدا [20] .

وشهد فتح مكة ، وكان على مقدمة موكب رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلف من المهاجرين[21] ، كما شهد المشاهد كلهّا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم[22] .

لقد كان أبو عبيدة موضع ثقة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبه ، فقد سأل أهل اليمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث معهم رجلاً يعلّمهم السنَّة والاسلام ، فأخذ بيد أبي عبيدة بن الجراح ، وقال : « هذا أمين هذه الأمة »[23] .

قال وفد (نَجْران)[24] للنبي صلى الله عليه وسلم : « ابعث معنا رجلاً من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها من أموالنا ، فانكم عندنا رضاً » ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ائتوني العشية أبعث

---

(١٨) القبلية : سراة فيما بين المدينة والسفوح الشرقية والجنوبية من الجبال التي تمتد غربي المدينة وينبع ، ما سال منها الى ينبع سمي بالغور ، وما سال منها الى أودية المدينة سمي بالقبلية . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٩/٧) ، وهي مما يلي ساحل البحر بينها وبين المدينة خمس ليال ، انظر طبقات ابن سعد (١٣٢/٢) .

(١٩) الخبط : ورق الشجر .

(٢٠) طبقات ابن سعد (١٣٢/٢) وسيرة ابن هشام (٣٠٩/٣) وفتح الباري بشرح البخاري (٢٦/٨) .

(٢١) سيرة ابن هشام (١٦/٤) وجوامع السيرة ص (٢٣١) .

(٢٢) طبقات ابن سعد (٤١٠/٣) .

(٢٣) الاصابة (١١/٤) وشرح النووي على مسلم (١٦٢/٥) .

(٢٤) نجران : من مخاليف اليمن ، راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٥٨/٨) .

معكم القوي الأمين » ، فكان عمر بن الخطاب يقول : « ما أحببت الامارة قط حبي إياها يومئذ رجاء أن أكون صاحبها ، فرحت الى الظهر مهجّراً ، فلما صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، سلّم ثم نظر يمينه ويساره ، فجعلت أتطاول له ليراني ، فلم يزل يلتمس ببصره حتى رأى أبا عبيدة بن الجراح ، فدعاه ، فقال : اخرج معهم فاقض بينهم بالحق فيما اختلفوا فيه » . قال عمر : « فذهب بها أبو عبيدة ! » (٢٥) ؛ وفي رواية إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأهل (نجْران) : « لأبعثنّ حق أمين » ، فأشرف أصحابه فبعث أبا عبيدة (٢٦) . وفي رواية أنه قال لهم : « سأبعث معكم رجلاً أميناً حق أمين » ، فتشرّف له الناس ، فبعث أبا عبيدة (٢٧) .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يقول عن أبي عبيدة : « إنّ لكل أمة أميناً ، وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح » (٢٨) . وقال عنه : « لكل أمة أمين ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح » (٢٩) .

لقد كان أبو عبيدة من أنجب تلامذة مدرسة الرسول القائد .

جهـــاده :

١ – الى أرض الشام :

استعمل أبو بكر الصدّيق أبا عبيدة على جيش من جيوش المسلمين وأمره بـ (حمص) (٣٠) ، وكان نص أمر أبي بكر الذي أصدره لقادة الشام : « إذا

---

(٢٥) سيرة ابن هشام (٢/٢١٥–٢١٦) .
(٢٦) فتح الباري بشرح البخاري (٧/٧٤) .
(٢٧) سنن الامام ابن ماجة (١/٣٢) وفتح الباري بشرح البخاري (٨/٧٤) وشرح النووي على مسلم (٥/١٦٢) .
(٢٨) فتح الباري بشرح البخاري (٧/٧٣) وشرح النووي على مسلم (٥/١٦) .
(٢٩) فتح الباري بشرح البخاري (٨/٧٤) .
(٣٠) ابن الاثير (٣/١٥٥) .

اجتمعتم على قتال فأميركم أبو عبيدة »[٣١] ؛ فسلك أبو عبيدة طريق (المُعْرِقَة)[٣٢] حتى نزل (الجَابِيَة)[٣٣] ، وكان عدد جيشه سبعة آلاف وخمسمائة رجل[٣٤] .

وما كادت جيوش المسلمين تصل الى أرض الشام ، حتى بعث (هِرَقل) قادته وجيوشه باتجاه قادة وجيوش المسلمين[٣٥] ليشغل جيوش المسلمين بعضهم عن بعض ، وليحول دون تعاون قادة المسلمين فيما بينهم ، ولتضعف كل فرقة من المسلمين عمن بإزائها من الروم ؛ ولكن قادة المسلمين فوّتوا على الروم هذه الفرصة باجتماعهم في (اليرموك)[٣٦] ، استعداداً لمواجهة الروم جيشاً واحداً يقوده قائد واحد .

٢ – في اليرموك :

استمدّ أبو عبيدة بعد اجتماع المسلمين في اليرموك أبا بكر ، فقال أبو بكر : « خالد لها ! » فبعث اليه وهو بالعراق ، وعزم عليه واستحثّه في السير[٣٧] .

وطلع خالد على المسلمين ، ففرحوا به فرحاً شديداً ، فكان خالد قائداً عاماً في معركة (اليرموك) الحاسمة[٣٨] ، وكان أبو عبيدة على القلب[٣٩] ؛

---

(٣١) البلاذري ص (١١٦) وفتوح الشام للواقدي (١/٨) .

(٣٢) المعرقة : طريق تأخذ على ساحل البحر ، وهي الطريق التي كانت قريش تسلكها اذا أرادت أرض الشام . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٩٥) .

(٣٣) الجابية : قرية من أعمال دمشق . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣/٣٣) .

(٣٤) البلاذري (١١٦) .

(٣٥) الطبري (٣/٥٩٠) وابن الاثير (٣/١٥٥) .

(٣٦) اليرموك : واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الاردن . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٥٠٤) .

(٣٧) الطبري (٢/٥٩١) وانظر التفاصيل في : قادة فتح العراق والجزيرة (١١٩–١٣٢) .

(٣٨) فتوح الشام للواقدي (١/١٤) والبلاذري ص (١١٧) والاغاني (١٤/٢٦) .

(٣٩) الطبري (٢/٥٩٣) وابن الاثير (٢/١٥٨) . والقلب : هو القسم الأكبر من الجيش كما يطلق عليه في الاصطلاحات العسكرية الحديثة .

فهاجم خالد الروم (القلب) حتى كان بين مشاتهم وفرسانهم ، وكان هجوم القلب صاعقاً ، فلما وجدت خيل الروم منفذاً لها للهرب ، تركت ساحة المعركة هاربة [٤٠] ؛ وبذلك قضى المسلمون على مشاة الروم ، فانتهت معركة (اليرموك) الحاسمة بانتصار المسلمين .

٣ ـ بعد اليرموك :

تولى أبو عبيدة بعد (اليرموك) منصب القيادة العامة في أرض الشام [٤١] ، فاستخلف على (اليرموك) بشير بن كعب الحميري [٤٢] ، وسار حتى نزل بـ (الصُفّر) [٤٣] ، وهناك أتاه الخبر بأن المنهزمين من الروم اجتمعوا بـ (فِحْل) [٤٤] ، وأتاه الخبر بأن المدد قد أتى أهل (دمشق) من (حمص) فكتب الى عمر في ذلك ؛ فأجابه : « بأن يبدأ بدمشق لأنها حصن الشام وعاصمتها ، وأن يشغل أهل (فِحْل) بخيل تكون بازائهم ؛ وإذا فتح دمشق سار الى فِحْل » [٤٥] .

---

(٤٠) الطبري (٢/٥٩٦) وابن الاثير (٢/١٥٨) .

(٤١) ابن الاثير (٢/١٥٨) وطبقات ابن سعد (٣/٣٩٧) واليعقوبي (٢/١١٧) .

(٤٢) بشير بن كعب الحميري : أحد الأمراء في (اليرموك) خلفه أبو عبيدة على (اليرموك) في خيل ، وهو صحابي جليل . راجع الاصابة (١/١٦٤) و (١٨٠) .

(٤٣) الصفر : هو (مرج الصفر)، موضع بين دمشق والجولان . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٦٧) .

(٤٤) فحل : اسم موضع بالشام في ناحية الأردن : راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦/٣٤٠).

(٤٥) نص وصايا حركات عمر كما وردت في الطبري (٢/٦٢٥) : أما بعد : فأبدوا بدمشق فانهدوا لها فانها حصن الشام وبيت مملكتهم ، واشغلوا عنكم أهل فحل بخيل تكون بازائهم في نحورهم ، وأهل فلسطين وأهل حمص ، فان فتحها الله قبل دمشق ، فذاك الذي نحب ، وان تأخر فتحها حتى يفتح الله دمشق ، فلينزل بدمشق من يمسك بها ودعوها . وانطلق أنت وسائر الأمراء حتى تغيروا على فحل ، فان فتح الله عليكم فانصرف أنت وخالد الى حمص ودع شرحبيل وعمراً وأجلهما بالأردن وفلسطين ، وأمير كل بلد وجند على الناس حتى يخرجوا من إمارته » . وانظر أيضاً ابن الأثير (٣/١٦٤) .

٤ — في دمشق :

سار أبو عبيدة بالناس من (المرج) وعلى مقدمته خالد بن الوليد وعلى المجنبتين عمرو بن العاص وأبو عبيدة نفسه ، وعلى الخيل عياض بن غَنْم وعلى الرجل شرحبيل بن حسنة ، فقدموا على دمشق وحصروا أهلها وطوّقوها ، فكان أبو عبيدة على ناحية (٤٦) وخالد على ناحية الباب الشرقي (٤٧) ، فحاصروا أهل دمشق نحواً من سبعين ليلة حصاراً شديداً بالزحوف والترامي والمجانيق وهم معتصمون بالمدينة يرجون وصول الامدادات ، فلما أيقن أهل دمشق أن الامدادات لا تصل اليهم فشلوا ووهنوا وازداد المسلمون طمعاً فيهم .

وانتهز خالد فرصة انشغال أهل المدينة في احتفالهم بمولد طفل للبطريق ، فاعتلى هو وأصحابه السور وفتحوا الباب ، فلما رأى الروم ذلك قصدوا أبا عبيدة وبذلوا له الصلح ، فقبل منهم وفتحوا له الباب وقالوا له : ادخل وامنعنا من أهل ذلك الجانب ؛ فدخلها خالد عنوة ودخلها أبو عبيدة صلحاً (٤٨).

٥ — بعد دمشق :

سار أبو عبيدة بعد فتح دمشق الى (فِحْل) بعد أن استخلف يزيد بن أبي سفيان على دمشق ، فشهد انتصار المسلمين في هذه المعركة التي كان من نتائجها

---

(٤٦) الطبري (٢/٦٢٦) .

(٤٧) البلاذري (١٢٧) .

(٤٨) الطبري (٢/٦٢٤–٦٢٧) . اما البلاذري في ص (١٢٩) فيذكر : ان أسقف دمشق لما رأى أبا عبيدة قد قارب دخول المدينة ، بدر خالد فصالحه وفتح له الباب الشرقي ، فدخل معه ، فقال بعض المسلمين : والله ما خالد بأمير ، فكيف يجوز صلحه ، فقال أبو عبيدة : « إنه يجير على المسلمين أدناهم » . وأجاز صلحه وأمضاه ... » انتهى .

وأكثر الروايات على ما ذكرناه في المتن ، لذلك رجحناه – خاصة وأنه أقرب لطبيعة القائدين : طبيعة أخلاق خالد المحاربة وطبيعة أخلاق أبي عبيدة المسالمة ، لذلك نرجح دخول خالد دمشق من الباب الشرقي قسراً ودخول أبي عبيدة من باب الجابية سلماً .

فتح الأردن على يد شرحبيل بن حسنة [٤٩] . وبينما كان أبو عبيدة يخوض معركة (فحل) ، كان يزيد بن أبي سفيان يخوض معارك فتح ساحل دمشق : صيدا وعِرْقَة وبيروت [٥٠] .

٦ – إكمال فتح سورية :

إنصرف أبو عبيدة بخالد بن الوليد ومن معه الى (حمص) ، وفي طريقه اليها اصطدم بقوات الروم في (مرج الروم) ، وأرسل خالد ليضرب من الخلف قوات الروم التي قصدت دمشق ، فاستطاع خالد كما استطاع أبو عبيدة الانتصار على الروم [٥١] .

واستمرّ أبو عبيدة في مسيره باتجاه هدفه (حمص) فسلك طريق (بَعْلَبَك) [٥٢] فطلب أهلها الأمان ، فأمّنهم وصالحهم ؛ وسار عنهم ، فنزل على (حمص) ومعه خالد ، ففتحها بعد حصار طويل على مثل صلح دمشق [٥٣] . ثم مضى الى (حَماة) [٥٤] فتلقّاه أهلها مذعنين ، فصالحهم على الجزية لرؤوسهم والخراج على أرضهم . ومضى نحو (شَيْزَر) [٥٥] فخرجوا اليه يسألون الصلح على ما صالح عليه أهل (حماة) ، فسار أبو عبيدة الى (معرّة

---

(٤٩) انظر التفاصيل في الطبري (٢/٦٢٨–٦٣٠) وابن الاثير (٢/١٦٥–١٦٦) والبلاذري ص (١٢٢) .

(٥٠) ابن الاثير (٢/١٦٥) .

(٥١) الطبري (٣/٩٦) وابن الاثير (٢/١٩٠) .

(٥٢) بعلبك : مدينة قديمة فيها أبنية عجيبة وآثار عظيمة بينها وبين دمشق ثلاثة ايام . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٢٦) والمسالك والممالك ص (٤٦) .

(٥٣) الطبري (٣/٩٧) وابن الاثير (٢/١٩٠) والبلاذري ص (١٣٦) .

(٥٤) حماه : مدينة كبيرة عظيمة يحيط بها سور ، تقع على نهر العاصي . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣/٣٣٥) .

(٥٥) شيزر : قلعة تشتمل على كورة بالشام قرب المعرة ، بينها وبين حماه يوم واحد . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٥/٣٢٤) .

حمص)[٥٦] ، وهي (معرة النعمان) ، فأذعنوا بالصلح على ما صالح عليه أهل (حمص) .

وسار أبو عبيدة الى (اللاذقية)[٥٧] وكان لها باب عظيم لا يمكن فتحها إلاّ بجماعة كبيرة من الناس ، فعسكر المسلمون على بعد منها ، ثم أمر فحفرت حفائر عظيمة تستر الحفرة منها الفارس راكباً ، ثم أظهر المسلمون أنهم عائدون عنها ورحلوا ، فلما أظلم الليل عادوا واستتروا في تلك الحفائر . وأصبح أهل (اللاذقية) وهم يرون أن المسلمين قد انصرفوا عنهم ، فأخرجوا سرحهم وانتشروا بظاهر البلد ، فلم يرعهم إلاّ والمسلمون يصيحون بهم ودخلوا معهم المدينة ، ففتحوها عنوة[٥٨] .

وأرسل أبو عبيدة خالداً الى (قِنَّسْرِيْن)[٥٩] ؛ وفي (الحاضر)[٦٠] اصطدم خالد بقوات الروم ، فاقتتلوا قتالاً لم يقتتلوا مثله من قبل ، وكانت نتيجة المعركة انتصار المسلمين على الروم ؛ فسار خالد حتّى نزل على (قنسرين) فتحصن أهلها منه ، ولكنهم صالحوه على مثل صلح (حمص) ، فأبى إلاّ على خراب المدينة[٦١] .

ولما فرغ أبو عبيدة من (قنسرين) سار الى حَلَب)[٦٢] فبلغه أن أهل

---

(٥٦) معرة حمص : مدينة كبيرة قديمة مشهورة من أعمال حمص بين حلب وحماة ، اطلق عليها اسم معرة النعمان على اسم الصحابي الجليل النعمان بن بشير الذي مات بها . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٥٦) والمسالك والممالك ص (٦٦) .

(٥٧) اللاذقية : مدينة في ساحل بحر الشام ، تعد من أعمال حمص . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٧/٣١٢) .

(٥٨) ابن الاثير (٢/١٩٠) ، وفي البلاذري ص (١٣٧) : أن الذي فتح اللاذقية هو عبادة ابن الصامت .

(٥٩) قنسرين : بلد في أرض الشام جنوب حلب . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٧/١٦٨) والمسالك والممالك ص (٤٦) .

(٦٠) الحاضر : خلاف البادي ، وهو بقرب قنسرين وهو حاضر قنسرين .

(٦١) الطبري (٣/٩٨) وابن الاثير (٢/١٩١) والبلاذري ص (١٥٠) .

(٦٢) حلب : مدينة عظيمة واسعة ، وهي قصبة قنسرين ، مسورة بحجر أبيض . راجع التفاصيل=

قنسرين نقضوا وغدروا ، فوجه اليهم السمط الكندي[٦٣] ، فأعاد فتحها .

ووصل أبو عبيدة الى (حاضر حلب)[٦٤] ، فصالح أصنافاً من العرب على الجزية ، ثم أسلموا بعد ذلك . وأتى (حلب) فتحصّن أهلها ، ولكنهم لم يلبثوا أن طلبوا الصلح والأمان على أنفسهم وأولادهم ومدينتهم وكنائسهم وحصنهم ، فأعطوا ذلك[٦٥] .

وسار أبو عبيدة من (حلب) الى (إنْطاكِيـَة)[٦٦] وقد تحصّن بها خلق كثير من (قنسرين) وغيرها ، فحصرها من جميع نواحيها ، فصالحوه على الجلاء أو الجزية ، فجلا بعضهم وأقام بعضهم ، فأمنهم[٦٧] .

وبلغ أبو عبيدة أنّ جمعاً من الروم بين (معرة مَصْرِيـْن)[٦٨] و (حلب) فقصدهم وقاتلهم وفتح (معرة مصرين) على مثل صلح (حلب) . وجالت خيوله ، فبلغت (يوقا)[٦٩] وفتحت قرى (الجُومة)[٧٠] و (سَرْمِين)[٧١] و (مَرْتَحْوَان)[٧٢] و (تِيْزِين)[٧٣] وغلبوا على جميع أرض (قنسرين)

= في معجم البلدان (٣/٣١١) والمسالك والممالك ص (٤٦) .

(٦٣) هو السمط بن عمرو الكندي .

(٦٤) حاضر حلب : الحاضر خلاف البادى وهو بقرب حلب . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢/١٩٩) .

(٦٥) ابن الأثير (٢/١٩١) والبلاذري ص (١٥٠) .

(٦٦) انطاكية : مدينة تعتبر قصبة العواصم من الثغور الشامية . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١/٣٥٣) .

(٦٧) ابن الاثير (٢/١٦٢) والبلاذري ص (١٥٢) .

(٦٨) معرة مصرين : بليدة وكورة بنواحي حلب ومن أعمالها ، بينهما نحو خمسة فراسخ . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٩٥) .

(٦٩) يوقا : بليدة قريبة من حلب ومن أعمالها .

(٧٠) الجومة : من نواحي حلب . راجع معجم البلدان (٣/١٧٦) .

(٧١) سرمين : بلدة مشهورة من أعمال حلب . راجع معجم البلدان (٥/٧٥) .

(٧٢) مرتحوان : من نواحي حلب . راجع معجم البلدان (٨/١٤) .

(٧٣) تيزين : قرية كبيرة من نواحي حلب ، كانت تعد من أعمال قنسرين . راجع معجم البلدان (٢/٤٤١) .

و (انطاكية)[٧٤] .

وسار أبو عبيدة يريد (قُورُس)[٧٥] ، فصالحها على صلح (انطاكية) . وبثّ خيوله فغلب على جميع أرض (قورس) ، وفتح (تل عزّاز)[٧٦] ، ثم فتح (منبج)[٧٧] و (دُلوُك)[٧٨] و (رَعْبان)[٧٩] صلحاً ، واشترط على أهلها أن يخبروا المسلمين بخبر الروم . ووجه أبو عبيدة خالداً وهو بـ (منبج) الى (مَرْعش)[٨٠] ففتحها وأجلى أهلها وأخربها ، كما إنه فتح حصن (الحَدَث)[٨١] ، وبذلك أكمل أبو عبيدة فتح (أرض الشام) من هذه الناحية الى الفرات ؛ فولّى على كل كورة فتحها عاملاً ، وضمّ اليه جماعة من الاداريين يعاونونه في إدارة منطقته وجيشاً يدافع عنها ، ثم عاد الى فلسطين[٨٢] .

وبينما كان أبو عبيدة يعمل جاهداً لاكمال فتح سورية ، كان عمرو بن العاص يعمل جاهداً لفتح فلسطين ، فجاءه أبو عبيدة ، وحاصروا (ايلياء)[٨٣] .

(٧٤) ابن الاثير (٢/١٩٢) والبلاذري ص (١٥٤) .

(٧٥) قورس : مدينة ازلية بها آثار قديمة . وهي كورة من نواحي حلب . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٧/١٨١) .

(٧٦) تل عزاز : بليدة فيها قلعة تقع شمالي حلب ، بينهما يوم واحد . راجع معجم البلدان (٦/١٦٨) .

(٧٧) منبج : بلدة قديمة كبيرة واسعة ، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ وبينها وبين حلب عشرة فراسخ . راجع معجم البلدان (٨/١٦٩) .

(٧٨) دلوك : بليدة من نواحي حلب بالعواصم . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤/٦٨) .

(٧٩) رعبان : مدينة بالثغور بين حلب وسميساط قرب الفرات ، معدودة من العواصم . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤/٢١٦) .

(٨٠) مرعش : مدينة في الثغور بين الشام وبلاد الروم ، لها سوران وخندق ، وفي وسطها حصن عليه سور . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٢٥) .

(٨١) الحدث : قلعة حصينة بين ملطية وسميساط ومرعش ، من الثغور ، يقال لها : الحمراء ، وقلعتها على جبل يقال له : الاحيدب . راجع معجم البلدان (٣/٢٣١) ، وعن فتح مرعش والحدث راجع تاريخ أبي الفداء (١/١٦٠) .

(٨٢) ابن الاثير (٢/١٩٢) والبلاذرى (١٥٥) .

(٨٣) ايلياء : اسم مدينة بيت المقدس . ومعناها : بيت الله . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١/٣٩٢) .

وهي بيت المقدس ، فطلب أهلها أن يصالحهم أبو عبيدة على مثل صلح أهل الشام ، وأن يكون المتولي لعقد الصلح عمر بن الخطاب ، فكتب أبوعبيدة الى عمر بذلك ، فقدم عمر وفتح مدينة القدس (٨٤) .

٧ – الدفاع عن حمص :

عاد أبو عبيدة الى (حمص) بعد فتح القدس ، فقصده الروم ، وكان المهيج لهم هم أهل (الجزيرة) (٨٥) ، فقد راسلوا ملك الروم وحثّوه على إرسال الجيوش لاسترداد الشام ، وتطوّعوا من أجل ذلك لمعاونته .

وسمع أبو عبيدة باجتماع الروم وحلفائهم ، فضمّ اليه مسالح المسلمين وعسكر في داخل مدينة (حمص) . وأقبل خالد من (قنسرين) اليهم ، فاستشاره أبو عبيدة في مهاجمة الروم او التحصين الى مجيء الإمدادات ، فأشار خالد بالمناجزة وأشار غيره بالتحصين ، فأطاع أبو عبيدة الأكثرية ، وكتب بذلك الى عمر .

وكان عمر قد أعدّ في كل مصر من أمصار المسلمين الكبيرة ومنها الكوفة ، قوة احتياطية سريعة من الفرسان ، فكان بالكوفة وحدها أربعة آلاف فارس ، وكان واجب هذه القوات الاحتياطية السريعة ، اسناد مواقع المسلمين التي يتهدّدها الخطر اسناداً فورياً حتى يتجهز الناس ، فلما سمع عمر الخبر ، كتب الى سعد بن أبي وقاص : « اندب الناس مع القعقاع بن عمرو وسرّحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي الى حمص ، فإن أبا عبيدة قد أُحيط به ، وتقدّم اليهم في الجد والحث » وكتب اليه ايضاً ، « أن يسرّح سهيل بن عدي الى (الرّقة) (٨٦) لأن أهل (الجزيرة) هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص ،

---

(٨٤) ابن الأثير (٢/١٩٣) والبلاذري ص (١٤٥) .

(٨٥) الجزيرة : هي التي بين دجلة والفرات مجاورة أرض الشام ، تشمل على ديار مضر وديار بكر ، راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣/٩٦) .

(٨٦) الرقة : مدينة مشهورة على الفرات . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٢٧٢) والمسالك والممالك ص (٥٣) .

وأمره ان يُسرِّح عبدالله بن عبدالله بن عتبان الى (نصيبين) [٨٧] ، ثم ليقصد (حرّان) [٨٨] و (الرُها) [٨٩] ، وأن يسرّح الوليد بن عقبة على عرب (الجزيرة) من ربيعة وتنوخ ، وأن يُسرّح عياض بن غَنْم ، فان كان قتال ، فأمرهم الى عياض » .

ومضى القعقاع من يومه على رأس أربعة آلاف فارس الى حمص [٩٠] ، وخرج عياض وأمراء (الجزيرة) وأخذوا طريق (الجزيرة) ، وتوجّه كل أمير الى المنطقة التي أُمّر عليها ، وخرج عمر بن الخطاب بنفسه فأتى (الجابية) يريد حمص مغيثاً لأبي عبيدة .

وبلغ أهل (الجزيرة) الذين أعانوا الروم على أهل حمص أن جنود المسلمين قد تحركوا من الكوفة دون أن يعرفوا الوجهة الحقيقية لهم : أي هل يتجهون صوب الجزيرة أم يتجهون الى حمص ؛ لذلك تفرّق أهل الجزيرة الى بلدانهم لحمايتها والدفاع عنها من الخطر المباشر الذي داهمها ؛ وبقي الروم وحدهم حول حمص ، فقاتلهم المسلمون وانتصروا عليهم بسهولة قبل أن يبلغ القعقاع حمص بثلاثة أيام ؛ فكتب عمر الى أبي عبيدة كي يشرك أهل الكوفة في العطاء وقال : « جزى الله أهل الكوفة خيراً : يكفون حوزتهم ويمدّون أهل الأمصار [٩١]

وبذلك استطاع أبو عبيدة ترصين ما فتحه من أرض الشام ، وإكمال فتح

---

(٨٧) نصيبين : مدينة كبيرة عامرة في بلاد الجزيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٤١/٣) والمسالك والممالك ص (٥٤) .

(٨٨) حران : مدينة عظيمة مشهورة في الجزيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٤١/٣) والمسالك ص (٥٤) .

(٨٩) الرها : مدينة في الجزيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٤٠/٤) والمسالك والممالك ص (٥٤) .

(٩٠) حركة أربعة آلاف فارس في يوم واحد الى هدف بعيد ليس سهلا . انه يكاد يكون مستحيلا في ايامنا الحاضرة ، فكيف انجزه المسلمون قبل اربعة عشر قرناً ؟! وانظر التفاصيل في قادة فتح العراق والجزيرة (٣١١ – ٣١٢) .

(٩١) الطبري (١٥٠/٣) وابن الاثير (٢٠٥/٢) .

كل أرض الشام : سورية ولبنان وفلسطين والأردن [٩١أ] .

الانسان :

١ — كان أبو عبيدة معروق الوجه ، خفيف اللحية ، طوالاً ، أجنأ ، أثرم [٩٢] وما رؤي أهتم قط أحسن منه [٩٣] ، وكان يخضب رأسه ولحيته بالحناء والكتم [٩٤] .

وربما كان هناك من يشابهه في صفاته الجسيمة وفي مزايا قيادته ، ولكنّ أبا عبيدة تفوّق على أقرانه في مزاياه الانسانية ، وحسبه أن يكون فريداً في خلقه حتّى بين الصحابة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ قال : « ما أحد من أصحابي إلاّ لو شئت لأخذت عليه في خلقه ، ليس أبا عبيدة بن الجراح »[٩٥] . وكان يدعى بين الصحابة : القوي الأمين ، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهل نجران : « لأرسلن معكم القوي الأمين » ولقوله : « لكل أمة أمين ، وأمين أمتي ابو عبيدة بن الجراح » [٩٦] ، لذلك كان من أحبّ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى النبي ، فقد قيل لعائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : أي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أحب اليه ؟ فقالت : « أبو بكر ثم عمر ثم أبو عبيدة بن الجراح » [٩٧] .

وقد وصفه عبدالله بن عمرو [٩٨] قائلاً : « أصبح الناس وجوهاً وأحسنهم

(٩١أ) تردد تفاصيل ذلك في هذا الكتاب .

(٩٢) الاصابة (٤/١٢) وطبقات ابن سعد (٧/٣٨٤) . ومعروق الوجه : أي قليل لحم الوجه . أجنأ : ناتىء الوجنة . أثرم : انكسرت ثنيتاه .

(٩٣) اسد الغابة (٣/٨٥) والاستيعاب (٢/٧٩٣) ، وأهتم : انكسرت ثنيتاه .

(٩٤) الاصابة (٤/١٣) وأسد الغابة (٣/٨٦) ، والكتم : نبت يخلط بالوسمة يختضب به .

(٩٥) الاصابة (٤/١٢) والاستيعاب (٢/٧٩٣) .

(٩٦) الاستيعاب (٢/٧٩٣) .

(٩٧) الاصابة (٤/١٢) .

(٩٨) عبد الله بن عمرو بن العاص : أسلم قبل أبيه ، وكان فاضلا حافظاً عالماً ، قرأ القرآن=

خلقاً وأشدهم حياء ثلاثة : أبوبكر وعثمان وأبوعبيدة »[٩٩] .

لقد كان احد العشرة السابقين للاسلام[١٠٠] وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة[١٠١] . ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أتى بعض الناس أبا عبيدة ليبايعوه بالخلافة ، فقال : « اتأتوني وفيكم ثالث ثلاثة ؟ » يريد أبا بكر الصديق ، إشارة للآية الكريمة : (إذ هما في الغار ، إذ يقول لصاحبه : لا تحزن إنّ الله معنا) ، وكان عمر بن الخطاب ممن أتاه يومذاك ، فقال : « أبسط يدك فلأبايعك ، فإنك أمين هذه الأمة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم » . فقال ابو عبيدة لعمر : ما رأيت لك فهّـة قبلها منذ أسلمتَ : أتبايعني وفيكم الصدّيق وثاني اثنين ؟ ! »[١٠٢] . وبينما كان عمر وأبو عبيدة في هذا الحديث ، عَلِما بأن الانصار قد اجتمعوا في سقيفة بني ساعدة لاختيار خليفة للمسلمين ، فأرسل عمر الى أبي بكر في بيت عائشة أُم المؤمنين ، وقصدوا سقيفة بني ساعدة ، فقال أبو بكر :

= والكتب **المتقدمة**، واستأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكتب حديثه فأذن له ، قال: « يا رسول الله ! اكتب كل ما اسمع منك في الرضاء والغضب ؟ » . قال : « نعم ، فاني لا أقول إلا حقاً » وكان يسرد الصوم ولا ينام الليل ، فشكاه أبوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : « ان لعينيك عليك حقاً ، وان لاهلك عليك حقاً ، قم ونم وصم وافطر . صم ثلاثة ايام من كل شهر فذلك صيام الدهر » فقال : « إني أطيق أكثر من ذلك » فلم يزل يراجعه في الصيام ، حتى قال له: « لا صوم أفضل من صوم داوود ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً » فوقف عبد الله عند ذلك وتمادى عليه .

واعتذر رضي الله عنه عن شهوده صفين، وأقسم أنه لم يرم فيها برمح ولا سهم، وانه انما شهدها لعزمة أبيه عليه في ذلك ، وان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : « اطع اباك » .

كان أبيض الرأس واللحية ، طوالا احمر عظيم البطن ، وقد عمي في آخر ايامه ، وتوفي بالشام سنة خمس وستين وهو يومئذ ابن اثنتين وسبعين . وقد روى عن ابي بكر وعمر . راجع التفاصيل في طبقات ابن سعد (٢٦١/٤) والاصابة (١١١/٤) واسد الغابة (٢٣٣/٣) والاستيعاب (٩٥٦/٣) .

(٩٩) الاصابة (١٣/٤) .

(١٠٠) الاصابة (١١/٤) .

(١٠١) أسد الغابة (٨٥/٣) والاستيعاب (٧٩٣/٢) والسيرة الحلبية (٣٦٦/٣) .

(١٠٢) طبقات ابن سعد (٨١/٣) والسيرة الحلبية (٣٩٥/٣) ، والفهة : هي السقطة .

« ما هذا ؟! » ، فقال الأنصار : « منا أمير ومنكم أمير » ، فقال أبو بكر : منا الأمراء ومنكم الوزراء » ، ثم قال : « وقد رضيتُ لكم أحد هذين الرجلين : عمر وأبا عبيدة أمين هذه الأمة » ، فقال كل من عمر وأبي عبيدة : « لا ينبغي لأحد أن يكون فوقك يا أبا بكر » ، فبايعاه[١٠٣] .

٢ ــ وفي خلافة أبي بكر ، تولىّ أبو عبيدة أمر المال[١٠٤] أول ما تولىّ من مناصب ، وهو الذي فرض لأبي بكر قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم في سعة الرزق ولا بأفقرهم وكسوة الشتاء والصيف[١٠٥] ، وذلك ليتفرغ أبو بكر لادارة أمور المسلمين وينصرف عن التجارة حرفته السابقة .

وولاّه أبو بكر القيادة العامة في (أرض الشام) ، فاستعفاه أبو عبيدة من ذلك[١٠٦] ، ولكن أبا بكر أصرّ على رأيه ، فلما تحرّج موقف المسلمين في (أرض الشام) واجتمعوا باليرموك ، ولّى أبو بكر خالداً منصب القيادة العامة في الشام بدلاً عن أبي عبيدة[١٠٧] الذي بقي على جند (حمص)[١٠٨] ولكن عمر بن الخطاب أعاده الى منصب القيادة العامة بعد وفاة أبي بكر[١٠٩] وصيّر خالداً موضع أبي عبيدة[١١٠] ، أي ان خالداً أصبح قائداً مرؤوساً لأبي عبيدة في (أرض الشام) ، فلم يخبر أبو عبيدة خالداً بعزله إكراماً له وإجلالاً[١١١] ، فلما علم خالد

---

(١٠٣) ابن الاثير (٢/١٢٣) والسيرة الحلبية (٣/٣٩٥) واليعقوبي (٢/١٠٢) والاستيعاب (٣/٧٩٣) .

(١٠٤) الطبري (٢/٣٩٧) وابن الاثير (٢/١٦١) .

(١٠٥) السيرة الحلبية (٣/٣٩٧) .

(١٠٦) البلاذري ص (١١٦) .

(١٠٧) فتوح الشام للواقدي (١/١٤) والبلاذري ص (١١٧) والاغاني (١٤/٢٦) .

(١٠٨) ابن الاثير (٢/١٥٥) .

(١٠٩) طبقات ابن سعد (٧/٣٩٧) .

(١١٠) اليعقوبي (٢/١١٧) .

(١١١) ابن الاثير (٢/٢٠٧٨) وفي رواية أخرى أن خالداً علم بعزله قبل أن يعلم به أبو عبيدة . راجع الطبري (٢/٥٩٥) وابن الاثير (٢/١٥٨) .

بعزله واستعمال أبي عبيدة مكانه ، قال للناس : « بعث عليكم أمين هذه الأمة » ، وقال أبو عبيدة للناس عن خالد : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : خالد سيف من سيوف الله ، نعم فتى العشيرة »(١١٢).. لقد كان كلاهما فوق المناصب ، وكلاهما يعتبر المنصب (تكليفاً) لا (تشريفاً) ، فلا عجب ألا يؤثّر عزل أحدهما على نفسيتيهما ولا على علاقاتهما الشخصية .

وكما كان ابو عبيدة لا يكترث بالمناصب ، كان لا يكترث بمتاع الدنيا من مال وعقار ، فقد أرسل عمر بن الخطاب الى أبي عبيدة بأربعة آلاف درهم وأربعمائة دينار ، وقال لرسوله : « انظر ما يصنع ! » ، فقسّمها أبو عبيدة ، فلما أخبر عمرَ رسولُه بما صنع أبو عبيدة بالمال قال « الحمد لله الذي جعل في الاسلام من يصنع هذا ! »(١١٣) .

ولما قدم عمرُ الشامَ ، تلقّاه أمراء الأجناد وعظماء اهل الأرض ، فقال عمر : « أين أخي ! » فقالوا : مَن ؟ قال : « أبو عبيدة » ، قالوا : يأتيك الآن ! . فجاء على ناقة مخطومة بحبلٍ ، فسلّم عليه ، فقال عمر للناس : « انصرفوا عنا ! » ، وسار مع أبي عبيدة حتى أتى منزله فنزل عليه ، فلم ير في بيته إلا سيفه وترسه ، فقال عمر : « لو اتخذت متاعاً – أو قال – شيئاً » ، فقال أبو عبيدة : « يا أمير المؤمنين إن هذا سيبلغنا المقيل »(١١٤) .

---

(١١٢) الاصابة (٢/٥٩٥) واسد الغابة (٣/٥٨) والاستيعاب (٢/٧٩٤) .

(١١٣) طبقات ابن سعد (٣/٤١٣) .

(١١٤) الاصابة (٤/١٢) وأسد الغابة (٣/٨٦) والمقيل : النوم عند الظهيرة . وفي رواية ان عمر قال : « اذهب بنا الى منزلك يا أبا عبيدة » ، فقال له : « وما تصنع عندي يا أمير المؤمنين ؟ ما تريد الا أن تعصر عينيك علي ! » . ودخل عمر فلم ير في البيت شيئاً ، فقال : « فأين متاعك ؟ لا أرى إلا لبداً وصفحة وشناً – الشن القربة الخلق – وأنت أمير ! أعندك طعام ؟ » فقام أبو عبيدة الى جونة – الجونة هي سلة مستديرة – فأخذ منها كسيرات ، فبكى عمر ، فقال له أبو عبيدة : « قلت لك انك ستعصر عينيك عليّ يا أمير المؤمنين ! يكفيك من الزاد ما بلغك المحل ! ! » فقال عمر : « غيرتنا الدنيا كلنا غيرك يا أبا عبيدة » ! .

٣ ــ وكان على جانب عظيم من الورع والتقوى والاخلاص لعقيدته ، فقد قتل أباه يوم (بدر) لأن العقائد فرقت بينهما ففصلت بينهما السيوف ؛ وهو الذي قال لعمر حين أراد الرجوع من حيث أتى لما علم بانتشار وباء الطاعون في (أرض الشام) : « أتفرّ من قدر الله ؟ » فقال عمر : « لو غيرك قالها يا أبا عبيدة ! نعم نفرُّ من قدر الله تعالى الى قدر الله تعالى .. وذلك دلّ على جلالة قدر أبي عبيدة عند عمر (١١٥) . ولما حضرته الوفاة قال : غفر الله لعمر بن الخطاب رجوعه من « سَرْغ » (١١٦) ، ثم قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : المطعون شهيد ، والمبطون شهيد ، والغريق شهيد ، والحرق شهيد ، والهدم شهيد ، والمرأة تموت بجمع شهيدة ، وذات الجنب شهيدة » (١١٧) ، لذلك حرص أبو عبيدة على أن يصاب بالطاعون لينال شرف الشهادة ؛ فقد كان معافى وأهله من الطاعون ، فقال : « اللهم نصيبك في آل أبي عبيدة » ، فخرجت في خنصره بثْرة فجعل ينظر اليها ، فقيل له إنها ليست بشيء ، فقال : « إني لأرجو أن يبارك الله فيها ، فانه إذا بارك في القليل كان كثيراً » (١١٨) .

وأراد عمر بن الخطاب ان يستخرج أبا عبيدة من منطقة الوباء بعد اشتداده ، فكتب اليه : « سلام عليك . أما بعد . فقد عرضت لي اليك حاجة أريد أن أشافهك فيها ، فعزمت عليك إذا أنت نظرت في كتابي هذا ، ألاّ تضعه من يدك حتى تقبل » ، فعرف أبو عبيدة ما أراد عمر ، فكتب اليه : « يا أمير المؤمنين . قد عرفت حاجتك إليّ ، وإني في جند المسلمين لا أجد

---

(١١٥) الاصابة (١١/٤) .

(١١٦) سرغ : هو أول الحجاز وآخر الشام بين المغيثة وتبوك من منازل حاج الشام ، وفيها لقي عمر بن الخطاب أمراء الأجناد . بينها وبين المدينة ثلاث عشرة مرحلة ، وهناك ايضاً لقي عمر من اخبره بطاعون الشام ، فرجع الى المدينة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٥/٧٠) .

(١١٧) طبقات ابن سعد (٣/٤١٤) .

(١١٨) اسد الغابة (٣/٨٦) .

فبنسي رغبة عنهم ، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمره وقضاءه ؛ فخلني من عزيمتك » ، فلما قرأ عمر هذا الكتاب بكى ، فقال الناس : يا أمير المؤمنين ! أمات عبيدة ؟! ، فقال : « لا ، وكأن قد » (١١٩) ؛ وفعلاً مات أبو عبيدة بالطاعون سنة ثماني عشرة للهجرة (٦٣٩ م) في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو ابن ثمان وخمسين سنة (١٢٠) ، أي إنه ولد سنة أربعين قبل الهجرة (٥٨٤ م) وقبره بـ (عَمْواس) (١٢١) وهو من الرملة على اربعة اميال مما يلي بيت المقدس (١٢٢) ، وفي رواية ان قبره في (فحل) من أرض الأردن ، إذ انطلق يريد الصلاة ببيت المقدس ، فأدركه أجله بـ (فحل) فتوفي فيها ؛ ويقال : إنّ قبره بـ « بيسان » (١٢٣) ، ولا عقب له (١٢٣ أ) . وأرجّح أن يكون

---

(١١٩) ابن الاثير (٢/٢١٦) .

(١٢٠) طبقات ابن سعد (٣/٤١٤-٤١٥) و (٧/٣٨٥) وابن الاثير (٢/٢١٦) ومعجم البلدان (٦/٢٢٦) والاصابة (٤/١٣) وأسد الغابة (٣/٨٦) والاستيعاب (٢/٨٩٤) .

(١٢١) عمواس : هي كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس ، وهي على أربعة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦/٢٢٥) .

(١٢٢) طبقات ابن سعد (٣/٤١٥) و (٧/٣٨٥) .

(١٢٣) الاصابة (٤/١٣) وأسد الغابة (٣/٨٦) ، وقد جاء في الصفحة (٣٧٦) من المجلد الاول من دائرة المعارف الاسلامية : « إن أبا عبيدة توفي بالطاعون عام ١٨ هـ ، في (أمواس) وان قبره بجامع الجراح بدمشق » ، وقد عرب مترجمو دائرة المعارف هذه (عمواس) بـ (أمواس) !

والحقيقة إن أبا عبيدة توفي بالطاعون الذي ينسب الى عمواس لا (أمواس) كما ترجمت خطأ وقد تفشى هذا الوباء في أرض الشام فمات به خلق كثير منهم أبو عبيدة .

وهناك قبر ينسب الى أبي عبيدة في غور الأردن . رمم ضريحه في عهد السلطان بيبرس كما جاء في الكتابة المنقوشة عليه ، وهذه صورة عنها :

بسم الله الرحمن الرحيم

وأمر بانشاء هذه القبة المباركة على ضريح أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه مولانا السلطان الأعظم سيد ملوك العرب والعجم ، ركن الدنيا والدين سلطان الاسلام والمسلمين أبو الفتح بيبرس بن عبد الله قيم أمير المؤمنين خلد الله ملكه ابتغاء مرضاة الله ورسوله مما وقفه عليه وحبسه من نصف مناصفات دير (معل تونين) من حمص من عمل حصن اكراد المحروس تحبيساً مؤبداً دائماً، أثاب=

قبره في (عَمْوَاس) لأن أكثر المصادر وأوثقها تؤيد ذلك ... فلم تُر فجيعة بين المسلمين بعد فجيعتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق أشد وقعاً عليهم ولا أكثر حزناً لهم من فجيعتهم بهذا الرجل الصادق الأمين . قال مُعاذ بن جبل[١٢٤] يبكيه : « إنكم فُجعتم برجل ما أزعم والله اني رأيت من عباد الله قط أقل حقداً ولا أبرّ صدراً ولا أبعد غائلة ولا أشدّ حياء للعاقبة ولا أنصح للعامة منه ، فترحّموا عليه »[١٢٥] .

لقد كان أبو عبيدة معروفاً بسلامة الدين وقوّة اليقين والخلق المتين ، فكان رجلاً ليناً سهلاً هيناً عليه أمر الدنيا[١٢٦] حسن الخلق متبعاً لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم[١٢٧] ولأمر خلفائه من بعده ، وعلى شدة ورعه كان يقول : « والله ما منكم أحد يفضلني بتقى ، الا وددتُ أني

= الله واقفه بجوده وكرمه يوم يجزي الله المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين . وذلك بنظر الأمير الأعز الأجل الكبير نسله ناصر الدين الجامنكلي الظاهري السعدي نائب مملكة (عجلون) المحروسة في ذي الحجة سنة ستمائة وسبعة وخمسون » انظر العدد (١٣٩) الصادر في (٧ ذي الحجة سنة ١٣٥٤ هـ — ٢ آذار ١٩٢٦ م) ص (٣٥٩) من مجلة الرسالة المصرية.

(١٢٣ أ) البدء والتاريخ (٥/٨٧) .

(١٢٤) معاذ بن جبل الانصاري الخزرجي : يكنى أبا عبد الرحمن ، وكان طوالا حسن الشعر عظيم العينين أبيض براق الثنايا . وهو أحد السبعين الذين شهدوا العقبة من الأنصار . وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين عبد الله بن مسعود . شهد العقبة وبدراً والمشاهد كلها وبعثه الرسول قاضياً الى الجند من اليمن يعلم الناس القرآن وشرائع الاسلام ويقضي بينهم ، وجعل اليه قبض الصدقات من العمال الذين باليمن . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن معاذ : « أعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل » وقال عنه : « يأتي معاذ بن جبل يوم القيامة أمام العلماء » .
شهد اليرموك وأكثر معارك فتح الشام وتوفي بناحية الأردن في طاعون (عمواس) سنة ثماني عشرة وهو ابن ثمان وثلاثين سنة وليس له عقب . راجع طبقات ابن سعد (٣/٥٨٣) و (٧/٣٨٧) والاصابة (٦/١٠٦) واسد الغابة (٤/٣٧٦) والاستيعاب (٣/١٤٠٢) .

(١٢٥) الاصابة (٤/١٢-١٣) .

(١٢٦) سيرة ابن هشام (٤/٢٩٩) .

(١٢٧) الاصابة (٤/١٢) .

بسلامة » (١٢٨) . ولم يكتف بانفاق كل ماله في سبيل الله ، بل كان يتمنى أن يكون كبشاً يذبحه أهله ، فكان يقول : « وددت أني كبش فذبحني أهلي فأكلوا لحمي وحسوا مرقي » (١٢٩) ، وهذا منتهى نكران الذات والتخلي عن أهواء النفس الأمارة بالسوء .

ولم يكن يضحي من أجل أهله فقط ، بل كان يضحي من أجل المسلمين كافة ، فالمسلمون كلهم إخوته ، لأن المؤمنين إخوة . ففي عام الرمادة حين أصاب الناس مجاعة وجدب وقحط ، كتب عمر الى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومن حولها ويستمدهم ، فكان أول من قدم عليه أبو عبيدة بأربعة آلاف راحلة من طعام ، فولاّه عمر قسمتها فيمن حول المدينة ، فقسمها (١٣٠) ورجع اليه ، فأمر له بأربعة آلاف درهم ، فقال : « لا حاجة لي فيها يا أمير المؤمنين ، وإنما أردت الله وما قبله ، فلا تدخل عليّ الدنيا » ، فقال عمر : « خذها ، فلا بأس بذلك إذا لم تطلبه ! » فأبى ؛ فقال عمر : « خذها ، فإني قد وليت لرسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذا ، فقال لي مثل ما قلت لك ، فقلت له كما قلت لي ، فأعطاني » ، فقبل أبو عبيدة وانصرف الى عمله (١٣١) .

لقد كان أبو عبيدة من أصحاب المُثُل العليا فهو يعمل لها لا للمال ؛ والفرق بين أصحاب المثل العليا وغيرهم ، أن الأولين يعملون لمثلهم ويتحمّلون كل تضحية من أجلها ؛ وأن الآخرين يعملون لبطونهم وجيوبهم ، فهم من هذه الناحية كالسوائم أو هم أحط دركاً .

٤ — وبالاضافة الى كل ذلك ، كان أبو عبيدة متفقهاً في الدين ، فقد

---

(١٢٨) الاصابة (٤/١٣) وفي طبقات ابن سعد (٣/٤٢٢) : « يا أيها الناس إني إمروٌ من قريش ، وما منكم من أحد أحمر ولا أسود يفضلني بتقوى الله الا وددت أني في مسلاخه » .

(١٢٩) أسد الغابة (٣/١٨٦) وطبقات ابن سعد (٣/٤١٣) .

(١٣٠) الطبري (٣/١٩٣) وابن الاثير (٢/٢١٥) .

(١٣١) الطبري (٣/١٩٣) .

سأل أهل اليمن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعث معهم رجلاً من أصحابه يعلّمهم السنة والاسلام ، فأخذ بيد أبي عبيدة وقال : « هذا أمين هذه الأمة »[١٣٢] ؛ وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أربعة عشر حديثاً[١٣٣] ، وكان معدوداً من أصحاب الفتيا من الصحابة[١٣٤] ، وكان من المعدودين الذين نالوا شرف المشاركة في جمع القرآن العظيم[١٣٥] .

لقد كان أبو عبيدة مثالاً حياً للخلق الكريم والايمان العميق والاخلاص النادر لعقيدته وللمسلمين عامة ، فلا تعجب بعد هذا أن يقول عنه النبي الكريم « نعم الرجل أبا عبيدة »[١٣٦] ، وأن يقول عمر يوماً لجلسائه : « تمنّوا » ، فتمنوا ، فقال عمر : « ولكني أتمنّى بيتاً ممتلئاً رجالاً مثل أبي عبيدة بن الجراح » . وقال عمر : « لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح فاستخلفته فسألني عنه ربي ، لقلت سمعت نبيك يقول : هذا أمين هذه الأمة » . وقال مرة أخرى : « لو أدركت أبا عبيدة بن الجراح لاستخلفته وما شاورت ، فان سئلت عنه قلت : استخلفت أمين الله وأمين رسوله »[١٣٧] ، وكان يقول عنه : « لا أمير على أبي عبيدة »[١٣٨] .

لقد كان أبو عبيدة أمة وحده في مزاياه الانسانية الرفيعة .

---

(١٣٢) طبقات ابن سعد (٤١١/٣) والاصابة (١١/٤) .

(١٣٣) أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد – لابن حزم – ملحق بجوامع السيرة ص (٢٨٤) وانظر حديث ابي عبيدة بن الجراح في مسند الامام احمد بن حنبـل (١٩٥/١) .

(١٣٤) أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم من كثرة الفتيا – لابن حزم – ملحق بجوامع السيرة ص (٣٢٠) .

(١٣٥) انظر العدد الثاني عشر من السنة الرابعة عشرة من مجلة لواء الاسلام الصادرة في غرة شعبان ١٣٨٠ هـ ، في ص (٦٧١) .

(١٣٦) طبقات ابن سعد (٤١٢/٣) .

(١٣٧) طبقات ابن سعد (٤١٢/٣) . وانظر الامامة والسياسة لابن قتيبة (٢٣/١) حول رغبة عمر في استخلاف ابي عبيدة لو كان حياً .

(١٣٨) فتوح الشام للواقدي (٨/١) .

القائد :

لئن كانت شهرة خالد بن الوليد الحربية سبقته الى أهل الردة والى العراق وأرض الشام ، فتحدّث عنها العدو والصديق ، فان شهرة أبي عبيدة في الحلم والرفق وسعة الصدر والأمانة والصدق وحب السلام قد سبقته كذلك الى أهل الشام ، لذلك أحبّوه ويسّروا له مهمته ؛ وكان من أثر ذلك أن كثر تسليم مدن الشام له صلحاً ، وبذلك حُقنت كثير من الدماء واطمأنت كثير من النفوس .

لقد توفّرت في أبي عبيدة — بالإضافة الى خلقه الرفيع وايمانه الراسخ — بعض المزايا العسكرية التي أهلته لتولي القيادة في عهد الرسول القائد وفي عهد الشيخين : أبي بكر وعمر بن الخطاب من بعده .

فقد كان من شجعان قريش المعدودين ، ثبت حين انهزم الناس يوم (أُحُد) — ذلك اليوم الذي لم يثبت فيه إلا أشجع الشجعان ؛ كما كان ذا عقيدة من الطراز الأول يستهين بالأخطار في سبيل عقيدته ، وكان ذا عقلية متزنة وذكاء وقّاد كان لهما أثر مهم على إعداده خططه العسكرية الصحيحة ، وكان موضع ثقة الناس وحبهم له الى درجة الافتتان بمزاياه الخلقية والعقائدية ، وكان يساوي نفسه برجاله بل يستأثر دونهم بالأخطار : « إني من جند المسلمين لا أجد بنفسي رغبة عنهم ، فلست أريد فراقهم حتى يقضي الله فيّ وفيهم أمره وقضاءه »(١٣٩) ، كما كتب لعمر بن الخطاب حين أراد عمر أن يستخرجه من منطقة الوباء .

لقد كان أبو عبيدة قائداً مكيثاً ، والحرب لا يُصْلِحُها إلا الرجل المكيث كما كان يقول عمر بن الخطاب(١٤٠) ، وكان قائداً (مُتَّبِعاً) يتلقّى الأوامر وينفّذها بكل أمانة وإخلاص ؛ وقد بقي بعد معركة (اليرموك)

---

(١٣٩) ابن الاثير (٢/٢١٦) .

(١٤٠) الطبري (٢/٦٣١) .

في موضعه لا يبرحه حتى أتاه رأي عمر وأمره[١٤١] ؛ وهذا دليل على شدّة ضبط أبي عبيدة وايمانه بضرورة إطاعة أوامر مرجعه الأعلى.

ولعل هناك من يأخذ على أبي عبيدة تريّثه الشديد قبل الاقدام على خوض معركة من معاركه ، والحق أن هذا التريث كان موضع نقد كثير من المندفعين المتحمسين في جيشه ؛ فقد بلغ مُعاذ بن جبل أن بعض أهل الشام استعجز أبا عبيدة أيام حصار (دمشق) ورجّح خالد بن الوليد ، فغضب معاذ وقال : أبأبي عبيدة يُظن ؟ ! والله إنه لمن خير من يمشي على الأرض »[١٤٢] . وسمع مُعاذ رجلاً يقول : « لو كان خالد بن الوليد ، ما كان البأس ذو كَون » ، وذلك في أيام حصر أبي عبيدة بحمص ، فقال معاذ : « فإلى أبي عبيدة تضطر المعجزة ؟! لا أبا لك ؟! والله إنه لمن خير من على الأرض»[١٤٣] ، وهذا يدلّ على مبلغ ثقة كبار الصحابة بقيادة أبي عبيدة وشدّة اعتمادهم عليه .

لقد كان من القادة الذين يستشيرون رجالهم في كل خطوة يخطونها ، وعندما تحشّد الروم لاستعادة أرض الشام ، إستشار اصحابه ، فأشار عليه الأكثرية بقبول الحصار في (حمص) ؛ أما خالد بن الوليد فأشار عليه بالهجوم على جموع الروم ؛ ولكن أبا عبيدة أخذ برأي الأكثرية فاستمدّ عمر بن الخطاب وأخبره بالموقف الراهن .

وكان بعيد النظر ، يُدخل في حسابه أسوأ الاحتمالات ، لذلك شحن النواحي المخوفة[١٤٤] بالرجال للدفاع عنها عند الحاجة ريثما تردهم الامدادات ، وبهذه التدابير الاحتياطية لم يستطع العدو في أيامه استعادة أيّ موقع فتحه المسلمون . وإذا كان الايمان بالقضاء والقدر عاملاً من

---

(١٤١) الطبري (٥٩٩/١) .

(١٤٢) الاصابة (١٢/٤) .

(١٤٣) طبقات ابن سعد (٤١٤/٣) .

(١٤٤) ابن الاثير (١٩٢/٢) .

عوامل انتصار المسلمين ، فقد كان أبو عبيدة مثالاً شخصياً رائعاً لرجاله في إيمانه العميق بالقضاء والقدر ، وكم كان مهيباً مؤثراً في نفوس رجاله حين كان يتجوّل في معسكراتهم وهو يقول « ألا رُبّ مبيض لثيابه وهو مدنّس لدينه ! ألا رُبّ مكرم لنفسه وهو لها مهين غدا ! إدفعوا السيئات القديمات بالحسنات الحادثات ... » ...

وهو بالاضافة الى ذلك ، كان صحيح القرار غير متسرع في إصداره ، ذا إرادة قوية نافذة ونفسية لا تتبدل في حالتي النصر والاندحار ، وشخصيته قوية وله قابلية بدنية ممتازة ، يثق برجاله ويثقون به ويحبهم ويحبونه ، وله ماض ناصع مجيد .

ولهذه الأسباب أمّره الرسول القائد عليه الصلاة والسلام في حياته على بعض سرايا المسلمين في ثلاث غزوات ، كان أبو بكر الصديق وعمر الفاروق من بين جنوده في بعض تلك الغزوات ، فنجح أبو عبيدة في قيادته نجاحاً باهراً ؛ لذلك حرص كل من الشيخين غاية الحرص على توليته مقاليد القيادة في أيامهما ، بل رَشّحاه بكل جدارة لتسنّم مقاليد الخلافة ، والخليفة حينذاك هو القائد الأعلى لقوات المسلمين .

لقد كانت لأبي عبيدة فكرة سوقية (ستراتيجية) ممتازة ، فقد بعث بعض القوات لمشاغلة قوات الروم في (فحل) بينما حاصر هو (دمشق) حتى فتحها ، ثم قصد (فحل) بقواته كلها ، ولولا ذلك لكان من المحتمل أن تتعاون القوتان المعاديتان في (فحل) و (دمشق) على مقاومة المسلمين في وقت واحد وفي مكان واحد .

كما أرسل خالداً على رأس جيش لضرب الجيش الرومي الذي كان متوجهاً الى دمشق ، مما أدى الى فشل هذا الجيش في مهمته ، لأنه أصبح يقاتل في جبهتين في آن واحد : من الأمام يقاتل جيش يزيد بن أبي سفيان ، ومن الخلف يقاتل جيش خالد بن الوليد .

وكان في أعماله الحربية يطبّق مبدأ (المباغتة) كما فعل في معركة (اللاذقية)، ويعمل على (اختيار مقصده وادامته) وبذل أقصى جهده لإكمال (تحشيد قواته) قبل المعركة ، ولكنه كان (يقتصد بالمجهود) ولا يسرف في استخدام قطعات كبيرة بدون مبرر ولا يسمح باعطاء خسائر كثيرة دون جدوى ، وكان يحرص على استكمال متطلبات (الأمن) لقطعاته حتى تستطيع العمل بـ (مرونة) و (تعاون) . كما كان (يديم معنويات) رجاله ويؤمن لها كافة (الأمور الإدارية) .

تلك هي مزاياه قائداً ، وهذه هي مبادىء الحرب التي كان يطبقها في معاركه ؛ كل ذلك أدّى الى نجاحه في معاركه التي خاضها ، وهي معارك (استثمار الفوز) أو معارك (التطهير) التي تكون عادة بعد المعارك الحاسمة ؛ فقد فضّل التخلي عن القيادة العامة في معركة (اليرموك) الحاسمة ، فاستمد أبا بكر ، فأمدّه بخالد بن الوليد قائلاً : « خالد لها ؛ فقاد خالد المسلمين الى النصر المبين في معركة (اليرموك) بفضل اندفاعه ومجازفته وسرعة قراراته وسرعة حركته واستخدامه أساليب جديدة في القتال ؛ ولكن أبا عبيدة عاد الى تولي القيادة العامة بعد (اليرموك) ، فخاض معارك (استثمار الفوز) بنجاح باهر يكاد يعتبر معجزة عسكرية إذا أدخلنا في حسابنا تفوق الروم الساحق على المسلمين وسرعة انجاز الفتح وقلة الخسائر بالأرواح التي ضحّى بها المسلمون من أجل فتح بلاد الشام كلها .

لقد جاهد أبو عبيدة في سبيل الله أعظم الجهاد ، وبقي يجاهد الى آخر لحظة من حياته ، فسقط صريعاً بالطاعون ، ولم يسقط من يده السيف .

أبو عبيدة في التاريخ :

يذكر التاريخ لأبي عبيدة جهاده الطويل لاعلاء كلمة الله بسيفه ولسانه في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ، فكان موضع ثقة النبي صلى الله عليه

وسلم ورضاه واعجابه الشديد بخلقه الكريم وجهاده العظيم وإخلاصه لله ولرسوله .

ويذكر له موقفه الرائع في سقيفة بني ساعدة ، ذلك الموقف الذي كان من عوامل جمع شمل المسلمين ووحدة صفوفهم وعدم تفرقهم بعد النبي صلى الله عليه وسلم .

ويذكر له فتحه (أرض الشام) : سورية ولبنان وفلسطين والأردن ، تلك المنطقة التي أمدّت المسلمين بسيل جارف من المجاهدين بسيوفهم وبسيل جارف من المجاهدين بأقلامهم .

وكأني بأبي عبيدة ينادي من وراء الغيب : « هل فتحنا فلسطين لتسلمها أبناؤنا لليهود ؟ واحسرتاه ! وأأسفاه ! ! » .

وربما كان لأبي عبيدة من ينافسه في مزايا قيادته ، ولكن لا أحد من الصحابة ينافسه في مزايا خلقه ، فقد كان فريداً في خلقه القويم بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ويذكر التاريخ له أنه كان أحد العشرة السابقين للاسلام وأحد العشرة المبشرين بالجنة ؛ وأنه لم يعش لنفسه بقدر ما عاش للناس ؛ فرض الجهاد على نفسه ، فلم يكن يستطيع منه خلاصاً ..

فعاش مجاهداً ومات مجاهداً ، ولم يختره الله الى جواره إلا بعد أن أبقى اسمه على كل لسان وفي كل قلب، رمزاً للجهاد الصادق والايمان العميق والخلق العظيم ..

رضي الله عن الصحابي الجليل ، المحدّث الفقيه ، المؤمن الصادق ، القوي الأمين ، المجاهد الشهيد ، القائد الفاتح ، أبي عبيدة بن الجراح الفهْرِي القرشي .

قادة فتح سورية

١ - خالد بن الوليد المخزومي [١] .

٢ - أبو عبيدة بن الجراح القرشي الفهري [٢] .

٣ - عكرمة بن أبي جهل المخزومي .

---

(١) انظر ترجمته في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة ص (٤٧ - ٢١١) .

(٢) انظر ترجمته في هذا الكتاب من ص (٥٤-٨١) .

عِكْرِمَة بن أبي جَهْل المخزومي

القائد الشهيـــد

« مرحباً بالراكب المهاجر »

محمد رسول الله

نسبه :

هو عِـكْـرِمَـة بن أبي جَهْل بن هشام بن المُغيرَة بن عبد الملك بن عمر ابن مخزوم القرشي المخزومي (١)، وكان أبو جَـهْل يكنى أبا الحكم واسمه عمرو ، فكنّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا جَـهْل فبقي عليه ونُسي اسمه وكنيته (٢) .

وأمه أم مجالد احدى نساء بني هلال بن عامر (٣) .

في الجاهلية :

كان عِـكْـرِمَـة كأبيه من أشد الناس عداوة للرسول صلى الله عليه وسلم (٤) . فكان على جمع عظيم من قريش نزلوا (ثنية المـرَة) (٥) ، فقصدتهم سرية

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/٤٠٤) والاصابة (٤/٢٥٨) وأسد الغابة (٤/٤) والاستيعاب (٣/١٠٨٢)، وفي طبقات ابن سعد والاصابة ورد : عبد الله بن عمرو لا عبد الله بن عمر .

(٢) أسد الغابة (٤/٤) والاستيعاب (٣/١٠٨٢) .

(٣) أسد الغابة (٤/٤) .

(٤) الاصابة (٤/٢٥٨) وأسد الغابة (٤/٤) والاستيعاب (٣/١٠٨٢) .

(٥) ثنية المرة : موضع قريب من الجحفة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣/٢٥) والجحفة قرية على بعد أربع مراحل من المدينة على طريق المدينة- مكة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣/٦٢)

عُبَيْدَةَ بن الحارث [٦] المؤلفة من ستين أو ثمانين راكباً من المهاجرين ، فلم يكن بين الطرفين قتال ، إلا أن سعد بن أبي وقاص رمى يومئذ بسهم ، فكان أول سهم رُمِيَ به في الاسلام [٧] .

وشهد عِكْرِمَة غزوة (بدر) مع المشركين ، فشهد مصرع والده أبي جهل في هذه المعركة بعدَ أن دافع عنه دفاع المستميت وضرب قاتل والده على عاتقه فطرح يده فكانت معلقة بجلدة في جنبه وكاد يقضي عليه [٨] .

وشهد غزوة (أُحدُ) على ميسرة خيل المشركين [٩] ، ونظم الشعر بعد المعركة في التشفّي باندحار المسلمين [١٠] .

وشهد مع المشركين غزوة (الخندق) ، وكان أحد الذين حاولوا اقتحام الخندق بخيولهم [١١] ولكنه ألقى يومئذ رمحه وهو منهزم لتصدّي أبطال المسلمين له ولمن حاول اقتحام الخندق [١٢] . ولما طال صمود المسلمين دبّ اليأس الى نفوس الأحزاب ، فأرسل أبو سفيان ورؤوس غَطَفَان الى بني قريظة من اليهود عكرمة في نفر من قريش وغطفان ، فقالوا : إنّا لسنا بدار مُقَام وقد هلك الخُف [١٣] والحافر [١٤] ، فأغدوا

---

(٦) عبيدة بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف القرشي المطلبي: أسلم قديماً ، وكان أسن بني عبد مناف يومئذ ، وكان أسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعشر سنين . هاجر الى المدينة وعقد له الرسول صلى الله عليه وسلم لواء ، وقد جرح يوم بدر فمات رضي الله عنه شهيداً من جرحه . راجع طبقات ابن سعد (٥٠/٣) والاصابة (٢٠٩/٤) وأسد الغابة (٣٣٨/٣) والاستيعاب (١٠٣٠/٣) .

(٧) سيرة ابن هشام (٢٢٤/٢-٢٢٥) وجوامع السيرة ص (١٠١) وفي طبقات ابن سعد (٧/٢) أن أبا سفيان كان على مشركي قريش يومذاك .

(٨) سيرة ابن هشام (٢٧٥/٢-٢٧٦) .

(٩) سيرة ابن هشام (٥/٣) وجوامع السيرة لا بن حزم ص (١٥٩) .

(١٠) سيرة ابن هشام (١٥٤/٣-١٥٥) .

(١١) سيرة ابن هشام (٢٤٠/٣) وطبقات ابن سعد (٦٨/٢) .

(١٢) سيرة ابن هشام (٢٤٢/٣) .

(١٣) الخف : الابل .

(١٤) الحافر : الخيل .

للقتال حتى نناجز محمداً ونفرغ ما بيننا وبينه ! فلم يوافق اليهود على مباشرة القتال إلاّ اذا أخذوا من قريش وغطفان رهائن من رجالهم [١٥] ، فعاد عكرمة وأصحابه الى أبي سفيان بخفي حُنَيْن ، مما أدّى الى انهيار الثقة بين أطراف الأحزاب ، وعودتهم من حيث أتوا .

وكان عكرمة ممن جمع ناساً (بالخَنْدَمة) [١٦] ليقاتلوا المسلمين وليصدّوهم عن فتح مكة ، ولكن خالد بن الوليد قضى على مقاومتهم بسرعة خاطفة [١٧] ، ففرّ عكرمة الى اليمن ، لأنه كان بين النفر الذين أباح رسول الله صلى الله عليه وسلم دماءهم [١٨] .

لقد كان عكرمة في أيام الجاهلية من ألدّ أعداء المسلمين ، وقد خاصمهم سراً وعلانية وفي القول والعمل وفي السلم والحرب ، ولم يدّخر وسعاً في سبيل مكافحة الدعوة الاسلامية ومحاربة الاسلام ، ولكنّ كفاحه الدائب هذا انتهى بالنجاة بنفسه هارباً الى اليمن بعد استباحة دمه ، فقد أمّن الرسول صلى الله عليه وسلم بعد فتح مكة الناس كلهم إلا أربعة نفر وامرأتين من بينهم عكرمة قال عنهم : « اقتلوهم ولو وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة » [١٩] .

أسلمت امرأة عكرمة أم حكيم بنت عمه الحارث بن هشام ، فاستأمنت له من الرسول صلى الله عليه وسلم فأمّنه ، فخرجت في طلبه الى اليمن حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة ، فلما رآه قال : « مرحباً بالراكب المهاجر » ، فأسلم سنة ثمان للهجرة وذلك بعد فتح مكة [٢٠] ، وحسن اسلامه وأصبح من صالحي المسلمين ، فقال النبي لأصحابه : « إنّ

---

(١٥) سيرة ابن هشام (٢٤٩/٣) وجوامع السيرة لابن حزم ص (١٨٩) .
(١٦) الخندمة : جبل بمكة . راجع معجم البلدان (٤٧٠/٣) .
(١٧) سيرة ابن هشام (٢٦/٤-٢٧) وجوامع السيرة ص (٢٣١) .
(١٨) سيرة ابن هشام (٣٠/٤) واسد الغابة (٥/٤) والاصابة (٢٥٨/٤) .
(١٩) الاصابة (٢٥٨/٤) وأسد الغابة (٥/٤) وجوامع السيرة لابن حزم ص (٢٣٢) .
(٢٠) الاصابة (٢٥٨/٤) وأسد الغابة (٥/٤) والاستيعاب (١٠٨٣/٣) .

عكرمة يأتيكم فاذا رأيتموه فلا تسبّوا أباه ، فإن سب الميت يؤذي الحي [٢١] . ولما أسلم عكرمة كان المسلمون يقولون : هذا ابن عدو الله أبي جهل ؛ فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقولوا : عكرمة بن أبي جهل ، وقال : « لا تؤذوا الأحياء بسبّ الأموات » [٢٢] .

وكان عكرمة قد ركب البحر في طريقه من الحجاز الى اليمن ، فأصابتهم عاصفة ، فقال أصحاب السفينة لأهل السفينة : أخلصوا ، فأن آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً ههنا ... فقال عكرمة : « إن لم ينجّني في البحر إلا الاخلاص ، ما ينجيني في البر غيره ! اللّهم لك علي عهد إن أنت عافيتني مما أنا فيه ، أن آتي محمداً حتى أضع يدي في يده ، فلأجدنه عفوّاً كريماً » [٢٣]

لقد كان إسلام عكرمة نوعاً من التسليم ، ولكنه تسليم النفس في معركة نفسية لا تسليم القائد في معركة حربية ؛ وشتان بين التسليمين ؛ لأن تسليم النفس يكون نتيجة اقتناع وإيمان ، وتسليم الحرب يكون نتيجة إكراه وخوف ... ولما أسلم عكرمة قال : « يا رسول الله ! علّمني خير شيء تعلّمه حتى أقوله » ، فقال له « شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله » ، فقال عكرمة : « أنا أشهد بهذا وأُشهد بذلك من حضرني ، وأسألك يا رسول الله أن تستغفر لي » ، فاستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢٤] ، فقال عكرمة : « والله لا أدع نفقة كنت أنفقها في صد عن سبيل الله إلاّ أنفقت ضعفها في سبيل الله ، ولا قتالاً إلا قاتلت ضعفه ، وأشهدك يا رسول الله » [٢٥] .

واستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات هوازن عام

---

(٢١) الاستيعاب (١٠٨٣/٣) .
(٢٢) أسد الغابة (٥/٤) والاستيعاب (١٠٨٣/٣) .
(٢٣) الاصابة (٢٥٨/٤) وأسد الغابة (٥/٤) .
(٢٤) الاستيعاب (١٠٨٣/٣) .
(٢٥) الاستيعاب (١٠٨٣/٣) .

وفاته [٢٦]، وهذا دليل قاطع على حسن إسلامه وأمانته، وإلا لما ولاّه النبي صلى الله عليه وسلم عملاً لا يقوم به إلا المؤمن القوي الأمين.

جهـــاده :

١ – في حروب أهل الردة :

عقد أبو بكر الصديق لعكرمة لواء وأمره بمسيلمة الكذّاب في (اليَمَامة)[٢٧] وأتبعه شُرَحْبِيل بن حَسَنَة، فعجّل عكرمة في لقاء بني حنيفة قوم مسيلمة ليذهب بفخر النصر وحده؛ ولكنّ بني حنيفة نكبوه، فكتب عكرمة الى أبي بكر بالخبر، فكتب اليه أبو بكر: «لا أرينّك ولا تراني، ولا ترجعنّ فتوهن الناس. إمض الى حُذيفة وعَرْفَجَة[٢٨] فقاتل أهل (عُمان)[٢٩] و (مَهْرَة)[٣٠]، ثم تسير أنت وجندك تستبرئون الناس، حتى تلقى المهاجر بن أمية[٣١] باليمن وحضرموت»[٣٢]، فلحقهما عكرمة قبل (عُمان) فلما فرغ منها سار الى (مهْرَة) وقضى على المرتدين فيها أيضاً، فأقام عكرمة حتى اجتمع الناس على ما يحبّ وبايعوا

---

(٢٦) الاصابة (٢٥٨/٤) واسد الغابة (٥/٤) وطبقات ابن سعد (٤٠٤/٧).

(٢٧) اليمامة: منقول من اسم طائر يقال له: اليمام، واحدته يمامة، بين اليمامة والبحرين عشرة أيام وهي معدودة من نجد. راجع التفاصيل في معجم البلدان (٩٥/٨).

(٢٨) هما حذيفة بن محصن وعرفجة بن هرثمة البارقي.

(٢٩) عمان: منطقة عربية على ساحل خليج عمان وتشتمل على بلدان كثيرة ذات نخل وزرع، الا ان حرها يضرب به المثل. راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٥١٥).

(٣٠) مهرة: اسم قبيلة من قضاعة تنسب اليهم الابل المهرية، ولهم في اليمن محل يسمى: مهرة، بينه وبين عمان مسيرة نحو شهر، وكذلك بينه وبين حضرموت. راجع معجم البلدان (٢١١/٨).

(٣١) المهاجر بن أمية القرشي المخزومي: أخو أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم لأبيها وأمها. أرسله الرسول صلى الله عليه وسلم الى الحارث بن عبد كلال الحميري، واستعمله على صدقات كندة وتوفي الرسول ولم يسر اليها. فبعثه أبو بكر الى قتال من ارتد باليمن وله في قتال الردة باليمن أثر كبير. راجع الاصابة (١٤٤/٦) واسد الغابة (٤٢٢/٤).

(٣٢) الطبري (٥٠٤/٢) وابن الاثير (١٣٧/٢).

على الاسلام [٣٣] .

وسار عكرمة من (مَهْرَة) الى اليمن ومعه بشر كثير فأعاد النخع وحمير الى الاسلام [٣٤] .

وسار عكرمة الى (حضرموت) كما سار اليها المهاجر حتى اقتحماها ، ثم سارا الى (كِندة) [٣٥] فاستخلف المهاجر على الجند عكرمة وتعجّل في سرعان الناس ، فلما قدم عكرمة وجد المسلمين قد حاصروا كندة ، فاشتدّ الحصر على كندة وتفرّقت السرايا في طلبهم ، حتى استسلمت كندة [٣٦] وبذلك عادت حضرموت وكندة الى رحاب الاسلام .

لقد بذل عكرمة في عمان ومهرة واليمن وحضرموت وكندة جهوداً مشرّفة كان من آثارها توطيد أركان الاسلام في هذه المناطق وإعادة وحدتها القوية بالبلاد العربية الأخرى في شبه الجزيرة العربية .

٢ ـ في أرض الشام :

لما فرغ عكرمة من قتال أهل الردة سار مجاهداً الى أرض الشام أيام أبي بكر الصديق مع جيوش المسلمين ، فعسكر (بالجرف) على ميلين من المدينة ، فخرج أبو بكر يطوف في معسكر المسلمين ، فبصر بخباء عظيم حوله ثمانية أفراس ورماح وعدّة ظاهرة فانتهى اليه فاذا بخباء عكرمة ، فسلّم عليه أبو بكر وجزاه خيراً وعرض عليه المعونة ، فقال : « لا حاجة لي فيها ، معي ألفا دينار » فدعا له أبو بكر بخير [٣٧] .

---

(٣٣) الطبري (٢/٥٢٩-٥٣٠) وابن الاثير (٢/١٤٣) .
(٣٤) ابن الاثير (٢/١٤٥) .
(٣٥) كندة : مخلاف باليمن واسم قبيلة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٧/٢٨٤) .
(٣٦) ابن الاثير (٢/١٤٦) والطبري (٢/٥٤٦) .
(٣٧) أسد الغابة (٤/٦) .

وكان عكرمة قد قدم المدينة فيمن معه من تهامة [٣٨] وعمان والبحرين [٣٩] فأمره أبو بكر أن يسير مدداً لخالد بن سعيد ، فسار عكرمة مسرعاً الى أرض الشام [٤٠] ، فلما هُزِم خالد بن سعيد في معركة (مرج الصُفّر) [٤١] ، بقي عكرمة على الناس ردءاً للمسلمين يمنع من يطلبهم [٤٢] مما قلّل من الخسائر بالأرواح ومنع مطاردة الروم للمسلمين .

وفي (اليرموك) كان مع عكرمة ستة آلاف رجل [٤٣] ، وكان قائداً لأحد الكراديس ، فأمر خالد بن الوليد عكرمة والقعقاع بن عمرو التميمي فأنشبا القتال والتحم الناس [٤٤] .

وحملت الروم حملة أزالوا المسلمين عن مواقعهم ، فقال عكرمة : « قاتلت رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل موطن ، وأفرّ منكم اليوم ؟! » ثم نادى : من يبايعني على الموت ؟ » فبايعه عمه الحارث بن هشام وضِرار ابن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم ، فقاتلوا قدام فسطاط خالد بن الوليد حتى أُثبتوا جميعاً جراحاً ، فمنهم من برأ ومنهم من قتل [٤٥] ؛ وكان عكرمة أعظم الناس بلاء ، فكان يركب الأسنّة حتى جرحت صدره

---

(٣٨) تهامة : تساير البحر منها مكة ، قال الاصمعي : اذا خلفت عمان مصعدا فقد أنجدت فلا تزال منجدا حتى تنزل في ثنايا ذات عرق ، فاذا فعلت فقد أتهمت الى البحر ، وانما سمي الحجاز حجاز لأنه حجز بين تهامة ونجد . وسميت تهامة لشدة حرها وركود ريحها . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤٣٧/٢) .

(٣٩) البحرين : اسم جامع لبلاد على الخليج العربي بين البصرة وعمان ، راجع التفاصيل في معجم البلدان (٧٢/٢) .

(٤٠) الطبري (٥٨٩/٢) وابن الاثير (١٥٥/٢) .

(٤١) مرج الصفر بدمشق . راجع معجم البلدان (١٦/٨) .

(٤٢) الطبري (٥٨٩/٢) . وابن الاثير (١٥٥/٢) .

(٤٣) الطبري (٥٩٢/٢) وابن الاثير (١٥٧/٢) .

(٤٤) الطبري (٥٩٤/٢) وابن الاثير (١٥٨/٢) .

(٤٥) أسد الغابة (٦/٤) وابن الاثير (١٥٨/٢) .

ووجهه ، فقيل له : « إتّق الله وارفق بنفسك ؛ فقال : « كنت أجاهد بنفسي عن اللاّت والعُزّى فأبذلها لها ، أفأستبقيها الآن عن الله ورسوله ؟! لا والله أبداً » ، فلم يزد إلا إقداماً (٤٦) . فأتى خالد بعكرمة جريحاً فوضع رأسه على فخذه ، وبعمرو بن عكرمة فجعل رأسه على ساقه ومسح وجوههما وقطّر في حلوقهما الماء (٤٧) .

وفي رواية أنه استشهد باليرموك الحارث بن هشام وعكرمة وسهيل بن عمرو ، فأتوا بماء وهم صرعى ، فتدافعوه كلما دفع الى رجل منهم ، قال : اسق فلاناً ، حتى ماتوا ولم يشربوه ، فقد طلب عكرمة الماء فنظر الى سهيل ينظر اليه ، فقال : ادفعوه اليه ، فنظر سهيل الى الحارث ينظر اليه ، فقال : ادفعوه اليه ، فلم يصل اليه حتى ماتوا (٤٨) . وقد وُجِد به بضع وسبعون ما بين طعنة وضربة ورمية (٤٩) .

الإنسان :

كان عكرمة من سادات قريش وقادتها في الجاهلية ، فأصبح من سادات المسلمين وقادتهم بعد إسلامه .

وكان شديد العداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في الجاهلية ، ولكنه أسلم وحسن إسلامه فكان مجتهداً مع المسلمين في قتال المشركين ، كما اجتهد في العبادة حتى قتل (٥٠) ، فكان في حياة عكرمة آية للناس ؛ آية الضمير المعذّب المرهف ، انكشفت له الحقائق العليا فآمن ، وأدرك بروحه الحساس مقدار خطيئاته الماضيات ، فأراد أن يعفي على آثارها ما استطاع ،

---

(٤٦) اسد الغابة (٤/٦) .
(٤٧) ابن الاثير (٢/١٥٩) .
(٤٨) الاستيعاب (٣/١٠٨٤) .
(٤٩) الاستيعاب (٣/١٠٨٥) .
(٥٠) الاستيعاب (٣/١٠٨٢-١٠٨٣) .

فصلى وصام وأنفق وجاهد ، ثم بعث نهراً من دمه ودم ابنه عمرو وعمه الحارث ، مبدداً بهذه الدماء الزكية صخور الخطايا ، فنام ابن أبي جهل آخر الامر نومَتَهُ الأبديّ مع الصدِّيقين والشهداء .

قالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأم المؤمنين : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت لأبي جهل عَذْقاً في الجنة ، فلما أسلم عكرمة ، قال : هذا هو[٥١] » ، وقد كان كل عمل عكرمة بعد إسلامه مصداقاً لقول النبي الكريم فيه .

وقد ولاّه النبي صلى الله عليه وسلم صدقات هوازن ، فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وعكرمة (بتَبَالة)[٥٢] والياً على هوازن[٥٣] مما يدل على ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم بأمانته ودينه .

وكان كريماً مضيافاً ، شهماً غيوراً ، صادقاً وفياً ، وكان شاعراً وخطيباً . وقد استشهد في اليرموك سنة ثلاث عشرة[٥٤] للهجرة (٦٣٤ م) في خلافة أبي بكر الصديق وكان له من العمر اثنتان وستون سنة[٥٥] ، أي أنه ولد سنة تسع وأربعين قبل الهجرة (٥٧٤ م) ، وليس له عقب[٥٦] .

---

(٥١) الاصابة (٢٥٨/٤) وأسد الغابة (٦/٤) ، والعذق : النخلة بحملها .

(٥٢) تبالة : بلدة مشهورة في ارض تهامة ، بينها وبين مكة اثنان وخمسون فرسخاً نحو مسيرة ثمانية أيام وبينها وبين الطائف ستة أيام ، راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٥٧/٢) .

(٥٣) طبقات ابن سعد (٤٠٤/٧) .

(٥٤) الطبري (٥٩٧/٢) وابن الاثير (١٥٩/٢) واسد الغابة (٦/٤) ، أما في الاصابة فيذكر مرة انه استشهد في اليرموك ويذكر أخرى انه استشهد في معركة اجنادين ، انظر الاصابة (٤/ ٢٥٨) . أما في طبقات ابن سعد (٤٠٤/٧) والاستيعاب (١٠٨٣/٣) فيذكر أنه استشهد في أجنادين . وارجح انه استشهد في اليرموك لانها حدثت سنة ثلاث عشرة للهجرة أما اجنادين فقد اختلفت الروايات في وقت حدوثها ، فمنهم من يجعلها في حوادث سنة ثلاث عشرة ، ومنهم من يجعلها في حوادث سنة خمس عشرة !

(٥٥) الاستيعاب (١٠٨٣/٣) .

(٥٦) الاصابة (٢٥٨/٤) واسد الغابة (٦/٤) .

القائـــد :

كان عكرمة فارساً مشهوراً[٥٧] شجاعاً مقداماً ، أثبت شجاعته وإقدامه في كل معركة خاضها ، كما كان قائداً مجرباً حيث قاد كثيراً من المعارك في الجاهلية والاسلام .

والظاهر أنه لم يكن قائداً ناجحاً في معاركه الأولى ، إذ لم يُظهر أي أثر بارز لقيادته في الجاهلية وفي حروب أهل الردّة ضد مسليمة ؛ ولكنه برز قائداً لامعاً بعد فشله في معركة (اليمامة) ضد بني حنيفة ، إذ كان له أثر أي أثر في حروب أهل الردة الأخرى : في عُمان ومهرة واليمن وحضرموت وكندة ، وفي أرض الشام أيضاً حين أصبح ردءاً للمسلمين ، وفي معركة اليرموك الحاسمة بالذات .

ولست ألوم عكرمة في تسرّعه لقتال أصحاب مسيلمة مما أدى الى فشله ، إذ أن تسرعه هذا كان من جراء حرصه الشديد على القضاء على فتنة مسيلمة بسرعة قبل أن يستفحل أمرها ويستشري خطرها ؛ ومع ذلك فان فشل عكرمة هذا أفاد المسلمين ، إذ أدّى الى استهانة مسيلمة بالمسلمين وأدّى الى غروره واعتقاده بأنه لا يغلب ! ! وهذا سهّل مهمة خالد بن الوليد في تحطيم بني حنيفة فيما بعد ! ! لأن الغرور ركبهم فلم يعدّوا كافة متطلبات القتال .

لقد كان قائداً عقائدياً يقاتل من أجل مبدأ يؤمن به ، ولم يكن في كل حياته قائداً مرتزقاً يميل مع الريح من أجل مغانم مادية ؛ وكان في كل معاركه قائداً : إذا لم يؤمّره مرجعه الأعلى أمّر هو نفسه بأفعاله المشرفة من شجاعة وإقدام وتضحية بالمال والنفس .

إنه كان قائداً له قابلية على إعطاء القرار السريع الصحيح ، ذا إرادة

---

(٥٧) الاستيعاب (١٠٨٢/٣) .

قوية ثابتة وشخصية نافذة قوية ، له نفسية لا تتبدّل في حالتي النصر والاندحار ، يتمتّع بمزية سبق النظر ومعرفة نفسيات مرؤوسيه وقابلياتهم ، يثق برجاله ويحبهم ويثقون به ويحبونه ، له قابلية بدنية ممتازة ، وماضيه بعد الاسلام ناصع مجيد .

وكان قائداً تعرضياً سريع الحركة والتنقل ، وبذلك يباغت عدوه بالمكان والزمـــان .

عكرمة في التاريخ :

يذكر التاريخ لعكرمة جهاده المشرف في حروب اهل الردة خاصة في عمان ومهرة واليمن وحضرموت وكندة .

ويذكر له موقفه الحازم في حماية انسحاب المسلمين بعد اندحارهم أمام الروم في معركة (مرج الصُفّر) ، مما حرم الروم من مطاردة المسلمين وتكبيدهم خسائر فادحة بالأرواح .

ويذكر له بذله ماله وروحه في سبيل عقيدته ، وكأنه بذلك أراد أن يكفّر عن ذنوبه الماضية على الرغم من أن الاسلام يَجُبُّ ما قبله .

إن صرخته في أحرج ساعات (اليرموك) : « من يبايعني على الموت » وتضحيته وتضحية أكثر رجاله بأرواحهم لإحراز النصر ، كان له أكبر الأثر في انتصار المسلمين على الروم في معركة (اليرموك) الحاسمة ، تلك المعركة التي فتحت أبواب أرض الشام للفاتحين من العرب المسلمين .

رضي الله عن الراكب المهاجر ، المجاهد الصادق ، الصحابي الجليل ، القائد الشهيد ، عكرمة بن أبي جهل المخزومي .

قادة فتح لبنان الأشم

١ - يزيد بن أبي سفيان الأموي .

٢ - سفيان بن مجيب الأزدي .

يَزيد بن أبي سُفيـان الأُمَوي

فاتح لبنـــان الأشم

سلامـــه :

هو يزيد بن أبي سفيان[1] صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي الأموي[2]، يكنى : أبا خالد[3]. أسلم يوم فتح مكة وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (حُنيناً)، فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم من غنائم حنين مائة من الابل وأربعين أوقية[4] وزنها له بلال بن رباح الحبشي[5].

---

(١) أبو سفيان صخر بن حرب الاموي القرشي : والد يزيد ومعاوية وعتبة ، ولد قبل الفيل بعشر سنين ، وكان من أشراف قريش ومن أفضلها رأياً واليه رايتها في الجاهلية . أسلم يوم الفتح وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (حنينا) . وقد حسن اسلامه على أصح وأوثق الروايات وبشهادة سعيد بن المسيب العالم الزاهد اذ قال : « فقدت الاصوات يوم اليرموك الا رجل واحد يقول : يا نصر الله اقترب ؛ والمسلمون يقتتلون هم والروم ، فذهبت أنظر فاذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد » . فقئت عينه يوم الطائف وفقئت عينه الاخرى يوم اليرموك ، ومات في خلافة عثمان بن عفان سنة ثلاث وثلاثين وهو ابن ثمان وثمانين وقيل ابن بضع وتسعين ، ودفن بالبقيع .

كان في الجاهلية يشتغل بالتجارة ، وكان قصيراً سميناً ذا هامة عظيمة . راجع الاصابة (٢٣٧/٣) وأسد الغابة (١٢/٣) والاستيعاب (١٦٧٧/٤) .

(٢) طبقات ابن سعد (٤٠٦/٧) والاصابة (٣٤١/٦) والاستيعاب (١٥٧٥/٤) .

(٣) الاصابة (٣٤١/٦) .

(٤) طبقات ابن سعد (٤٠٦/٧) والاستيعاب (١٥٧٥/٤) .

(٥) بلال بن رباح الحبشي : مؤذن رسول الله صلى الله عليه وسلم . كان يعذبه المشركون على التوحيد ، فكان امية بن خلف يخرجه اذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة لتوضع على صدره، ثم يقول أمية : « لا يزال بلال على ذلك حتى يموت=

كان أفضل بني أبي‌سفيان ، وكان يقال له : يزيد الخير[٦] ، وكان من فضلاء الصحابة[٧] ولم يزل يُذكر بخير[٨] . استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على (تيْمَاء)[٩] ، وكان أحد من كتب للنبي صلى الله عليه وسلم[١٠] ؛ وهذا يدل على أنه حسن اسلامه وأصبح موضع ثقة الرسول القائد ورضاه .

جهـــاده :

أمَّر أبو بكر يزيد بن أبي سفيان على جيش عظيم هو جمهور من انتدب اليه ، فيهم سهيل بن عمرو[١١] في أمثاله من أهل مكة وشيّعه ماشـــياً

= ويكفر بمحمد » ، فيقول بلال وهو في ذلك : « أحد ... أحـد ... » ، فمر به أبو بكر فاشتَراه بعبد له أسود وأعتقه ، فلزم النبي صلى الله عليه وسلم وأذن له وشهد معه جميع المشاهد . ثم خرج بلال بعد النبي صلى الله عليه وسلم مجاهداً الى أرض الشام ، فلم يزل بها حتّى توفي . راجع طبقات ابن سعد (٣/٢٣٢) و (٧/٣٨٥) والاصابة (١/١٧٠) وأسد الغابة (١/٢٠٦) والاستيعاب (١/١٧٨) .

(٦) الاصابة (٦/٣٤١) والاستيعاب (٤/١٥٧٥) والمعارف ص (٣٤٥) .

(٧) الاصابة (٦/٣٤١) .

(٨) طبقات ابن سعد (٧/٤٠٦) .

(٩) تيماء : بليد في أطراف الشام بين الشام ووادي القرى على طريق حاج الشام ودمشق . انظر معجم البلدان (٢/٤٤٢) وانظر حول تولية يزيد تيماء ص (٢٣) من جوامع السيرة لابن‌حزم .

(١٠) جوامع السيرة لا بن حزم ص (٢٦) والسيرة الحلبية (٣/٣٦٤) .

(١١) سهيل بن عمرو القرشي العامري : كان احد الاشراف من قريش وساداتهم في الجاهلية . أسر يوم بدر كافراً ،وكان خطيب قريش ، فقال عمر : « يا رسول الله ! انزع ثنيته فلا يقوم عليك خطيباً ابداً » ، فقال صلى الله عليه وسلم : « دعه فعسى أن يقوم مقاماً تحمده » ، فكان مقامه في ذلك أنه لما ماج أهل مكة عند وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وارتد من العرب من ارتد ، قام سهيل بن عمرو خطيباً ، فقال : « والله اني اعلم ان هذا الدين سيمتد امتداد الشمس في طلوعها الى غروبها ، فــلا يغرنكم هذا من انفسكم ... الخ » .

وكان بعد أن أسلم كثير الصلاة والصوم والصدقة ، وقد خرج بجماعة أهله الى الشام مجاهداً حتّى ماتوا كلهم هناك ، وقد استشهد باليرموك رضي الله عنه . راجع التفاصيل في طبقات ابن سعد (٧/٤٠٤) والاصابة (٣/١٤٦) وأسد الغابة (٢/٣٧١) والاستيعاب (٢/٦٦٩) .

وأوصاه[١٢] ، وقال أبو بكر لأمراء الشام : « اذا اجتمعتم على قتال ، فأميركم أبو عبيدة بن الجراح وإلا فيزيد بن أبي سفيان » ، وكان مع يزيد في أول الامر ثلاثة آلاف رجل فلم يزل أبو بكر يتبع أمراء الشام الامداد حتى صار مع كل أمير سبعة آلاف وخمسمائة رجل ، وكان هدف يزيد دمشق كما كان لكل أمير من أمراء الشام هدف ثابت معلوم[١٣] .

وتحرك يزيد على رأس جيشه باتجاه هدفه في أرض الشام ، فسلك طريق (التبوكية)[١٤] ، وفي الطريق علم بأن للروم جمعاً

(١٢) الطبري (٢/٥٨٨) وابن الاثير (٢/١٥٤) وطبقات ابن سعد (٧/٤٠٦) ، ونص وصية أبي بكر ليزيد هي : « اني قد وليتك لأبلوك وأجربك وأخرجك ، فان أحسنت رددتك الى عملك وزدتك وان اسأت عزلتك ، فعليك بتقوى الله ، فانه يرى من باطنك مثل الذي من ظاهرك ، وان أولى الناس بالله أشدهم تولياً له ، وأقرب الناس من الله أشدهم تقرباً اليه بعمله . وقد وليتك عمل خالد ، فاياك وعيبة الجاهلية فان الله يبغضها ويبغض أهلها ، واذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم وابدأهم بالخير وعدهم اياه ، واذا وعظتهم فأوجز فان كثير الكلام ينسي بعضه بعضاً ، وأصلح نفسك يصلح لك الناس ، وصل الصلوات لاوقاتها باتمام ركوعها وسجودها والتخشع فيها ، واذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم وأقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك وهم جاهلون به ولا ترينهم فيروا خللك ويعلموا علمك ، وانزلهم في ثروة عسكرك وامنع من قبلك من محادثتهم وكن أنت المتولي لكلامهم ، ولا تجعل سرك لعلانيتك فيخلط أمرك ، واذا استشرت فاصدق الحديث تصدق المشورة ولا تخزن عن المشير خبرك فتؤتى من قبل نفسك ، واسمر في الليل مع أصحابك تأتك الاخبار وتنكشف عندك الاستار ، وأكثر حرسك وبددهم في عسكرك وأكثر مفاجأتهم في محارسهم بغير علم منهم بك . فمن وجدته غفل عن محرسه فأحسن أدبه وعاقبه في غير افراط وأعقب بينهم بالليل واجعل النوبة الاولى أطول من الأخيرة فانها أيسرهما لقربها من النهار ، ولا تخف من عقوبة المستحق ولا تلجن فيها ولا تسرع اليها ولا تخذلها مدفعا ، ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده ولا تجسس عليهم فتفضحهم ولا تكشف الناس عن أسرارهم واكتف بعلانيتهم ، ولا تجالس العباثين وجالس أهل الصدق والوفاء ، واصدق اللقاء ولا تجبن فيجبن الناس ، واجتنب الغلول فانه يقرب الفقر ويدفع النصر ، وستجدون اقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعهم وما حبسوا أنفسهم له » انظر ابن الاثير (٢/١٥٥) وانظر نص وصية أخرى في فتوح الشام للواقدي (١/٤) .

(١٣) البلاذري ص (١١٦) .

(١٤) انظر الطبري (٢/٥٨٩) ، وقد جاء في البلاذري ص (١١٦) : « أن أبا بكر أمر يزيد بن أبي سفيان أن يسلك طريق تبوك » ، والتبوكية هي تبوك ، وتبوك : موضع بين وادي القرى والشام . =

(بالعَرَبة)[١٥]، فوجّه اليهم أبا أُمامة الباهلي فهزمهم ، فكان هذا القتال أول قتال بالشام بعد سرية أسامة بن زيد[١٦] .

واجتمع الى أبي بكر ناس فأرسلهم مع معاوية بن أبي سفيان وأمره باللحاق بأخيه يزيد ، فلما مرّ بخالد بن سعيد بن العاص فصل عنه بباقي أصحابه[١٧] ، وبذلك ازداد عدد جيش يزيد .

وما كادت جيوش المسلمين تصل أرض الشام ، حتى أرسل (هرقل) جيوشه باتجاه جيوش المسلمين[١٨] ، لتضعف كل فرقة من المسلمين عمن بإزائها من الروم ، فأرسل القائد (جرجة)[١٩] الى يزيد ، فهابهم المسلمون وكاتبوا عمرو بن العاص : ما الرأي ؟ فأجابهم : « ان الرأي لمثلنا الاجتماع ، فان مثلنا اذا اجتمعنا لا نغلب من قلّة ، فان تفرّقنا لا تقوم كل فرقة له بمن استقبلها لكثرة عدونا » ، وكتبوا الى ابي بكر فأجابهم مثل جواب عمرو وقال : « ان مثلكم لا يُؤتى من قلّة ، وانما يُؤتى العشرة آلاف من الذنوب ، فاحترسوا منها ! فاجتمعوا باليرموك متساندين وليصل كل واحد منكم بأصحابه » ، فاجتمع المسلمون باليرموك كما اجتمع الروم بها أيضاً[٢٠] . وبذلك فوّت المسلمون باجتماعهم فرصة ضربهم متفرقين .

وفي معركة اليرموك الحاسمة ، كان يزيد على الميسرة المؤلفة من

= راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٦٥/٢) .

(١٥) عربة : موضع في أرض فلسطين . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٣٨/٦) ، وتقع قرب العقبة في الأردن في حدودها الحالية .

(١٦) ابن الاثير (١٥٥/٢) والبلاذري ص (١١٧) ومعجم البلدان (١٣٨/٦) .

(١٧) ابن الاثير (١٥٥/٢) .

(١٨) الطبري (٥٩٠/٢) وابن الاثير (١٥٥/٢) والبلاذري ص (١١٥) .

(١٩) يسميه العرب : جرجه، واسمه : جورج ، وهو أحد قادة الروم البارزين أسلم يوم (اليرموك) راجع الطبري (٥٩٦/٢) وابن الاثير (١٥٧/٢) .

(٢٠) الطبري (٥٩٠/٢) وابن الاثير (١٥٦/٢) .

كراديس [٢١] ؛ فكان له أثر فعال في انتصار المسلمين على الروم في هذه المعركة .

وشهد فتح (بُصرى) مع أبي عبيدة وخالد بن الوليد وشُرَحْبِيل ابن حَسَنَة [٢٢] كما شهد فتح دمشق ، فاستخلفه أبو عبيدة عليها عندما سار الى (فحل) [٢٣] ، فسار يزيد بدوره لفتح بلاد ساحل دمشق ، ففتح مدينة (صَيْدَاء) [٢٤] ، و (عِرقَة) [٢٥] و (جُبيل) [٢٦] و (بَيْروت) ، وكان على مقدمته أخوه معاوية ، ففتح هذه البلاد بسهولة ويسر [٢٧] .

وصدّ يزيد هجوماً رومياً كان يهدف الى استعادة (دمشق) ، فقد أرسل أبو عبيدة خالد بن الوليد لضرب جيش الروم القاصد دمشق ، فضربه خالد من الخلف واستقبله يزيد من الأمام ، فلم يفلت من الروم الا الشريد [٢٨] .

وكتب عمر بن الخطاب الى يزيد أن يوجّه أخاه معاوية إلى (قَيْسَارِيَة) [٢٩]

---

(٢١) الطبري (٢/٥٩٣) وابن الاثير (٢/١٥٨) .

(٢٢) ابن الاثير (٢/١٦٠) .

(٢٣) ابن الاثير (٢/١٦٥) والبلاذري ص (١٢٧) .

(٢٤) صيداء : مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقي صور بينهما ست فراسخ . راجع معجم البلدان (٥/٤٠٣) .

(٢٥) عرقة : بلدة في شرقي طرابلس بينهما أربعة فراسخ . راجع معجم البلدان (٦/١٥٥) .

(٢٦) جبيل : بلد في سواحل دمشق ، شرقي بيروت وعلى ثمانية فراسخ من بيروت . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣/٥٩) .

(٢٧) ابن الاثير (٢/١٦٧–١٦٨) والبلاذري ص (١٣٣) وفي البلاذري ص (١٣٢) ان يزيداً سار الى عمان ففتحها فتحاً يسيراً بصلح على مثل صلح بصرى وغلب على أرض البلقاء .

(٢٨) ابن الاثير (٢/١٩٠) .

(٢٩) قيسارية : بلد على ساحل بحر الشام تعد من أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام . وكانت قديماً من أعيان أمهات المدن ، واسعة الرقعة طيبة البقعة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٧/١٩٥) .

ليفتحها فسار معاوية وحصر أهلها ، فجعلوا يزاحفونه فيهزمهم ويردّهم الى حصونهم ؛ فلما طال ذلك بهم خرجوا يقاتلونه مستميتين ، فقضى عليهم حتّى كانت قتلاهم في المعركة ثمانين ألفاً بلغوا بعد الهزيمة والفرار مائة ألفاً [٣٠] .

الانسان :

ولّى أبو بكر يزيداً على دمشق أولاً [٣١] ، أما عمر بن الخطاب فولاّه فلسطين مع ما ولاه من أجناد الشام [٣٢] ، ولما مات أبو عبيدة استخلف معاذ بن جبل على أرض الشام فلما مات معاذ استخلف عليها يزيد [٣٣] ، وقد علمنا أنه كان من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ استعمله على (تيماء) [٣٤] ، مما يدل على انه كان موضع ثقة الرسول الاعظم والشيخين من بعده .

لقد كان أفضل بني أبي سفيان ، وكان يقال له : يزيد الخير ، وكان من فضلاء الصحابة ، وكان ورعاً تقياً نقياً عاقلاً حليماً دمث الأخلاق محمود السيرة — وهذه المزايا الكريمة هي التي قدّمته بسرعة الى المناصب الرفيعة بالرغم من تأخر اسلامه عن السابقين الأولين .

وكان جميل الصورة ، يرفّه عن نفسه فيأكل ألوان الطعام [٣٥] ، ويقدم طعامه النفيس لضيوفه ولذوي الحاجة .

وكان يحسن القراءة والكتابة [٣٦] ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه

---

(٣٠) الطبري (٣/١٠٠–١٠١) وابن الاثير (٢/١٩٢) والبلاذري ص (١٤٥–١٤٦) .
(٣١) البلاذري ص (١١٦) .
(٣٢) البلاذري ص (١٤٦) والاستيعاب (٣/١٥٧٥) .
(٣٣) البلاذري (١٤٥) والاستيعاب (٣/١٥٧٥–١٥٧٦) والاصابة (٦/٣٤١) .
(٣٤) جوامع السيرة ص (٢٣) والاصابة (٦/٣٤١) .
(٣٥) الاصابة (٦/٣٤١) .
(٣٦) جوامع السيرة لا بن حزم (٢٦) والسيرة الحلبية (٣/٣٦٤) .

وسلم وعن ابي بكر الصديق ، كما روى عنه بعض الصحابة (٣٧) ، وقد توفي سنة ثماني عشرة (٦٣٩ م) بطاعون عمْواس (٣٨) ، ودفن بدمشق (٣٩) ، وقد اندثرت معالم قبره ولم يبق له أثر . ولا عقب له (٤٠) .

القائـــد :

قاد يزيد مجاهدي مكة وأكثرهم من قريش وبعضهم من ساداتها في معارك أرض الشام ، وتوليته على هذه الكتلة البشرية التي كانت تضم كثيراً ممن كان لا يزال يعتد بحسبه ونسبه ، دليل على قوة شخصيته وقابليته على السيطرة وثقة الناس به .

وقد أثبتت الحوادث الحربية فيما بعد أنه كان حرياً بكل هذه الثقة ، إذ أنه نجح في قيادته ، فلم يفشل في أية معركة خاضها منذ نشب القتال بين المسلمين والروم في أرض الشام حتى توفاه الله وهو يجاهد الروم في أرض فلسطين .

لقد اشتبكت قواته بالروم (بالعربة) ، فكان اشتباكه هذا أول قتال بالشام بعد سرية أسامة بن زيد ، وكان لانتصاره على الروم أثر كبير على رفـــع معنويات المسلمين من جهة وتحطيم معنويات الروم من جهـــة أخرى . وكان على (الميسرة) في معركة اليرموك ، فكان أحد ستة قادة (٤١)

---

(٣٧) الاصابة (٦/٣٤١) .

(٣٨) طبقات ابن سعد (٧/٤٠٦) والاصابة (٤/٣٤١) والاستيعاب (٣/١٥٧٦) والبلاذري ص (١٤٦) والمعارف ص (٣٤٥) .

(٣٩) البلاذري (١٤٦) و (١٤٨) .

(٤٠) المعارف ص (٣٤٥) .

(٤١) القادة الستة هم : ١ – القائد العام ٢ – قائد المقدمة ٣ – قائد المؤخرة ٤ – قائد الميمنة ٥ – قائد الميسرة ٦ – قائد القلب .

لهم أثر حاسم في انتصار المسلمين بهذه المعركة الحاسمة في التاريخ .

وقد كان ليزيد أثر في فتح (بصرى) ودمشق ، وكان هو القائد المسؤول عن فتح صيدا وعرقة وجبيل وبيروت .

ولما أراد الروم استعادة (دمشق) وحشدوا لهذه الغاية أضخم قوة وأقدر قادة ، أعطاهم يزيد بمساعدة خالد بن الوليد درساً قاسياً جعلهم يحسبون للمسلمين ألف حساب قبل أن يقدموا على محاولة استعادة جزء من أرض الشام .

وكان الغرض من اقدامه على فتح قيسارية — وهي ثغر جليل الخطر حصين الموقع تحميه قوة كبيرة من الروم — هو حرمان الروم من ارسال الامدادات الى قائدهم (أرطبون) من البحر عن طريقها ، وكان أرطبون يخوض حينذاك معركة حياة أو موت ضد قوات المسلمين بقيادة عمرو بن العاص ؛ وبذلك استطـاع المسلمون دحر الروم بسهولـة فتقرر مصير فلسطين لأجيال وأجيال .

إن أسباب انتصارات يزيد ، تعود لمزايا قيادته الحكيمة الرصينة ، فقد كان ذكياً ألمعي الذكاء فكانت قراراته صائبة ، وكان ذا ارادة قوية وشخصية نافذة ، يتحمل المسؤولية برحابة صدر ، يتمتع بمزية سبق النظر ، يحب رجاله ويثق بهم ويحبونه ويثقون به ، وله سمعة طيبة وماض مجيد .

وكان قائداً (تعرضياً) ينجز (تحشد قوته) قبل الاقدام على عمل حربي ويفكر كثيراً في اعداد خططه فتكون مثالية في أغلب الأحيان ، وكان (يقتصد بقوته) ولا يُقدّم خسائر فادحة في معاركه دون مبرّر .

ولست أشك أن سمعته إنساناً طيباً يتمتع بمزايا الخلق الكريم ، كانت من أسباب انتصاراته ، إذ سبقته سمعته الطيبة الى عدوه ، ففتح بهذه السمعة الطيبة قلوب أعدائه قبل ان يفتح بلادهم .

يزيد في التاريخ :

يذكر التاريخ ليزيد ، أنه كان أحد القادة المعدودين الذين كان لهم أثر عظيم في انتصار المسلمين على الروم في أرض الشام .

ويذكره بصورة خاصة أنه فتح ساحل دمشق أو ما يسمى في الوقت الحاضر : (لبنان) .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الحكيم ، يزيد بن ابي سفيان الأُموي .

سُفيان بن مجيب الأزدي [1]

فاتح طَرابُلس [2]

إسلامـــه :

كان سفيان بن مجيب الأُزدي من قدماء الصحابة [3] وشهد مع النبي صلى الله عليه وسلم حجة الوداع [4] ، لذلك فمن المؤكد أنه شهد تحت لواء الرسول القائد كثيراً من الغزوات على الرغم من سكوت المؤرخين عن ذلك ؛ وبهذا نال سفيان شرف الجهاد وشرف الصحبة .

جهـــاده :

جاهد سفيان في أرض الشام جهاداً مشرفاً استحق عليه أن يكافأ بتوليته قيادة الرجال ، فلما استخلف عثمان بن عفان وجمع لمعاوية بن أبي سفيان أرض الشام ، وجَّه معاوية سفيان الى طَرابُلس وهي ثلاثة مدن مجتمعة ، فبنى في مرجٍ على أميال منها حصناً سمي : حصن سفيان ، وقطع المادة عن أهل

---

(١) ورد اسمه سفيان بن مجيب الازدي في ابن الاثير (١٦٥/٢) وفي البلاذري ص (١٣٣) وقد أخذنا بذلك لانه الاسم المشهور في مصادر التاريخ . اما في الاصابة (١٩٧/٣) فقد ذكر أن اسمه سفيان بن مجيب ويقال ان اسمه نفير ، اما في الاستيعاب (١٥١٠/٤) فقد ذكر أن اسمه نفير ابن مجيب ويقال أن اسمه سفيان بن مجيب . اما في أسد الغابة (٣٢١/٢) فقد ذكر أن اسمه سفيان ابن محبب أو نفير بن محبب . وفي تهذيب ابن عساكر (١٨٣/٦) ورد اسمه : سفيان بن بخيت الأزدي .

(٢) طرابلس : مدينة من ثلاث مدن على شاطىء البحر الأبيض المتوسط ، عليها سور صخري جليل البنيان . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٤/٦) .

(٣) الاستيعاب (١٥١٠/٤) وتهذيب ابن عساكر (١٨٣/٦) .

(٤) الاصابة (١٠٧/٣) .

طَرابُلس من البحر والبر وحاصرهم ، فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا في أحد الحصون الثلاثة وكتبوا الى ملك الروم يسألونه أن يمدهم بالقوات أو يبعث اليهم بمراكب يهربون فيها ، فوجه اليهم بمراكب كثيرة ركبوها ليلاً وهربوا .

وأصبح سفيان ، وكان يبيت كل ليلة في حصنه ويحصن المسلمين فيه ، ثم يغدو على العدو ، فوجد الحصن الذي كان فيه أهل طرابلس خالياً ، فدخله وكتب بالفتح الى معاوية [٥] .

الإنسان :

تولى سفيان (بَعلَبَك) ، وقد كان مقرباً من معاوية بدليل أنه زوّجه حفصة بنت أمية بن حرب [٦] وقد سكت المؤرخون عن أعماله العامة الأخرى ، فلا نعرف عنها شيئاً .

لقد كان تقياً ورعاً ، صادقاً وفياً ، شهماً غيوراً ، وكان شريفاً في الجاهلية وشريفاً في الاسلام ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً واحداً [٧] .

القائـــد :

كانت طرابلس مدينة حصينة ، وكان المدافعون عنها يتصلون بالروم عن طريق البحر الذي كان الروم متفوقين فيه على المسلمين بأساطيلهم ، اذ لم يكن لدى المسلمين حينذاك أسطول قوي ينافس الاسطول الرومي ، لذلك استطاع الروم الصمود فيها طويلاً ، فكان على المسلمين أن يصبروا طويلاً على متطلبات الحصـــار .

---

(٥) ابن الاثير (١٦٥/٢) والبلاذري ص (١٣٣) وانظر تهذيب ابن عساكر (١٨٤/٦) .
(٦) الاصابة (١٠٨/٣) .
(٧) أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد لابن حزم – ملحق بجوامع السيرة ص (٣١١) وتهذيب ابن عساكر (١٨٣/٦) .

إن الحصار يحتاج الى قائد يتمتع بمزيتي الضبط الشديد والصبر الجميل ، كما يحتاج الى جنود مدربين يتمتعون بالضبط والطاعة ؛ وانتصار المسلمين على الروم بعد حصار طويل يدل على شدة ضبط سفيان ومقدار صبره ، وحسن تدريب رجاله وتكامل ضبطهم .

ولقد أعان سفيان على الروم بناءه حصناً يبيت هو والمسلمون فيه ليلاً ويغدون على العدو نهاراً ، مما جعل المسلمين يصبرون على الحصار الطويل بسهولة ويسر .

ان تفكير سفيان ببناء هذا الحصن دليل على تمتعه بقابليات ادارية ممتازة ، وعمله هذا يصعب انجازه في العصر الحاضر ، فكيف انجزه سفيان في تلك الايام ؟

لقد كان يتمتع بعقلية متزنة وتفكير صائب ، لذلك كانت قراراته صحيحة ، وكان ذا شخصية قوية وإرداة صلبة ، لا تتبدل نفسيته في حالتي النصر والاندحار ، يحب رجاله ويثق بهم ويحبونه ويثقون به ، وكان شجاعاً مقداماً ذا ماض مشرف .

سفيان في التاريخ :

يذكر التاريخ لسفيان أنه فاتح طرابلس الشام ، تلك المدينة التي كان يسكنها الروم واليهود ، فأصبحت معقلاً من معاقل العروبة والاسلام .

ويذكر له أنه أول قائد عربي مسلم فكّر بانشاء حصن يلجأ اليه المسلمون ليلاً فيأمنون فيه غائلة التقلبات الجوية ومباغتة العدو لهم ، كما أن هذا الحصن حطم معنويات الروم ، لأنهم يئسوا من نزوح المسلمين عنهم قبل فتح مدينتهم الحصينة .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، المجاهد الصابر ، القائد الفاتح سفيان بن مجيب الازدي .

قادة فتح الأردن

١ – شرحبيل بن حسنة الكندي .

٢ – خالد بن الوليد المخزومي [١] .

٣ – ابو عبيدة بن الجراح الفهري [٢] .

٤ – عمرو بن العاص السهمي [٣] .

---

(١) انظر : قادة فتح العراق والجزيرة ص (٤٧–٢٠٩) .

(٢) انظر ترجمته في هذا الكتاب ص (٥٤ – ٨١) .

(٣) انظر ترجمته في هذا الكتاب في باب : فتح فلسطين .

شرحبيل بن حسنة الكندي

فاتح الأردن (1)

نسبه :

هو شُرَحْبِيْل بن حَسَنَة بن عبدالله بن المُطاح بن عمرو بن كندة حليف بني زهرة ، ويكنى أبا عبدالله (2) ، وأمه حَسَنَة ، فغلب عليه اسم أمه ، لأن والده مات وهو صغير فبقي في حجرها حتى بعد زواجها (3). وشرحبيل من أهل اليمن (4) .

إسلامـــه :

أسلم شرحبيل قديماً بمكة ، وهو من مهاجرة الحبشة في الهجرة الثانية ، وكان من علية أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وغزا معه عدّة غزوات (5) ؛ وبذلك نال شرحبيل شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت

---

(1) الأردن : سميت باسم نهر الأردن . أكبر مدنها طبرية وأريحا وبيسان وصور ... الخ . راجع المسالك والممالك للاصطخري ص (٤٤–٤٥) ومعجم البلدان (١/١٨٥) وآثار البلاد وأخبار العباد للقزويني ص (١٤١) .

(2) طبقات ابن سعد (٤/١٢٧) و (٧/٣٩٣) وفي الاستيعاب ص (٣٢٥) : ان عبد الله ابن المطاع لا المطاح ، وكذلك في تهذيب ابن عساكر (٦/٢٩٩) وشذرات الذهب (١/٣٠) .

(3) تزوجت من سفيان بن معمر الانصاري . راجع الاصابة (٣/١٩٩) وأسد الغابة (٢/٣٩١) والاستيعاب (٢/٦٩٨) وانظر شذرات الذهب (١/٣٠) .

(4) المعارف ص (٣٢٥ و ٤٢٩) .

(5) طبقات ابن سعد (٧/٣٩٣) . وانظر سيرة ابن هشام (١/٣٥٠) وجوامع السيرة لا بن حزم ص (٦١) عن هجرته الى الحبشة . وانظر تهذيب ابن عساكر (٦/٣٠٠) وشذرات الذهب (١/٣٠) .

لواء الرسول القائد .

جهـــاده :

١ – في حرب أهل الردة :

بعث أبو بكر الصديق عكرمة بن أبي جهل على رأس جيش الى مُسَيْلمة الكذاب ، ثم بعث شرحبيل في إثر عكرمة [٦] ، ولكن عكرمة عجّل بلقاء عدوّه ليكون له وحده فخر القضاء على مسيلمة ، فكان نصيبه الفشل من جرّاء تعجّله هذا [٧] .

وأقام شرحبيل في الطريق ، فوصله كتاب أبي بكر يأمره بالمقام حتى يأتيه أمره ، ثم كتب اليه قبل أن يوجّه خالد بن الوليد الى اليمامة بأيام : « اذا قدم عليك خالد ثم فرغتم إن شاء الله ، فالحق بقضاعة ، حتى تكون وعمرو بن العاص على مَن أبَى منهم وخالف » [٨] ؛ غير أن شرحبيل عجّل هو الآخر بلقاء عدوّه ، فنكب كما نكب عكرمة قبله ، فلامه خالد بن الوليد على تعجُّله لمّا قدم عليه [٩] .

وسار خالد نحو مسيلمة ، وتولى هو بنفسه قيادة المقدمة ومعه شرحبيل [١٠] فكان شرحبيل على رأس قوات المسلمين الأولى التي اصطدمت بقوات مسيلمة من بني حنيفة وحلفائهم في (عَقْرَبَاء) [١١] حيث أبلى في هذه المعركة أعظم البلاء .

---

(٦) الطبري (٤٨٠/٢) وابن الاثير (١٣٧/٢) .
(٧) الطبري (٥٠٤/٢) وابن الاثير (١٣٧/٢) .
(٨) الطبري (٥٠٤/٢–٥٠٥) .
(٩) الطبري (٥٠٢/٢) وابن الاثير (١٣٨/٢) .
(١٠) الطبري (٥٠٨/٢) .
(١١) عقرباء : منزل من أرض اليمامة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٩٣/٦) .

٢ – في أرض الشام :

الظاهر أن شرحبيل بقي مع خالد بن الوليد بعد معركة اليمامة التي تمّ القضاء بها على فتنة مسيلمة ورافقه الى العراق وشهد معه كافة معاركه في العراق خلال سنة اثنتي عشرة للهجرة [١٢] ؛ فلما قدم شرحبيل من عند خالد الى أبي بكر وافداً ، أمرّه أبو بكر بالشام وندب معه الناس [١٣] ، وبذلك تولى قيادة أحد جيوش المسلمين في الشام سنة ثلاث عشرة للهجرة [١٤] .

كان مع شرحبيل ثلاثة آلاف رجل سلك بهم طريق (تَبُوك) [١٥] ، فلم يزل أبوبكر يمد أمراءه في الشام بالرجال ، حتى صار مع شرحبيل سبعة الآف وخمسمائة رجل وكان أبوبكر قد ولاّه الاردن [١٦] .

وما كادت جيوش المسلمين تصل الشام ، حتى أرسل (هرقل) قادته وجيوشه باتجاه قادة وجيوش المسلمين [١٧] ؛ ليشغل جيوش المسلمين عن بعض ، وحتى يحول دون تعاون قادة المسلمين فيما بينهم ، ولتضعف كل فرقة من المسلمين عمّن بإزائها من الروم [١٨] ؛ ولكن قادة المسلمين فوّتوا على (هرقل) هذه الفرصة ، إذ كتبوا الى عمرو بن العاص يسألونه الرأي ، فكاتبهم بالاجتماع في (اليرموك) [١٩] ، وأيدّ أبوبكر هذا الرأي [٢٠] .

---

(١٢) ورد ذكر شرحبيل في معركة عين التمر . راجع الطبري (٢/٥٧٧) .
(١٣) الطبري (٢/٥٨٩) وابن الاثير (٢/١٥٥) والبلاذري ص (١١٥) .
(١٤) الطبري (٢/٥٨٩) .
(١٥) تبوك : موضع بين وادي القرى والشام ، وهو بين الحجر وأول الشام على أربع مراحل من الحجر نحو نصف طريق الشام ، وهو حصن به عين ونخل . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣٦٥) .
(١٦) البلاذري ص (١١٦) .
(١٧) الطبري (٢/٥٩٠) وابن الاثير (٢/١٥٥) .
(١٨) ابن الاثير (٢/١٥٥) .
(١٩) اليرموك : واد بناحية الشام في طرف الغور يصب في نهر الأردن . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٥٠٤) .
(٢٠) الطبري (٢/٥٩٠) وابن الاثير (٢/١٥٦) .

وفي معركة (اليرموك) الحاسمة ، كان شرحبيل أحد مائة من أبطال المسلمين من المهاجرين والأنصار الذين اختارهم خالد فدائيين : كل فارس منهم يرد جيشاً [٢١] ، حتى يؤثِّر بهؤلاء المغاوير على معنويات الروم ، في ابتداء نشوب القتال . وفي هذه المعركة تولى شرحبيل قيادة أحد كراديس الميمنة [٢٢] وكان له أثر مرموق في انتصار المسلمين على الروم .

وشهد بعد ذلك فتح (بُصرى) [٢٣] صلحاً مع خالد بن الوليد وأبي عبيدة ويزيد بن أبي سفيان [٢٤] ؛ ثم ساروا جميعاً الى فلسطين مدداً لعمرو بن العاص ، فنزلوا (أجْنَادِيْن) [٢٥] ، وهناك التقى الطرفان ، فتغلّب المسلمون على الروم [٢٦] .

٣ ـ الفاتح :

سار أبو عبيدة الى (فِحْل) [٢٧] وعلى مقدمته خالد بن الوليد وعلى الناس شرحبيل ، وكان على المجنبتين أبو عبيدة وعمرو بن العاص . وكان أهل (فحل) قد قصدوا (بَيْسَان) [٢٨] وفجروا مياه المنطقة فأصبحت مغمورة بالمياه موحلة ؛ وبعد حصار دام طويلاً هجموا على المسلمين فاقتتلوا أشد

---

(٢١) فتوح الشام للواقدي (١٢٠/١) .

(٢٢) الطبري (٥٩٣/٢) وابن الاثير (١٥٨/٢) .

(٢٣) بصرى : مدينة من أعمال دمشق ، وهي قصبة كورة حوران ، مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٠٨/٢) .

(٢٤) ابن الاثير (١٦٠/٢) .

(٢٥) أجنادين : موضع معروف بالشام من نواحي فلسطين ، قريبة من الرملة من كورة بيت جبرين . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٢/١) .

(٢٦) ابن الاثير (١٦٥/٢) .

(٢٧) فحل : اسم موضع بأرض الشام في ناحية الأردن . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٤٠/٦) .

(٢٨) بيسان : مدينة بالأردن بالغور الشامي . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٣١/٢) .

قتال ليلتهم ويومهم الى الليل ، فلما جنّ الليل هُزموا فضلّوا الطريق ، فأسلمتهم هزيمتهم الى الوحل ، فلم يفلت منهم إلا الشريد (٢٩) .

لقد كان الفضل في تحطيم هجوم الروم المفاجىء يعود الى قيادة شرحبيل الذي كان لا يبيت ولا يصبح إلاّ على تعبية (٣٠) ، إذ لولا حذره الشديد لأدّى هجوم الروم المباغت الى عواقب وخيمة على المسلمين .

ولما فرغ شرحبيل من معركة (فحل) سار بالناس ومعه عمرو بن العاص الى (بيسان) ، فتحصّن أهلها ، فحاصرهم شرحبيل أياماً ، حتى خرج أهل بيسان فقاتلوا المسلمين ولكنهم دُحروا ، فصالح شرحبيل بقية أهلها على مثل صلح دمشق (٣١) .

وبلغ أهل (طَبَرِيّة) (٣٢) خبر بيسان ، فصالحوا شرحبيل على مثل صلح دمشق (٣٣) ، وبذلك أكمل شرحبيل فتح الاردن (٣٤) .

الإنسان :

كان شرحبيل من عِلْيَة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣٥) ، وقد أوفده رسول الله صلى الله عليه وسلم الى مصر رسولاً فمات النبي صلى

---

(٢٩) الطبري (٢/٦٢٨-٦٣٠) وابن الاثير (٢/١٦٥) .

(٣٠) الطبري (٢/٦٢٩) وابن الاثير (٢/١٦٥) .

(٣١) الطبري (٢/١٦٦) وابن الاثير (٢/١٦٦) ، وشروط الصلح : مشاطرة المسلمين اهلها المنازل في المدائن وما أحاط بها مما يصلها ، فيدعون لهم نصفا ويجتمعون في النصف الآخر . وعن كل رأس دينار كل سنة ، ... الخ .

(٣٢) طبرية : بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية وهي في طرف جبل ، وجبل الطور مطل عليها وهي من أعمال الأردن في طرف الغور . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦/٢٣) .

(٣٣) الطبري (٢/٦٣٠) وانظر تهذيب ابن عساكر (٦/٣٠٠) .

(٣٤) البلاذري (١٢٣) وانظر جمل فتوح الاسلام لا بن حزم – ملحق بجوامع السيرة ص (٣٤١) ومعجم البلدان (١/١٨٦) .

(٣٥) طبقات ابن سعد (٧/٣٩٣) .

الله عليه وسلم وشرحبيل بمصر [٣٦] ، وكان معدوداً من وجوه قريش [٣٧] ، قدّمه قِدم اسلامه وما بذله من جهد في سبيل عقيدته وايمانه الراسخ . وكان صريحاً لا يخشى في الحق أحداً ، فقد خطب عمرو بن العاص لما انتشر مرض الطاعون بالشام ، فقال : « إنّ هذا الطاعون رجس ، فتفرّقوا في هذه الشعاب وفي هذه الأودية » ، فبلغ ذلك شرحبيل فغضب ، وجاء وهو يجرّ ثوبه معلقاً نعله بيده ، فقال : « صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعمرو أضل من حمار أهله ، ولكنه (يريد الطاعون) رحمة ربكم ودعوة نبيكم ووفاة الصالحين قبلكم » أخرجه الثلاثة [٣٨] ، وهذا دليل على شدة صراحته حتى انه ليجابه أمير البلاد بمثل هذه الصراحة المتطرفة وهذا القول العنيف [٣٩] .

لقد كان مؤمناً صادق الايمان ، تقياً نقياً ورعاً مأمون النقيبة ، كريماً مضيافاً شهماً غيوراً ، له رواية عن النبي صلى الله عليه وسلم [٤٠] ، وكان يحسن القراءة والكتابة لأنه من كتّاب الوحي [٤١] ، وقد توفي بالطاعون سنة ثماني عشرة للهجرة (٦٣٩ م) وله سبع وستون سنة [٤٢] ، أي أنه ولد قبل الهجرة بتسع وأربعين سنة (٥٧٤ م) .

القائد :

كانت قيادة شرحبيل في أول أمره تتسم بالتسرّع وعدم إعداد كافة متطلبات

---

(٣٦) تهذيب ابن عساكر (٣٠٠/٦) .
(٣٧) الاستيعاب (٦٩٩/٢) .
(٣٨) أسد الغابة (٣٩١/٢) وانظر تهذيب ابن عساكر (٣٠١/٦) .
(٣٩) لما مات ابو عبيدة استخلف على الشام عمرو بن العاص . راجع ابن الأثير (٢١٦/٢) .
(٤٠) الاصابة (١٩٩/٣) . وفي تهذيب ابن عساكر (٢٩٩/٦) : انه روى حديثاً واحداً فقط .
(٤١) فتوح الشام للواقدي (٦/١) .
(٤٢) طبقات ابن سعد (٣٩٤/٧) والاصابة (١٩٩/٣) وأسد الغابة (٣٩١/٢) والاستيعاب (٦٩٩/٢) وتهذيب ابن عساكر (٣٠٠/٦) . وفي المعارف ص (٣٢٥) : انه مات وهو ابن أربع وستين سنة . وانظر شذرات الذهب (٣٠/١) حول موته سنة ثماني عشرة للهجرة .

القتال قبل الاقدام على خوض معركة ما ، ولكنه أخذ درسه في معركة اليمامة عندما تعجّل في مهاجمة مسيلمة الكذاب فنكب من جراء تسرعه هذا ؛ ومن يومها أصبحت قيادة شرحبيل تتسم بالتريّث الشديد والحذر والحيطة واليقظة ، فكان لا يسير ولا يبيت ولا يصبح إلا على تعبية ، وذلك ليحرم العدو من مباغتة قوات المسلمين .

لقد أصبح بعد الدرس القاسي الذي تلقاه في اليمامة ، ينجز تحشيد قواته ويكمل أمورها الادارية ويُعِدّ كافة قضايا الاستطلاع والحصول على المعلومات قبل أن يخوض غمار القتال ، لذلك استطاع فتح الأردن كله بخسائر طفيفة نتيجة لحذره وحرصه الشديد على الأرواح تسفك بدون مبرّر .

لقد كان يتحلّى بالعقيدة الراسخة والضبط المتين والشجاعة والإقدام ، له عقلية متّزنة وشخصية نافذة وإرادة قوية ، يحب رجاله ويحبونه ويثق بهم ويثقون به وله ماض مشرف ناصع .

شرحبيل في التاريخ :

يذكر التاريخ لشرحبيل جهاده في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وجهاده في حرب الردة في أيام أبي بكر الصديق ، وفتحه الأردن كله .

يكفي أن يذكر التاريخ عنه ، أنه فاتح الأردن وأنه كان لجهاده في أرض الشام أثر كبير في اندحار الروم ونشر الاسلام في تلك الربوع .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الانسان ، فاتح الاردن شُرَحْبِيْل ابن حَسَنَة الكندي .

قادة فتح فلسطين

١ – عمرو بن العاص السهمي .

٢ – أبو عبيدة بن الجراح القرشي الفهري[١] .

٣ – أبو أمامة الباهلي .

٤ – أبو الأعور السلمي .

٥ – معاوية بن أبي سفيان الأموي .

---

(١) انظر ترجمته في هذا الكتاب ص (٥٤ – ٨١) .

عمرو بن العاص السهمي

فاتح فلسطين ومصر وليبيا

« أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص »

(حديث شريف)

أهلـه :

هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم ؛ يكنى : أبا عبدالله[١] . أبوه هو العاص بن وائل أحد أشراف قريش في الجاهلية وزعيم بني سهم وقائدهم في يوم (الفجار) الثاني قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم[٢] وقد ادرك الاسلام ولم يسلم ، وكان أحد سادات قريش الذين ذهبوا الى ابي طالب يسألونه أن يكفّ عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣] ، كما كان أحد زعماء قريش الذين حاولوا صد النبي صلى الله عليه وسلم عن دعوته وعرضوا عليه كل المغريات ليكفّ عنهم[٤] ، وكان أحد المستهزئين بالرسول صلى الله عليه وسلم وبأصحابه[٥] ، وهو الذي كان اذا ذُكِرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « دعوه فانما هو رجل أبتر لا عقب له ، لو قد مات لقد انقطع ذكره واسترحتم منه » ، فأنزل الله في ذلك قوله :

---

(١) طبقات ابن سعد (٤٩٣/٧) والاصابة (٢/٥) وأسد الغابة (١١٥/٤) والاستيعاب (١١٨٤/٣)

(٢) ابن الاثير (٢١٦/١) .

(٣) سيرة ابن هشام (٢٧٧/١) .

(٤) سيرة ابن هشام (٣١٥/١) .

(٥) ابن الاثير (٢٦/٢) وسيرة ابن هشام (١٠٦/٢) وجوامع السيرة ص (٥٣) .

(إنّا أعطيناك الكوثر ، فصلّ لربك وانحر ، إن شانئك هو الأبتر)[٦] ، وهو الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم « لو جُعل معك يا محمد ملَك يحدّث عنك الناس ويُرى معك » ، فأنزل الله تعالى : (وقالوا : لولا أُنزل عليه ملك ، ولو أنزلنا ملكاً لقضي الأمر ثم لا يُنظرون . ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليه ما يلبسون)[٧] . ومع ذلك كان يحترم حرية الرأي ، فقد زجر الذين أرادوا سوءاً بعمر بن الخطاب من قريش حين أعلن عمر على الملأ إسلامه قائلاً لهم : « رجل اختار لنفسه أمراً ، فماذا تريدون ؟ أترون بني عدي بن كعب يسلمون لكم صاحبهم هكذا؟ خلّوا عن الرجل ! »[٨] وهذا يدل على أنه كان عاقلاً يتسّم ببعد النظر بالاضافة الى احترامه لحرية الرأي .

وأم عمرو هي سلمى بنت حرملة ، تلقّب النابغة ، من بني عَنَزَة ، اصابتها رماح العرب فبيعت بعكاظ ، فاشتراها الفاكهة بن المغيرة ثم اشتراها عبدالله ابن جدعان ، ثم صارت الى العاص بن وائل ، فأنجبت عمراً[٩] .

وعمرو من بني (سهم) ، وهم بطن من عشرة أبطن من قريش انتهى اليها الشرف قبيل الاسلام هم : هاشم وأمية ونوفل وعبدالدار وتيم وأسد ومخزوم وعدي وجمح وسهم[١٠] ، وكان لكل بطن من هذه البطون واجب خاص ، فكان بنو سهم أصحاب الحكومة في قريش ، والحكومة عمل يشبه القضاء بحيث كان يحتكم القرشيون وغيرهم ممن يفد على مكة من العرب الى زعماء بني سهم فيما يقع بينهم من الخصومات ، وهذا يدل على انهم كانوا أصحاب رأي وحلم ودهاء . وكان لبني سهم ايضاً الرئاسة على الاموال

---

(٦) سيرة ابن هشام (٤٢١/١) وانظر تفسيرها في الكشاف للزمخشري (٢٩١/٣) وهي سورة الكوثر (١٠٨ : ١-٣) .

(٧) سيرة ابن هشام (٤٢٣/١) والآية الكريمة من سورة الانعام (٦ : ٨-٩) .

(٨) سيرة ابن هشام (٣٧١/١) .

(٩) أسد الغابة (١١٦/٤) والاستيعاب (١١٨٤/٣) .

(١٠) سيرة ابن هشام (١٤٣/١-١٤٤) .

الخاصة بآلهتهم ، وهي أشبه شيء بالأوقاف العامة ، وفي قبضة صاحب هذا العمل الاموال المحجّرة (كما كانوا يسمونها) يتصرّف فيها حسب ما تقتضيه القواعد التي جروا عليها في العمل بأموال أوثانهم .

لقد اشتهر بنو سهم بالغزو والشرف والشعر وفصل الخصومات والكرم واليسار[١١] .

في الجاهلية :

كان عمرو جزاراً[١١أ] وكان يحترف التجارة أيضاً ، وكان في قافلة فيها أموال لقريش وتجارة وهي التي ندب رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين للخروج عليها[١٢] ، فكان خروجهم ذلك السبب المباشر لغزوة (بدر) الكبرى ؛ وكان يسافر بتجارته الى الشام واليمن ومصر والحبشة . بعثته قريش الى النجاشي صاحب الحبشة ليسلّمه جعفر بن أبي طالب وصحبه من المهاجرين الى أرض الحبشة ، فلم يفعل النجاشي[١٣] فبقي المهاجرون في الحبشة بأمان وبذلك فشل عمرو في مهمته هذه .

شهد غزوة (أُحُد) مع المشركين[١٤] ونظم الشعر متشفياً بهزيمة المسلمين في تلك المعركة[١٥] ، وكان أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم[١٦] .

لقد كان عمرو من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية مذكوراً بذلك فيهم[١٧] وكان فوق ذلك معروفاً بالدهاء وحسن التصرف بين رجالات قريش ، مما

---

(١١) أنظر تاريخ عمرو بن العاص للدكتور حسن ابراهيم حسن (١٠-١١) .
(١١أ) المعارف (٥٧٥) .
(١٢) سيرة ابن هشام (٢/٢٤٤) وجوامع السيرة لا بن حزم (١٠٧) .
(١٣) ابن الاثير (٢/٢٩) وسيرة ابن هشام (١/٣٥٦) وأسد الغابة (٤/١١٦) .
(١٤) سيرة ابن هشام (٣/٦) .
(١٥) أنظر سيرة ابن هشام (٣/١١٠) و (٣/١١٦) .
(١٦) الاستيعاب (٣/١١٩٠) .
(١٧) الاستيعاب (٣/١٨٨) .

أدى الى ارساله سفيراً الى الحبشة لاقناع النجاشي بتسليم المهاجرين من المسلمين الى الحبشة الى المشركين من قريش .

مع النبي :

١ – إسلامه :

أسلم عمرو سنة ثمان للهجرة ، فقد قدم مع خالد بن الوليد وعثمان بن طلحة ، فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم عمراً وصاحبيه قال : « ألقت اليكم مكة أفلاذ كبدها » يعني انهم وجوه أهل مكة [١٨] .

لقد كان عمرو يفكر بالاسلام قبل اعلان اسلامه ، وقد أسلم على يد النجاشي [١٩] ، وكان همّ بالاقبال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حين انصرافه من الحبشة ثم لم يعزم له حتى سنة ثمان للهجرة [٢٠] .

سأل رجل عمراً : « ما أبطأ بك عن الاسلام وانت في عقلك ؟! » ، قال : « إنا كنا مع قوم لهم علينا تقدم وكانوا ممن توازي حلومهم الجبال . فلما بُعث النبي صلى الله عليه وآله وسلم فأنكروا عليه فلذنا بهم ، فلما ذهبوا وصار الأمر الينا ، نظرنا وتدبّرنا ، فاذا حق بيّن ، فوقع في قلبي الاسلام ، فعرفت قريش ذلك مني من إبطائي عما كنت أسرع فيه من عونهم عليه ، فبعثوا اليّ فتى منهم ، فناظرني في ذلك ، فقلت : أنشدك الله ربك ورب من قبلك ومن بعدك ، أنحن أهدى أم فارس والروم ؟ قال : نحن أهدى ؛ قلت : فنحن أوسع عيشاً أم هم ؟ قال : هم . قلت : فما ينفعنا فضلنا عليهم إن لم يكن لنا فضل إلاّ في الدنيا وهم أعظم منا فيها أمراً في كل شيء ، وقد وقع في نفسي أن الذي يقوله محمد عن أن البعث بعد الموت ليجزى المحسن

---

(١٨) أسد الغابة (٣/٣٧٢) والاستيعاب (٣/١٠٣٤) .
(١٩) ابن الاثير (٢/٨٧–٨٨) والاصابة (٥/٢) وأسد الغابة (٤/١١٦) .
(٢٠) الاستيعاب (٣/١١٨٦) .

باحسانه والمسيء باساءته حق ، ولا خير في التمادي في الباطل »[٢١] .

قال عمرو : « ثم جعل الاسلام في قلبي ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبايعه ، فقلت : أبسط يمينك أبايعك يا رسول الله ، فبسط يده ! ثم اني قبضت يدي ، فقال : مالك يا عمرو !؟! فقلت : أردت أن أشترط !؛ فقال : تشترط ماذا ؟ فقلت أشترط أن يُغفر لي . فقال : أما علمت يا عمرو أن الاسلام يهدم ما كان قبله ، وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها ، وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟ فقد رأيتني ما من أحد أحب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجلّ في عينيّ منه ، ولو سئلت أن أنعته ما أطقت لأني لم أكن أطيق أن أملأ عيني إجلالاً له »[٢٢] .

لقد أسلم عمرو بعد تفكير طويل ، لذلك قال الرسول صلى الله عليه وسلم عن إسلامه : « أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص »[٢٣] .

٢ - في ذات السلاسل [٢٤] :

قال عمرو : « ما عدل .بي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبخالد بن الوليد أحداً من أصحابه في حربه منذ أسلمت » ، فقد ولاّه قيادة سرية مؤلفة من ثلاثمائة رجل من أشراف المهاجرين والانصار ، لصدّ جمع (قُضاعة) الذين يريدون أن يهاجموا أطراف المدينة المنورة ؛ فسار عمرو الليل وكمن النهار ، فلما قرب من القوم بلغه أن لهم جمعا غفيراً ، فاستمد

---

(٢١) الاصابة (٥/٢) .

(٢٢) طبقات ابن سعد (٢٥٩/٤) وفتح مصر والمغرب ص (٢٤٣) .

(٢٣) أسد الغابة (١١٧/٤) ورواه الامام احمد (٤ /١٥٥) والترمذي (٣١٦/٢) وانظر مقال : الاحاديث الصحيحة للاستاذ الشيخ محمد ناصر الدين الالباني في التمدن الاسلامي ص (٧-٨) في العدد الصادر بالمحرم ١٣٨٢ هـ . من المجلد (٢٩) .

(٢٤) ذات السلاسل : ماء بأرض جذام يقال له السلسل . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٠٦/٥) وهي وراء وادي القرى وبينها وبين المدينة عشرة أيام . أنظرطبقات ابن سعد (١٣١/٢) .

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث اليه أبا عبيدة بن الجراح في مائتين وعقد له لواءً وبعث به معه سراة المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر ابن الخطاب وأمره أن يلحق بعمرو وان يكونا جميعاً ولا يختلفا . ولحق أبو عبيدة بعمرو فأراد أن يؤم الناس ، فقال عمرو : « إنما قدمت عليّ مدداً وأنا الأمير » ، فقال أبو عبيدة : لا ، ولكني على ما أنا عليه وانت على ما أنت عليه » ، فقال عمرو : « بل أنت مدد لي ! » ، فقال أبو عبيدة : يا عمرو ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي : لا تختلفا ، وانك إن عصيتني أطعتك » ؛ فأطاع له بذلك أبو عبيدة ، وكان عمرو يصلي بالناس ، فسار حتى وطىء بلاد (بَلِيّ) ودوّخها وأتى الى اقصى بلادهم وبلاد (عُذرة) و (بَلْقَين) ؛ ثم لقي جمعاً فحمل عليهم المسلمون فهربوا في البلاد وتفرّقوا ؛ وبذلك انتهى واجب عمرو ، فقفل راجعاً الى المدينة (٢٥) .

ولما هزم المسلمون أعداءهم طمعوا فيهم ، فأرادوا مطاردتهم ، فحال عمرو بينهم وبين ذلك . ثم أرادوا أن يوقدوا ناراً يصطلون عليها من البرد ، فمنعهم عمرو أيضاً ، فشق على المسلمين ذلك ولم يحتملوا تلك الشدة التي تهدد بقذف من يوقد النار فيها ، فشكوه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكلمه في ذلك ، فقال له عمرو : «كرهت ان آذن لهم أن يوقدوا ناراً فيرى عدوهم قلتهم ، وكرهت أن يتبعوهم فيكون لهم مدد » ، فأعجب به رسول الله صلى الله عليه وسلم أيما إعجاب وحمد له رأيه (٢٦) .

٣ ـ هدم سُواع (٢٧) :

بعث النبي صلى الله عليه وسلم حين فتح مكة عمراً الى (سُواع) ،

---

(٢٥) طبقات ابن سعد (١٣١/٢) وسيرة ابن هشام (٢٩٨/٣) وجوامع السيرة لابن حزم (٢٠) وابن الاثير (٨٨/٢ (والطبري) ٣١٥/٢) والاستيعاب (١١٨٦/٣) وعيون الاثر لابن سيد الناس (١٥٧/٢) .

(٢٦) السيرة الحلبية (٢٧٣/٣) وتاريخ الخلفاء للسيوطي (٧٢) .

(٢٧) سواع : صنم كان برهاط من أرض ينبع كان سدنته بنو لحيان . انظر كتاب الاصنام للكلبي ص(٩).

صنم هُذيل ليهدمه . قال عمرو : « فانتهيت اليه وعنده السادن ، فقال : ما تريد ؟ ، قلت : أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهدمه ، فقال : لا تقدر على ذلك ، فقلت : لِمَ ؟ ، فقال : تُمنع ! ، فقلت : حتى الآن أنت في الباطل ! ويحك هل يَسْمع أو يُبْصِر ! ؛ فدنوت منه فكسرته وأمرت أصحابي فهدموا بيت خزانته ، فلم يجدوا فيه شيئاً ، ثم قلت للسادن : كيف رأيت ؟ فقال : أسلمت لله »[٢٨] .

٤ ـ في عمان[٢٩] :

بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمراً الى جَيْفَر وعبد[٣٠] ابني الجُلَنْدَى ، وهما من الازد وكان جيفر هو الملك ، يدعوهما الى الاسلام ، وكتب معه اليهما كتاباً وختم الكتاب . قال عمرو : « فلما قدمت (عُمان) عمدت الى عبدٍ ، وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقاً ، فقلت : إني رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك والى أخيك ، فقال : أخي المقدّم عليّ بالسن والملك ، وأنا أوصلك اليه حتى يقرأ كتابك . فمكثت أياماً ببابه ، ثم إنه دعاني فدخلت عليه فدفعت اليه الكتاب مختوماً ففض خاتمه وقرأه حتى انتهى الى آخره ، ثم دفعه الى أخيه فقرأه مثل قراءته ، إلا أني رأيت أخاه أرق منه ، فقال : دعني يومي هذا وارجع اليّ غداً ؛ فلما كان الغد رجعت اليه ، فقال : اني فكّرت فيما دعوتني اليه ، فاذا أنا أضعف العرب اذا ملكت رجلاً ما في يدي . قلت : فاني خارج غداً ؛ فلما ايقن بمخرجي أصبح فأرسل الي ، فدخلت عليه ، فأجاب الى الاسلام

---

(٢٨) طبقات ابن سعد (١٤٦/٢) .

(٢٩) عمان : كورة باليمن وهي على ساحل بحر اليمن والهند تشتمل على بلدان كثيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢١٥/٦) .

(٣٠) في جوامع السيرة لابن حزم : جيفر وعياذ . انظر ص (٢٩) والصواب هو ما ذكرناه أعلاه لاجماع أهم المصادر عليه .

هو وأخوه جميعاً وصدّقا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، وخلّيا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم ، وكانا لي عوناً على من خالفني ؛ فأخذت الصدقة من أغنيائهم فرددتها في فقرائهم ، فلم أزل مقيماً فيهم حتى بلغنا وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم »[٣١]. وعاد عمرو من (عُمان) الى المدينة المنورة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم[٣٢].

جهاده :

١ – في حرب اهل الردة :

مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمرو بعُمان ، فأقبل حتى انتهى الى (البحرين) فوجد المنذر بن ساوى في الموت . ثم خرج عنه الى بلاد بني عامر فنزل بقرة بن هبيرة[٣٣] وهو يقدم رجلاً الى الردة ويؤخر أخرى ومعه جيش من بني عامر ، فأكرم قرة مثواه ؛ فلما أراد عمرو الرحلة خلا به قرة وقال : « يا هذا ! ان العرب لاتطيب لكم نفساً بالاتاوة ، فان اعفيتموها من أخذ أموالها فتسمع لكم وتطيع ! وان ابيتم فلا تجتمع عليكم » ، فقال عمرو : « أكفرت يا قرة ؟! أتخوّفنا بالعرب ؟! فوالله لأوطئن عليك الخيل في حفش[٣٤] أمك واحفاش بيت ينفرد فيه النفساء »[٣٥] ومرّ بمُسيْلمة الكذاب فأعطاه الأمان ، فقال له عمرو : « اعرض لي ما تقول » ، فذكر مسيلمة بعض كلامه ، فقال عمرو : «والله انك لتعلم

---

(٣١) طبقات ابن سعد (١/٢٦٢–٢٦٣) وانظر جوامع السيرة لابن حزم ص (٢٠) وص (٢٤) و (٢٩) .

(٣٢) ابن الاثير (٢/١٣٤) .

(٣٣) قرة بن هبيرة : أحد الوجوه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم ، ثم ارتد بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم فأسره خالد وبعث به موثقاً الى أبي بكر فاعتذر أنـه خاف مسيلمة الكذاب على ولده وماله وانه لم يرتد في الباطن ، فعفا عنه أبو بكر . راجع الاصابة (٥/٢٣٨)

(٣٤) الحفش : بيت ينفرد فيه النفساء .

(٣٥) ابن الاثير (٢/١٣٤) .

انك من الكاذبين » فتوعده مسيلمة[٣٦] .

ولما وصل عمرو المدينة وعقد أبو بكر أحد عشر لواءً لحرب أهل الردة ، عقد لعمرو وأرسله الى (قُضَاعة)[٣٧] ، وكان قد حاربهم في حياة النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة ذات السلاسل ، وكانت قضاعة قد ارتدّت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ؛ فلما أنفذ اليهم أبو بكر جيشاً بقيادة عمرو ، سار عمرو بجيشه في الطريق الذي سلكه من قبل حتى وصل بلاد قضاعة ، فأعمل السيف في رقابهم وغلبهم على أمرهم ؛ فعادوا الى الاسلام ، وعاد هو الى المدينة حاملاً لواء النصر .

٢ — في ارض الشام :

ردّ أبو بكر عمراً الى عمله الذي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولاه إياه في (عُمان) ، فلما أراد ارسال الجيوش لفتح أرض الشام كتب أبو بكر لعمرو : « اني كنت قد رددتك على العمل الذي ولاّك رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة ووعدك به أخرى انجازاً لمواعيد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد وليته ، وقد احببت أن أفرغك لما هو خير لك في الدنيا والآخرة ، والا ان يكون الذي أنت فيه أحب اليك » ، فكتب اليه عمرو : « اني سهم من سهام الاسلام ، وانت بعد الله الرامي والجامع لها ، فانظر أشدّها وأخشاها وأفضلها فارم به شيئاً ان جاءك من ناحية من النواحي »[٣٨] ، فعقد أبو بكر لعمرو وأمره أن يسلك طريق (أيْلَة)[٣٩] عامداً الى فلسطين ، وكان العقد لكل أمير من امراء الشام في بدء الامر ثلاثة آلاف

---

(٣٦) الاصابة (٥/٢٣٩) .

(٣٧) الطبري (٢/٤٨٠) وابن الاثير (٢/١٣٢) .

(٣٨) الطبري (٢/٥٨٧–٥٨٨) وابن الاثير (٢/١٥٤) .

(٣٩) أيلة : مدينة على ساحل بحر (القلزم) مما يلي الشام ، وهي آخر الحجاز وأول الشام . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٣٩١) .

رجل ، فلم يزل أبو بكر يتبعهم الامداد حتى صار مع كل أمير سبعة آلاف وخمسمائة[٤٠] ، وكان جيش عمرو مؤلفاً من أهل مكة والطائف وهوازن وبني كلاب ، وقال أبو بكر لعمرو : « قد وليتك هذا الجيش ، فانصرف الى أرض فلسطين وكاتب أبا عبيدة وانجده اذا أرادك ولا تقطع أمراً الا بمشورته » ؛ فأقبل عمرو على عمر بن الخطاب وقال له : « يا أبا حفص ! انت تعلم شدّتي على العدو وصبري على الحرب ، فلو كلّمت الخليفة أن يجعلني أميراً على أبي عبيدة ، وقد رأيت منزلتي عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واني لأرجو ان يفتح الله على يدي البلاد ويهلك الأعداء » ، فقال عمر بن الخطاب : « ما كنت بالذي أكلّمه في ذلك ، فانه ليس على أبي عبيدة أمير ، ولأبو عبيدة أفضل منزلة منك وأقدم سابقة منك ، والنبي صلى الله عليه وسلم قال فيه : أبو عبيدة أمين الامة » ، فقال عمرو : « ما ينقص من منزلته اذا كنت والياً عليه ؟! » ، فقال عمر : « ويلك يا عمرو ! انك ما تطلب بقولك هذا الا الرياسة والشرف ، فاتق الله ولا تطلب الا شرف الآخرة ووجه الله تعالى » ، فقال عمرو : « ان الأمر كما ذكرت »[٤١] .

وما كادت جيوش المسلمين تصل أرض الشام ، حتى بعث (هرقل) قادته وجيوشه باتجاه قادة وجيوش المسلمين ، فكان (تذارق) شقيق (هرقل) أمام عمرو على رأس جيش عدده تسعون ألفاً[٤٢] ، ولكن قادة المسلمين فوّتوا على الروم فرصة ضرب جيوش المسلمين على انفراد اذ كاتبوا عمراً : ما الرأي ؟ فأجابهم : « ان الرأي لمثلنا الاجتماع ، فان مثلنا اذا اجتمعنا لا نغلب من قلّه ، واذا نحن تفرقنا لا تقوم كل فرقة له

---

(٤٠) البلاذري ص (١١٦) .
(٤١) فتوح الشام للواقدي (١/٨) وانظر وصية أبي بكر لعمرو في نفس المصدر (١/٨-٩).
(٤٢) الطبري (٢/٥٩٠) وابن الاثير (٢/١٥٦) .

بمن استقبلها لكثرة عدوّنا » ، وكتبوا الى أبي بكر فأجابهم مثل جواب عمرو وقال : « ان مثلكم لا يؤتى من قلّة وانما يؤتى العشرة آلاف من الذنوب ، فاحترسوا منها ، واجتمعوا باليرموك »[٤٣] .

واجتمع المسلمون باليرموك ، واجتمع الروم بها أيضاً ، فنزل الروم (الواقُوْصَة)[٤٤] . وهي على ضفة اليرموك وصار الوادي خندقاً لهم ، وانتقل المسلمون عن معسكرهم فنزلوا على طريق الروم وليس للروم طريق الا عليهم ، فقال عمرو : « أيها الناس ، أبشروا ... حصرت والله الروم وقلّ ما جاء محصور بخير »[٤٥] .

وفي معركة اليرموك الحاسمة ، كان عمرو على الميمنة[٤٦] ، فكان له أثر كبير على انتصار المسلمين في هذه المعركة . وفي معركة فتح (دمشق) نزل عمرو بجيشه في ناحية باب (توما)[٤٧] ، وبعد فتحها سار المسلمون نحو (فِحْل) وعليهم شُرَحْبِيْل بن حَسَنَة ، وكان عمرو وأبو عبيدة ابن الجراح على المجنبتين ، فانتصر المسلمون على الروم ايضاً[٤٨] ، كما شهد مع شرحبيل فتح (بيسان) و (طَبَرِيّة)[٤٩] ، وصالحا أهل الأرْدُن[٥٠] .

وعلم عمرو أن الروم حشدوا جيوشهم وعلى رأسها قائد فلسطين أرطبون

---

(٤٣) الطبري (٢/٥٩٠) وابن الاثير (٢/١٥٦) .
(٤٤) الواقوصة : واد بالشام في أرض حوران . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨/٣٨٩)
(٤٥) الطبري (٢/٥٩١) وابن الاثير (٢/١٥٦) .
(٤٦) الطبري (٢/٥٩٣) وابن الاثير (٢/١٥٨) .
(٤٧) البلاذري (١٢٧) .
(٤٨) الطبري (٢/٦٢٩) وابن الاثير (٢/١٦٥) .
(٤٩) الطبري (٢/٦٣٠) وابن الاثير (٢/١٦٦) .
(٥٠) ابن الاثير (٢/١٩٣) .

(أريطيون) في (أجْنَادَيْن)[٥١] ، فسار عمرو ومعه شرحبيل بن حسنة واستخلف على الاردن أبا الاعور السلمي ، وكان الارطبون أدهى الروم وأبعدها غوراً ، وكان قد وضع (بالرملة)[٥٢] جنداً عظيمـــاً و (بإيلياء) جنداً عظيماً أيضاً ، فلما بلغ عمر بن الخطاب الخبر قال : « رمينا أرطبون الروم بأرطبون العرب ، (يقصد عمراً) ، فانظروا عما تنفرج » . وكان معاوية بن أبي سفيان قد شغل أهل (قَيْسَارية) عن عمرو ، كما جعل عمرو علقمة بن حكيم الفراسي[٥٣] ومسروق العكي[٥٤] وجعل أبا أيوب المالكي[٥٥] (بالرملة) ، فشاغل هؤلاء القادة القوات الرومانية عن قوات عمرو الاصلية .

وأقام عمرو على (اجنادين) لا يقدر على الارطبون ولا تشفيه الرسل ، فسار اليه بنفسه ودخل عليه كأنه رسول ، ففطن به الارطبون ، وقال : لا شك ان هذا هو الامير أو من يأخذ الامير برأيه » ، فأمر رجلاً أن يقعد على طريقه ليقتله اذا مرّ به . وفطن عمرو الى غدر الارطبون ، فقال له : « قد سمعت مني وسمعت منك ، وقد وقع قولك مني موقعاً ، وأنا

---

(٥١) أجنادين : موضع معروف من نواحي فلسطين ، وهو قريب من الرملة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٢٦/١) .

(٥٢) الرملة : مدينة عظيمة بفلسطين بينها وبين بيت المقدس ثمانية عشر ميلا . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٨٦/٤) .

(٥٣) علقمة بن حكيم الفراسي : أدرك النبي صلى الله عليه وسلم وشهد اليرموك وجهزه أبو عبيدة من مرج الصفر مسلحة بين دمشق وفلسطين . استعمله عمر بن الخطاب على الرملة ، واستعملة عمرو ابن العاص على قتال ايلياء . راجع الاصابة (١١٢/٥) .

(٥٤) مسروق العكي : ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وليست له رواية لا رؤية . شهد اليرموك اميراً على بعض الكراديس ، وبعثه أبو عبيدة مسلحة بين دمشق وفلسطين ، وشهد قتال أهل الردة ، كما شهد بعض فتوح العراق ، وكانت له أيام مشهورة . راجع الاصابة (٨٨/٦) .

(٥٥) أبو أيوب المالكي : أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ، وشهد فتوح الشام ، وأمره عمرو على جيش لقتال الروم . نظر الاصابة (١٣/٧) .

واحد من عشرة بعثنا عمر بن الخطاب مع هذا الوالي لنكانفه ويشهدنا أموره، فأرجع فآتيك بهم الآن ، فان رأوا في الذي عرضت مثل الذي أرى ، فقد رآه أهل العسكر والامير ، وان لم يروه رددتهم الى مأمنهم وكنت على رأس أمرك » فقال الارطبون : « نعم » وردّ الرجل الذي أمره بقتل عمرو ؛ فخرج عمرو من عند الارطبون ، فعلم الرومي بأن عمراً خدعه ، فقال : « خدعني الرجل ! هذا أدهى الخلق ! ! » . وبلغت خديعته عمر ابن الخطاب ، فقال : « لله در عمرو ! » .

وعرّف عمرو من استطلاعه الشخصي هذا نقاط الضعف في مواضع الروم ، فهاجمهم واقتتلوا قتالاً شديداً كقتال اليرموك حتى كثرت القتلى بينهم ، ولكن ارطبون انهزم فأوى الى (ايلياء) ، ونزل عمرو (أجنادين) ، وانضم علقمة ومسروق وأبو أيوب الى عمرو بأجنادين (٥٦) .

ولما دخل أرطبون (ايلياء) فتح عمرو (غَزَّة)(٥٧) و (سَبَسْطِيَة) (٥٨) و (نَابُلُس) (٥٩) ، و (اللُدْ) (٦٠) ، و (يُبْنَى) (٦١) ، و (عَمْوَاس) (٦٢) ، و (بيتْ جِبْرِين) (٦٣) و (يافا)

---

(٥٦) الطبري (٣/١٠٢) وابن الاثير (٢/١٩٣) .

(٥٧) غزة : مدينة في أقصى الشام من ناحية مصر ، بينها وبين عسقلان فرسخان أو أقل ، وهي من نواحي فلسطين غربي عسقلان . راجع معجم البلدان (٦/٢٨٩) .

(٥٨) سبسطية : بلدة بنواحي فلسطين بينها وبين بيت المقدس يومان ، وهي من أعمال نابلس . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٥/٢٩) .

(٥٩) نابلس : مدينة مشهورة بأرض فلسطين بين جبلين ، بينها وبين بيت المقدس عشرة فراسخ ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٢٣٢) .

(٦٠) اللد : قرية قرب بيت المقدس من نواحي فلسطين . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧/ ٣٢٦) وقد أصبحت اليوم بلدة كبيرة .

(٦١) يبنى : بليد قرب الرملة . انظر معجم البلدان (٨/٤٩٦) .

(٦٢) عمواس : هي كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس ، وهي على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦/٢٢٥) .

(٦٣) بيت جبرين : بليد بين المقدس وغزة ، بينه وبين المقدس مرحلتان وبينه وبين غزة أقرب من ذلك . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣٢١) .

[64] ،و (رَفَح) [65]، وقدم عليه أبو عبيدة بن الجراح وهو محاصر (ايلياء) وهي بيت المقدس ، فطلب أهل (ايلياء) من أبي عبيدة الصلح على مثل ما صولح عليه أهل مدن الشام على أن يكون المتولي للعقد لهم عمر بن الخطاب نفسه ، فكتب أبو عبيدة الى عمر بذلك ، فقدم عمر وأنفذ صلح (ايلياء) وكتب لهم به عهداً [66] .

وحاصر عمرو (قَيْسَارِيّة) بعد فتح بيت المقدس ، ولكنه خرج الى مصر ، فتولى فتحها معاوية بن ابي سفيان [67] .

لقد شهد عمرو أكثر معارك فتح أرض الشام ، وكان فتح أكثر فلسطين على يديه .

٣ – في مصر :

كتب عمر بن الخطاب الى عمرو بعد الفراغ من فتح أرض الشام أن يسير الى مصر في جنده [68] ، فخرج في ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل ، فنزل

---

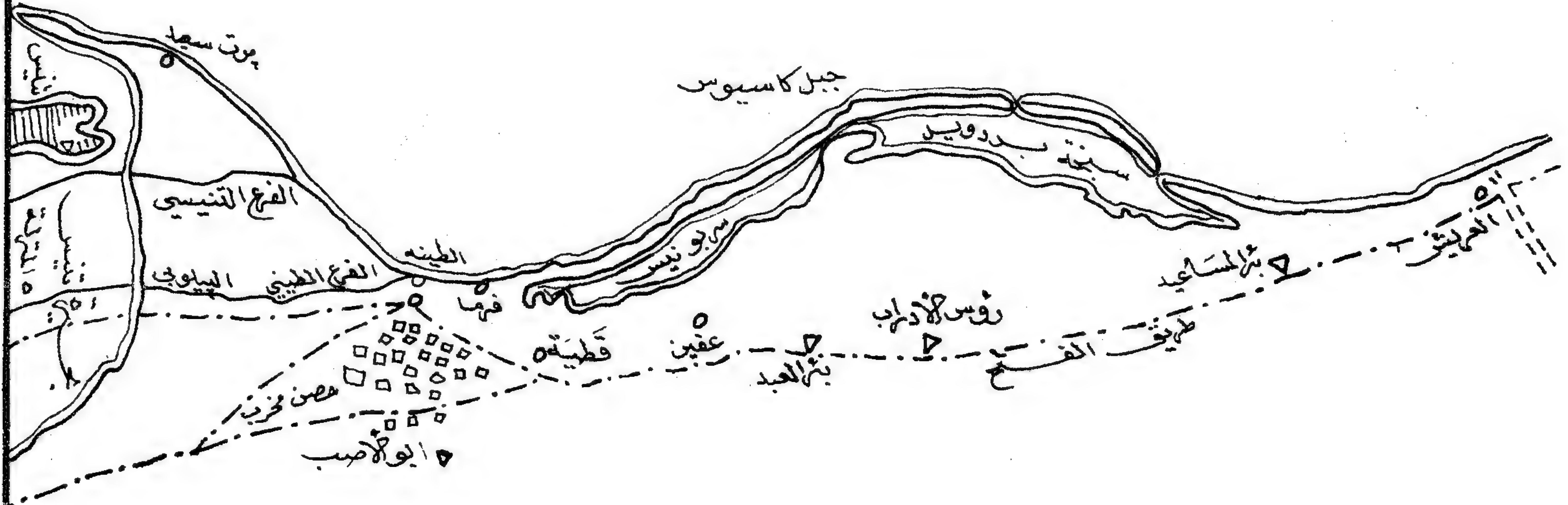
(٦٤) يافا : مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال فلسطين ، بين قيسارية وعكا . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/٤٩٢) .

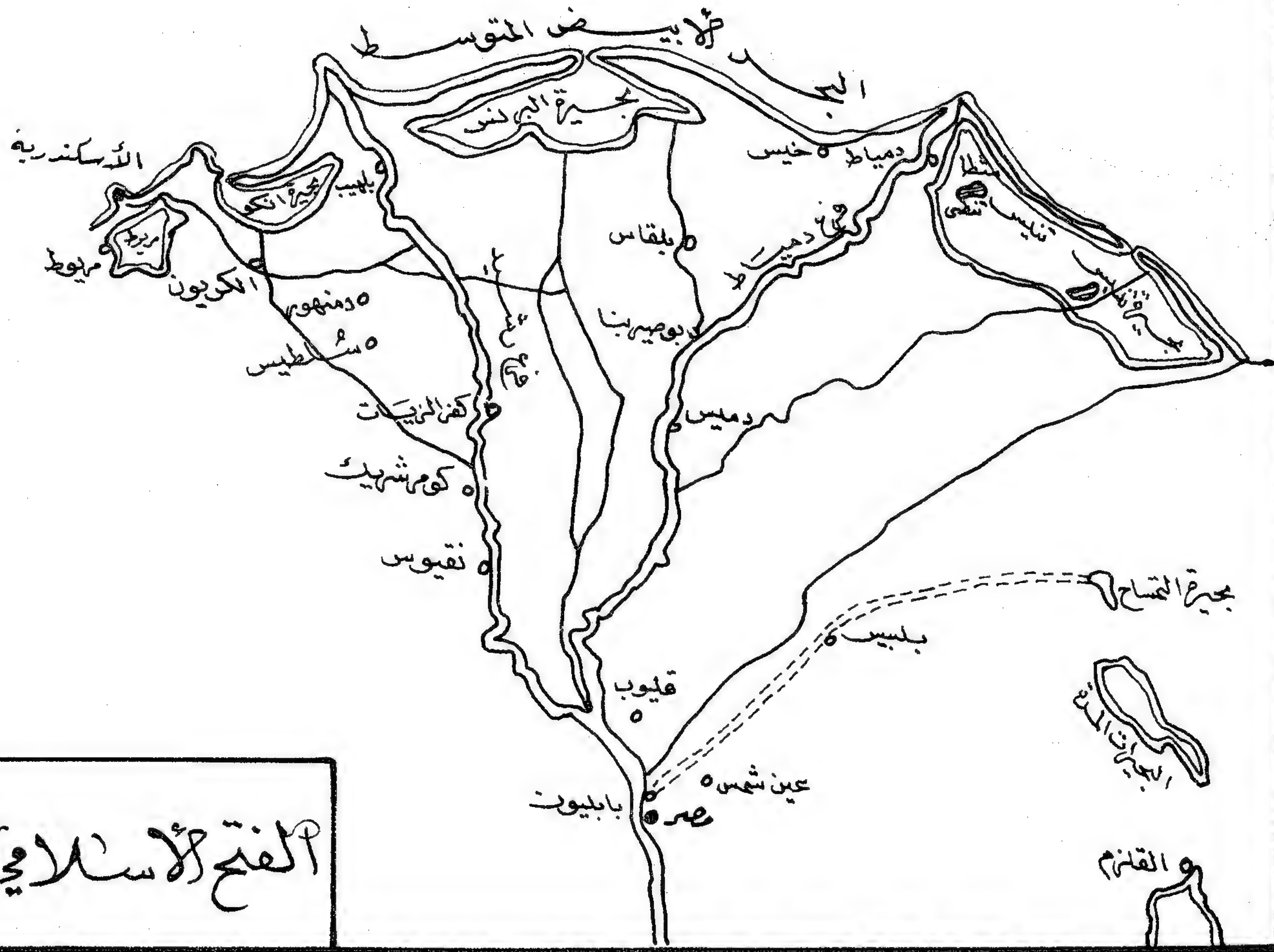
(٦٥) رفح : منزل في طريق مصر بعد الداروم ، بينه وبين عسقلان يومان . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤/٢٦٦) .

(٦٦) البلاذري (١٤٤) وابن الاثير (٢/١٩٣) وفي زبدة كشف الممالك (١٩) أن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه فتحها سنة ست عشرة هجرية وبقيت بيد المسلمين إلى سنة احدى وثمانين وأربعمائة . وفي سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة احتلها الفرنج .

(٦٧) البلاذري (١٤٦) .

(٦٨) الطبري (٣/١٩٥) وابن الاثير (٢/٢١٨) ، وليس من المعقول ان يمضي عمرو الى الى مصر من تلقاء نفسه دون استشارة عمر بن الخطاب مما أدى الى غضب عمر وكتب الى عمر ويوبخه كما جاء في البلاذري ص (٢١٤) . انه عمر بن الخطاب ولا أحد يستطيع مخالفته . وانظر تفاصيل موافقة عمر بن الخطاب على فتح مصر في معجم البلدان (٦/٣٧٧) وفتح مصر والمغرب ص (٨١) .


من العريش لتنيس
البحر الأبيض المتوسط
بورت سعيد
جبل كاسيوس
سبخة بردويل
سربونيس
الفرع التنيسي
الفرع الطيني
البيلوزي
الطينة
فرما
قطية
بئر العبد
بئر المساعيد
العريش



الفتح الإسلامي لمصر

(العَرِيش)[٦٩] ففتحها ، ثم اتى (الفَرَمَا)[٧٠] وبها قوم مستعدون للقتال ، فحاربهم عمرو وهزمهم . ومضى قُدماً الى (الفُسْطاط)[٧١] ، وكان اسمها (البونة) ، فنزل (جنان الريحان) وقد خندق أهل الفسطاط ، فحاصرهم عمرو ولم يلبث ان ورد عليه الزبير بن العوام في عشرة آلاف ويقال في اثني عشر ألفاً[٧٢] وقيل أربعة آلاف عليهم اربعة من الصحابة الكبار : الزبير ابن العوام والمقـــداد بن الاسود وعُبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلّد وقيل ان الرابع خارجة بن حُذافة دون مسلمة ، واستمر الحصار سبعة أشهر ، فرأى الزبير بن العوام خللاً في السور ، فنصب سلماً وأسنده الى الحصن وقال : « اني أهب نفسي لله تعالى ، فمن شاء أن يتبعني ، فليفعل » ، فتبعه جماعة حتى أوفى على الحصن فكبّر وكبروا ، فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا ، ففتحت الفسطاط أبوابها للمسلمين[٧٣] .

وقبل فتح الحصن أرسل المقوقس يقول : « ابعثوا الينا رسلاً نُعامِله ونتداعى نحن وهم الى ما عساه يكون فيه صلاح لنا ولكم » فبعث عمرو عشرة نفر احدهم عُبادة بن الصامت فلم تنجح تلك المفاوضات ، فنشب القتال بين الطرفين حول حصن (بابِلْيون)[٧٤] ، فأحرز المسلمون النصر على الروم بعد أيام معدودة من مفاوضة عُبادة بن الصامت والمقوقس[٧٥]

---

(٦٩) العريش : أول مدينة مصرية من ناحية الشام على ساحل بحر الروم وسط الرمل . انظر معجم البلدان (٦/١٦٢) .

(٧٠) الفرما : مدينة على الساحل من ناحية مصر بين العريش والفسطاط . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٣٦٨) .

(٧١) الفسطاط : مدينة بناها عمرو بن العاص بمصر . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦/٣٨٠) .

(٧٢) البلاذري ص (٢١٤) .

(٧٣) معجم البلدان (٦/٣٧٨) والبلاذري (٢١٥) وفتح مصر والمغرب (٩١) .

(٧٤) بابليون : هو اسم موضع الفسطاط والذي فتحه المسلمون . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٠) .

(٧٥) الفاروق عمر للدكتور هيكل (٢/١١٦) وفتح مصر والمغرب (٩٤-٩٥) .

ولما فتح عمرو حصن الفسطاط (بابليون) وجّه عبد الله بن حذافة السهمي الى (عَيْن شَمس)[٧٦] ، فغلب على أرضها وصالح أهل قراها على مثل صلح الفسطاط ، كما وجه خارجة بن حذافة العدوي الى (الفَيّوم)[٧٧] و (الاشْمُونين)[٧٨] و (إخْمِيم)[٧٩] و (البَشْرُودات)[٨٠] وقرى الصعيد ، فصالحها أيضاً على مثل صلح الفسطاط . كما وجه عُمَيْر ابن وَهْب الجُمَحي الى (تِنِيّس)[٨١] و (دِمْيَاط)[٨٢] و (تُونَة)[٨٣] و (دَمِيرة)[٨٤] و (شَطا)[٨٥] و (دَقَهْلة)[٨٦] و (بَنَا)[٨٧]

---

(٧٦) عين شمس : اسم مدينة بمصر بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ ، وهي ليست على شاطىء النيل وكانت مدينة كبيرة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦/ ٢٥٦) .

(٧٧) الفيوم : ولاية غربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام بينها مفازة لا ماء فيها ولا مرعى . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦ /٤١٤) .

(٧٨) الأشمونين : اسمها اشمون وأهل مصر يقولون : الأشمونين . وهي مدينة قديمة أزلية عامرة آهلة ، وهي قصبة كورة من كور الصعيد الادنى غربي النيل . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١ /٢٦١) .

(٧٩) اخميم : بلد بالصعيد ، وهو بلد قديم على شاطىء النيل . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١ /١٥٣) .

(٨٠) البشرودات : هكذا وردت في البلاذري (٢١٨) ، وقد وردت في معجم البلدان : البشرود ، وهي الصحيح . وهي كورة من كور بطن الريف بمصر من كور أسفل الأرض . انظر معجم البلدان (٢ /١٩٠) .

(٨١) تنيس : جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط ، والفرما في شرقيها . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/ ٤١٩) .

(٨٢) دمياط : مدينة قديمة بين تنيس ومصر . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤/ ٨٥) .

(٨٣) تونة : جزيرة قرب تنيس ودمياط من الديار المصرية . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢ /٤٣٥) .

(٨٤) دميرة : قرية كبيرة بمصر قرب دمياط ، وهما دميرتان احداهما تقابل الاخرى على شاطىء النيل في طريق من يريد دمياط . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/ ٨٥) .

(٨٥) شطا : بليد بمصر على ثلاثة أميال من دمياط على ضفة البحر الملح . انظر معجم البلدان (٥/ ٢٦٤).

(٨٦) دقهلة : بلد بمصر على شعبة من النيل بينها وبين دمياط أربعة فراسخ وبينها وبين دميرة ستة فراسخ . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤ /٦٥) .

(٨٧) بنا : بلدة قديمة بمصر بينها وبين الفسطاط ثمانية عشر ميلا . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ /٢٨٦) .

و (بُوصِير) [٨٨] فصالحها على مثل صلح الفسطاط أيضاً . ووجه عقبة بن عامر الجهني ويقال وردان مولاه الى سائر قرى أسفل الارض ففعل مثل ذلك ، وبذلك استجمع عمرو فتح مصر فصارت ارضها أرض خراج [٨٩] .

ولما فتح عمرو بن العاص مصر أقام بها ثم كتب الى عمر بن الخطاب يستأمره في الزحف الى الاسكندرية ، فكتب اليه يأمره بذلك ؛ فسار اليها واستخلف على مصر خارجة بن حذافة العدوي ، وكان من دون الاسكندرية من الروم والقبط قد تجمعوا له فلقيهم (بالكِرْيَوْن) [٩٠] فهزمهم وقتل منهم مقتلة عظيمة . ثم سار عمرو حتى انتهى الى الاسكندرية ، فوجد أهلها قد أعدوا العدة لقتاله ، ولكن القبط منهم كانوا يرغبون بالصلح ، فحاصرها عمرو ، فأرسل اليه المقوقس يسأله الصلح والمهادنة الى مدة ، فأبى عمرو ذلك . وأمر المقوقس النساء أن يقمن على سور المدينة مقبلات بوجوههن الى داخله ، وأقام الرجال بالسلاح مقبلين بوجوههم الى المسلمين ليرهبهم بذلك ، فأرسل اليه عمرو : « انا قد رأينا ما صنعت ، وما بالكثرة غلبنا من غلبنا ، فقد لقينا هرقل ملككم فكان من أمره ما كان » ، فقال المقوقس لأصحابه : « قد صدق هؤلاء القوم ! أخرجوا ملكنا من دار مملكته حتى ادخلوه القسطنطينية ، فنحن أولى بالاذعان » فأغلظ له أصحابه القول وأبوا إلا القتال ، فقاتلهم المسلمون قتالاً شديداً وحصروهم ثلاثة أشهر ، ففتحها عمرو بالسيف واستخلف عمرو على الاسكندرية عبد الله بن حذافة السهمي في رابطة من المسلمين وانصرف الى الفسطاط [٩١] .

---

(٨٨) بوصير : اسم لأربع قرى بمصر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢ /٣٠٦) والمقصود بهذه بوصير بنا .

(٨٩) البلاذري (٢١٨) والفاروق عمر للدكتور هيكل (٢ /١٣٩) .

(٩٠) كريون : موضع قرب الاسكندرية . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٧ /٢٤٨) .

(٩١) البلاذري ص (٢٢١-٢٢٢) وابن الاثير (٢ /٢١٩) وفتح مصر والمغرب ص (١٠٦-١١٠) .

وفي رواية ان عُبادة بن الصامت هو الذي فتح الاسكندرية [٩٢] ، وبذلك أنجز عمرو فتح مصر وأصبحت رايات العرب المسلمين ترفرف عليها .

٤ ـ في ليبيا :

أراد عمرو القضاء على سلطان الروم في المنطقة الواقعة غربي الديار المصرية ، فسار يخترق الصحراء حتى بلغ (بَرْقَة) [٩٣] ، فافتتحها عمرو وصالح أهلها على الجزية [٩٤] .

ووجه عمرو عقبة بن نافع حتى بلغ (زَوِيلَة) [٩٥] وصار ما بين برقة وزويلة للمسلمين [٩٦] ، ثم سار عمرو حتى نزل (أطْرَابُلُس) [٩٧] وكانت حصونها أقوى من حصون برقة وحاميتها أكثر عدداً ، فامتنعت عن العرب شهراً واحداً ولكنها استسلمت للفاتحين ، فكتب عمرو الى عمر ابن الخطاب : « انا قد بلغنا طرابلس وبينها وبين افريقية (تونس) تسعة أيام ، فان رأى أمير المؤمنين أن يأذن لنا في غزوها فعل » ، فكتب اليه عمر ينهاه عنها ويأمره بالوقوف عند هذا الحد ؛ فعاد مكرهاً بعد أن استخلف

---

(٩٢) انظر ما جاء حول ذلك في ترجمة عبادة بن الصامت الانصاري الخزرجي . وانظر فتح مصر والمغرب (١١٦–١١٧) .

(٩٣) برقة : اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الاسكندرية وافريقية ، واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن . وبين الاسكندرية وبرقة مسيرة شهر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/١٣٣) .

(٩٤) البلاذري ص (٢٢٥) وابن الاثير (٣/١٠) ومعجم البلدان (٢/ ١٣٤) .

(٩٥) زويلة : بلدان أحدهما زويلة السودان مقابل اجدابية في البر بين بلاد السودان وافريقية . اوزويلة في وسط الصحراء هي أول حدود بلاد السودان . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤ /٤١٨)

(٩٦) البلاذري ص (٢٢٦) ومعجم البلدان (٤/٤١٨) .

(٩٧) أطرابلس : مدينة في آخر أرض برقة وأول أرض افريقية . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١ /٢٨٥) ومعجم البلدان (٦ /٣٤) واسمها الآن : طرابلس وهي مدينة كبيرة على البحر لابيض المتوسط وهي العاصمة الثانية للمملكة الليبية ، والعاصمة الاولى هي بنغازي .

على ليبيا عقبة بن نافع الفهري الذي صار اليه بعد ذلك فتح المغرب (٩٩).

وبذلك أنجز عمرو فتح ليبيا.

٥ – في النوبة (١٠٠) :

أراد عمرو أن يؤمّن مصر من الجنوب، فبعث عقبة بن نافع الفهري، فدخلت خيولهم أرض النوبة، فلقي المسلمون بالنوبة قتالاً شديداً، اذ كان اهلها ماهرين برمي السهام، فرشقوا المسلمين بالنبل حتى جرح عامتهم فانصرفوا بجراحات كثيرة وحدق مفقودة، فلم يصالحهم عمرو ولم يزل يهاجمهم بين حين وآخر، حتى عزل عن مصر وولي عبد الله بن سعد بن أبي سرح، فصالحهم، فكانت بينهم وبين المسلمين هدنة: يعطيهم المسلمون شيئاً من القمح والعدس ويعطيهم النوبيون رقيقاً (١٠١).

٦ – انتقاض الروم في الاسكندرية :

كتب أهل الاسكندرية الى (قسطنطين) امبراطور الروم يهوّنون عليه فتح الاسكندرية لقلة ما بها من حامية المسلمين وبما يعاني الروم فيها من الذلة واداء الجزية، فبعث رجلاً من أصحابه في ثلاثمائة مركب مشحونة بالمقاتلة، فدخل الاسكندرية وقتل من بها من المسلمين المرابطين الا من استطاع النجاة بنفسه. وبلغ عمراً الخبر فسار اليهم، وكان (منويل) قائد الروم قد تقدّم نحو الجنوب ورجاله يعيثون في الارض فساداً: ينزلون القرى فيشربون خمرها ويأكلون أطعمتها، حتى وصلوا (نَقْيُوس) (١٠٢) حيث

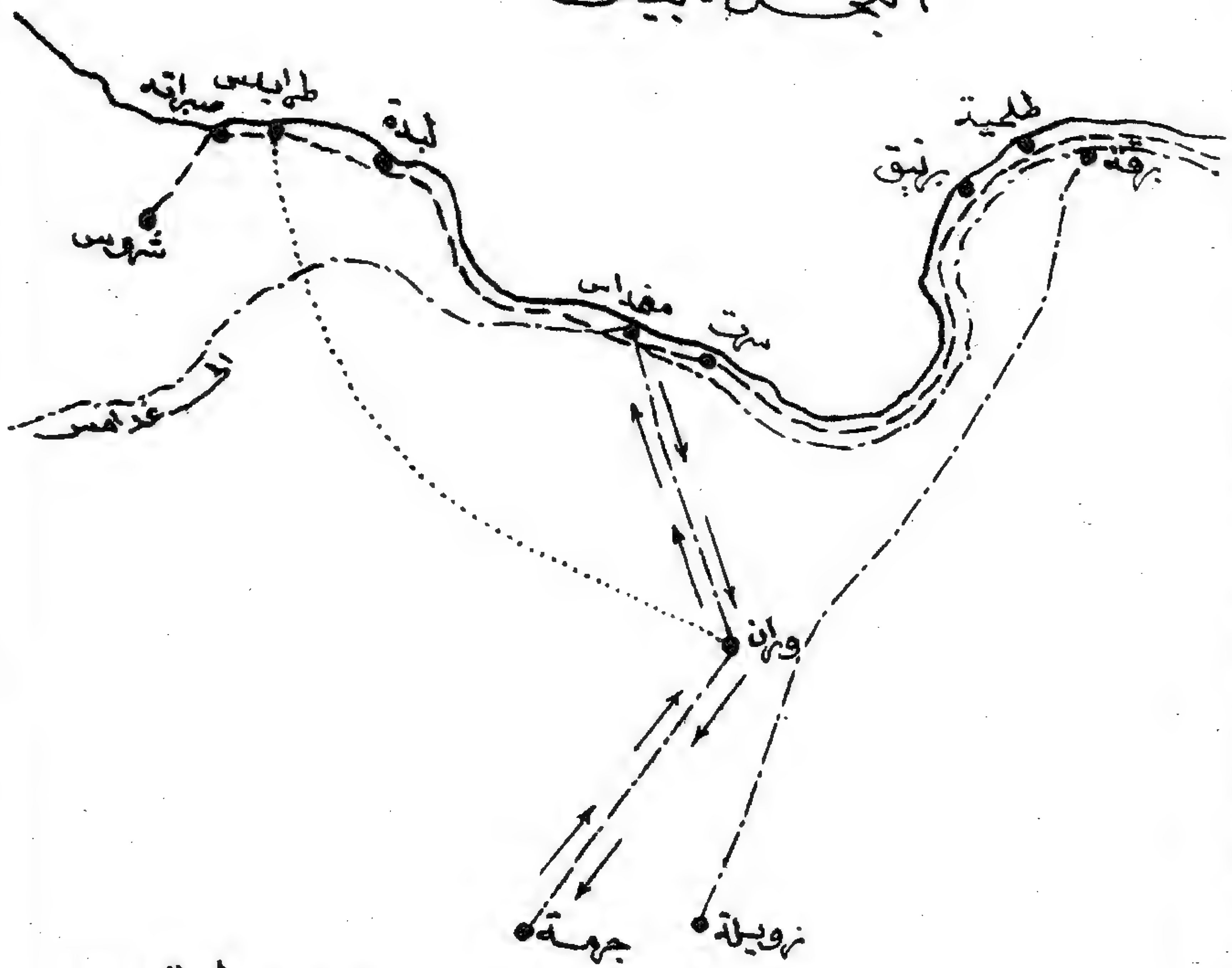
---

(٩٩) البلاذري (٢٢٧) وابن الاثير (٣/ ١٠) واليعقوبي (٢/ ١٣٤).

(١٠٠) النوبة: بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر، أول بلادهم بعد أسوان. أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٨/ ٣٢٣).

(١٠١) البلاذري (٢٣٨-٢٣٩) وانظر فتح مصر والمغرب (٢٥٢-٢٥٣).

(١٠٢) نقيوس: قرية بين الفسطاط والاسكندرية، كانت بها وقعة لعمرو بن العاص والروم لما نقضوا. راجع معجم البلدان (٨/ ٣١٤).



البحر الأبيض
طرابلس
صبراته
لبدة
شروس
مقداس
سرت
غدامس
برنيق
طلميتة
برقة
ودان
جرمة
زويلة
طريق عمرو
طريق عقبة بن نافع
طريق بسر بن أرطأة

اشتبكوا بالمسلمين الذين كان عددهم خمسة عشر ألفاً بقتال عنيف في البر والبحر ، وكثر الترامي بالنشاب حتى أصابت فرس عمرو ، فنزل عنه . وشد المسلمون على الروم وقاتلوهم قتالاً مستميتاً حتى غلبوهم على أمرهم ، فانهزم الروم ؛ وطاردهم المسلمون فتحصن الروم بالاسكندرية ، ولكن المسلمين قاتلوهم اشد قتال ونصبوا المجانيق حتى دخلها المسلمون عنوة (١٠٣) .

الانسان :

مفتاح شخصية عمرو ، أنه كان يستعرض جوانب (القوة) دائماً ، ويوازن بين ما لدى أعدائه وأصحابه على حد سواء من (القدرة) موازنة طويلة حتى لا يخفى عليه منها وجه من وجوه الرأي ، فقد كان رجلاً يتقن الحساب ويجيد المساومة ... يقف ساكناً ويفكر طويلاً ... ثم يساوم في حرص . إنه كان يشترط دائماً ... هكذا كان موقفه في كل أمر ! !

لقد كان يحب الامارة ويحرص عليها ، وفي سبيل الحصول على الامارة كان مستعداً أن يفعل كل شيء .

كان بارزاً في الجاهلية ، وقد اختارته قريش للسفارة بينها وبين النجاشي صاحب الحبشة ، لإقناع النجاشي بتسليم المسلمين المهاجرين الى قريش ؛ فراح عمرو يتقرّب الى النجاشي ويستدرّ اهتمامه وتقديره ؛ ثم أنهى اليه بأمر هؤلاء المهاجرين الهاربين من قومهم ، وناشده أن يستجيب لقريش في ردّ ضيوف بلاده من المسلمين . ولكن النجاشي أراد أن يقف على الحقيقة ويستجلي بواطن الأمور ، فجمع الطرفين في مجلس واحد ؛ فتكلم عن المهاجرين جعفر بن أبي طالب وعدّد مبادىء الاسلام وقرأ ما تيسّر من سورة مريم ، فاختتم النجاشي هذا المؤتمر بقوله لعمرو وصاحبه سفيري

---

(١٠٣) البلاذري (٢٢٣) ومعجم البلدان (٨/٣١٤) وتاريخ عمرو بن العاص للدكتور حسن ابراهيم ص (١٦٤-١٦٧) وفتح مصر والمغرب ص (٢٣٦-٢٣٧) .

قريش : « انطلقا ، والله لا أسلمهم اليكما ! » .

ولما أسلم عمرو ، قرّبه الرسول صلى الله عليه وسلم لمعرفته وشجاعته وولاّه غزاة ذات السلاسل واستعمله على (عُمان) ، فمات النبي صلى الله عليه وسلم وهو أميرها [(١٠٤)] ، وكان النبي الكريم يقول عن عمرو : «عمرو بن العاص من صالحي قريش» [(١٠٥)] . قال عمرو : «بعث الي النبي صلى الله عليه وسلم فقال : خذ عليه ثيابك وسلاحك ثم ائتني ؛ فأتيته ، فقال : إني أريد أن أبعثك على جيش فيسلمك الله ويغنمك ، وأرغب لك من المال رغبة صالحة . فقلت : يا رسول الله ! ما أسلمت من أجل المال ، بل أسلمت رغبة في الاسلام . فقال : يا عمرو ! نعماً بالمال الصالح للمرء الصالح » [(١٠٦)] . والحق أن عمراً أسلم وحسن إسلامه وأخلص لدينه الجديد ، وكان ايمانه ايماناً عميقاً ، حتى قال الرسول صلى الله عليه وسلم : « أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص » .

ولما قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعثه أبو بكر الصديق أحد الامراء الى الشام فتولى ما تولى من فتحها ، وولاه عمر بن الخطاب فلسطين وما حولها ، ثم كتب اليه أن يسير الى مصر ففتحها ، فولاه عمر بن الخطاب مصر الى أن مات عمر [(١٠٧)] . لقد كان عمر بن الخطاب إذا نظر الى عمرو يمشي يقول : « ما ينبغي لأبي عبد الله أن يمشي على الأرض إلا أميرا » [(١٠٨)] وكان اذا رأى الرجل يتلجلج يقول : أشهد أن خالق هذا وخالق عمرو بن العاص واحد » [(١٠٩)] ، وكان عمر اذا استضعف رجلاً في رأيه وعقله

(١٠٤) الاصابة (٥/٢) .
(١٠٥) الاصابة (٥/٣) وأسد الغابة (٤/١١٧) .
(١٠٦) الاصابة (٥/٣) والاستيعاب (٣/١١٨٦) ومسند الامام أحمد بن حنبل (٤/٢٠٢)
(١٠٧) طبقات ابن سعد (٧/٤٩٣) وأسد الغابة (٤/١١٧) .
(١٠٨) الاصابة (٥/٢) واليعقوبي (٢/١٩٧-١٩٨) .
(١٠٩) الاصابة (٥/٢-٣) .

قال : « أشهد أن خالقك وخالق عمرو واحد » يريد خالق الأضداد [١١٠] .

والحق أن عمر أثبت كفاءة إدارية ممتازة عند ولايته لمصر ، فقد بنى مدينة الفسطاط وحفر خليج أمير المؤمنين الموصل بين النيل والبحر الأحمر ، ونظّم قضايا الري ، وكان عمر بن الخطاب يقدر لعمرو كل ذلك ، ومع هذا كان يحاسبه أشد الحساب على الخراج وحتى على ماله الخاص ، ويرسل من يسأل عمراً : من أين لك هذا ؟! ، وقد قاسمه عمر ماله [١١١] ، كما قاسم غيره من الأمراء ؛ واستقدمه مع ابنه محمد ليحاسبه حساباً عسيراً على ضرب ابنه محمد أحد المصريين دون مبرّر .

لقد قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو راض عن عمرو ، ومات أبو بكر وعمر وهما عنه راضيان [١١٢] .

وأقرّه عثمان بن عفان على مصر أربع سنين أو نحوها ثم عزله عنها وولاّها عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري ، وكان ذلك بدء الشر بين عمرو اوعثمان [١١٣] ، فقدم عمرو على عثمان مغضباً [١١٤] ومضى يستثير الناس على الخليفة ويقضي وقته متنقلاً من مجلس الى مجلس يبسط للناس أخطاء عثمان ويحرّضهم على الثورة ؛ فأرسل اليه عثمان يوماً فقال له : « يا ابن النابغة !... اتطعن عليّ وتأتيني بوجه وتذهب عني بآخر ؟!... » فقال عمرو : « ان كثيراً مما يقول الناس وينقلون الى ولاتهم باطل ، فاتق الله يا امير المؤمنين في رعيتك » ، فقال عثمان : « والله لقد استعملتك على ظلعك وكثرة القالة فيك » ، فقال عمرو : « قد كنت عاملاً لعمر بن لخطاب ، ففارقني وهو عني راض » ، فقال عثمان : « وأنا والله لو

---

(١١٠) الاستيعاب (١١٨٨/٣) .
(١١١) البلاذري (٢٢١) .
(١١٢) اليعقوبي (١٦١/٢) .
(١١٣) الاستيعاب (١١٨٣/٣) وفي الطبري (٣١٢/٣) أن عثمان أقر عمراً على مصر سنتين.
(١١٤) الطبري (٣١٥/٣) .

أخذتك بما آخذك به عمر لاستقمت ، ولكني لنت عليك فاجترأت عليّ ؛ أما والله لأنا أعز منك نفراً في الجاهلية وقبل أن ألي هذا السلطان » ، فقال عمرو : « دع عنك هذا فالحمد لله الذي أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وهدانا به . قد رأيت العاص بن وائل ورأيت أباك عفان ، فوالله للعاص كان أشرف من أبيك »[115] . وخرج عمرو الى منزله بفلسطين ، فكان يقول : « والله وان كنت لألقى الراعي فاحرّضه عليه »[116] ، ولما بلغه مقتل عثمان فرح ولم يكتم فرحه وقـال : « أنا أبو عبد الله ! إذا حككت قرحة نكأتها ! ! »[117] .

وفرّق علي بن أبي طالب عماله على الأمصار ، فلم يكن عمرو من بينهم[118] ، فعلم أنه لا حظ له في حكومة علي ، فأخذ يتربص حتى جاءه كتاب معاوية بن أبي سفيان : « أما بعد ، فانه كان من أمر علي وطلحة والزبير وعائشة ما قد بلغك ، فقد سقط الينا مروان في رافضة أهل البصرة ، وقدم عليّ جرير بن عبد الله في بيعة علي ، وحبست نفسي عليك حتى تأتيني ، فأقدم على بركة الله تعالى » ، فلما انتهى اليه الكتاب دعا ابنيه : عبد الله ومحمداً فاستشارهما ، فقال له عبد الله : « أيها الشيخ ! إن رسول الله قبض وهو عنك راض ، ومات أبو بكر وعمر وهما عنك راضيان ، فإنك إن تفسد دينك بدنيا يسيرة تصيبها مع معاوية فتضجعان غداً في النار » ، ثم قال لمحمد : « ما ترى ! » ، فقال : « بادر هذا الأمر ، فكن فيه رأساً قبل أن تكون ذنباً »[119] ، فقال عمرو يخاطب ابنيه : « أما أنت يا عبد الله ، فأمرتني بالذي أسلم في ديني ، واما أنت يا محمد فأمرتني بالذي

---

(١١٥) الطبري (٣/ ٣٩٢) .
(١١٦) الطبري (٣/ ٣٩٥) .
(١١٧) ابن الأثير (٣/ ٦٣) .
(١١٨) انظر الطبري (٣/ ٤٦٢-٤٦٥) وابن الاثير (٣/ ٧٨-٨١) .
(١١٩) اليعقوبي (٢/ ١٦١) والامامة والسياسة لابن قتيبة (١/ ٩٥) .

أنبه لي في دنياي وأشرّ لي في آخرتي ، وإن علياً قد بويع له وهو يُدل بسابقته وهو غير مشركي في شيء من أمره . ارحل يا وردان »[120] ... فلما أصبح دعا وردان مولاه ، فقال له : « ارحل يا وردان » ثم قال : « حط يا وردان » فحط ورحل ثلاث مرات ، فقال وردان :

« لقد خلطت أبا عبد الله ، فان شئت أخبرتك بما في نفسك » ، قال : هات » ، قال : « اعترضت الدنيا والآخرة على قلبك ، فقلت : علي معه آخرة بلا دنيا ، ومعاوية معه دنيا بلا آخرة ، وليس في الدنيا عوض من الآخرة ، فلست تدري أيهما تختار ! ! »[121] .

وخرج عمرو ومعه ابناه حتى قدم على معاوية ، فبايعه على الطلب بدم عثمان ، وكتبا بينهما كتاباً هذا نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما تعاهد عليه معاوية بن ابي سفيان وعمرو بن العاص ببيت المقدس من بعد قتل عثمان بن عفان ، وحمل كل واحد صاحبه الأمانة ؛ أن بيننا عهد الله على التناصر والتخالص والتناصح في أمر الله والاسلام ولا يخذل أحدنا صاحبه بشيء ولا يتخذ من دونه وليجة ، ولا يحول بيننا ولد ولا والد أبداً ما حيينا فيما استطعنا ؛ فاذا فتحت مصر ، فان عمراً على أرضها وامارته التي أمّره عليها أمير المؤمنين ، وبيننا التناصح والتوازر والتعاون على ما نابنا من الأمور ، ومعاوية أمير على عمرو بن العاص في الناس وفي عامة الأمر ، حتى يجمع الله الأمة ، فاذا اجتمعت الأمة فانهما يدخلان في أحسن أمرهما على أحسن الذي بينهما في أمر الله الذي بينهما من الشرط في هذه الصحيفة »[122] .

وشهد عمرو معركة (صفين) مع معاوية ، فلما رأى أن أمر أهل العراق

---

(١٢٠) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٥٤) والامامة والسياسة لابن قتيبة (١/ ٩٦) .
(١٢١) اليعقوبي (٢/ ١٦١-١٦٢) .
(١٢٢) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٥٤) .

قد اشتد وأن الدائرة تدور على أهل الشام ، قال لمعاوية : هل لك في أمر أعرضه عليك لا يزيدنا إلا اجتماعاً ولا يزيدهم إلا فرقة ؟ » ، فقال معاوية : « نعم » ، فقال : « نرفع المصاحف ثم نقول : هذا حكم بيننا وبينكم ، فان أبى بعضهم أن يقبلها وجدت فيهم من يقول : ينبغي لنا أن نقبل ، فتكون فرقة بينهم ؛ وإن قبلوا ما فيها رفعنا القتال عنا الى أجل » ، فرفعوا المصاحف بالرماح ، وقالوا : هذا حكم كتاب الله عز وجل بيننا وبينكم . مَن لثغور الشام بعد أهله ؟! مَن لثغور العراق بعد أهله ؟!... فلما رآها الناس قالوا : نجيب الى كتاب الله ! ، فقال لهم علي : « عباد الله ! أمضوا على حقكم وصدقكم وقتال عدوكم ... ويحكم والله ما رفعوها إلا خديعة ووهناً ومكيدة » . فقالوا : لا يسعنا أن ندعى الى كتاب الله فنأبى أن نقبله (١٢٣) فدبَّ الخلاف بين أصحاب علي ! فقالت طائفة : أولسنا على كتاب الله وبيعتنا ؟ وقال آخرون كرهوا القتال : أجبنا الى كتاب الله ! فلما رأى علي وهنهم وكراهتهم للقتال ، قارب معاوية فيما يدعو اليه . واختلف بينهم الرسل ، فقال علي « قد قبلنا كتاب الله ، فمن يحكم بكتاب الله بيننا وبينك ؟ » فقال معاوية : « نأخذ رجلاً منا نختاره وتأخذ منكم رجلا تختاره » ؛ فاختار معاوية عمرو بن العاص واختار علي أبا موسى (١٢٤) .

والتقى الحكمان في (دُومَة الجندل) (١٢٥) ، فقال عبد الله بن عباس لأبي موسى الأشعري : « احذر عمراً ، فانما يريد أن يقدمك ويقول : أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأسنّ مني ؛ فكن متدبّراً لكلامه » ، فكان إذا التقيا يقول عمرو : « إنك صحبت رسول الله صلى

---

(١٢٣) الطبري (٤/ ٢٤) وابن الاثير (٣/ ١٢٦) .

(١٢٤) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٥٥ –٢٥٦).

(١٢٥) دومة الجندل : حصن على سبعة مراحل من دمشق ، يقع بين دمشق والمدينة المنورة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/ ١٠٦) . وفي طبقات ابن سعد (٢/ ١٦٦) : أن بين دومة الجندل وبين المدينة خمس عشرة ليلة .

الله عليه وسلم قبلي وأنت أسنّ مني ؛ فتكلّم ثم أتكلم ! » وانما يريد عمرو أن يُقدم أبا موسى في الكلام ليخلع علياً ، فاجتمعا على أمرهما ، فأراده عمرو على معاوية فأبى ، وقال أبو موسى : « عبد الله بن عمر » ؛ فقال عمرو : « أخبرني عن رأيك » ، فقال أبو موسى : « أرى أن نخلع هذين الرجلين ونجعل هذا الأمر شورى بين المسلمين ، فيختارون لأنفسهم مَن أحبوا ! » ، فقال عمرو : « الرأي ما رأيت !! » ، فأقبلا على الناس وهم مجتمعون ، فقال له عمرو : « يا أبا موسى ! أعلمهم بأن رأينا قد اجتمع » . وتكلّم أبو موسى فقال : « إنّ رأينا قد اتفق على أمرٍ نرجو أن يصلح به أمر هذه الأمة » ، فقال عمرو : « صدق وبرّ ونِعْمَ الناظرُ للاسلام وأهله ! فتكلم يا أبا موسى » ، فأتاه عبد الله بن عباس فخلا به وقال له : « أنت في خُدْعَة . ألم أقل لك : لا تبدأه وتعقّبه ، فإني أخشى أن يكون أعطاك أمراً خالياً ثم ينزع عنه على ملأ من الناس واجتماعهم » ، فقال الأشعري : « لا تخش ذلك ، قد اجتمعنا واصطلحنا » . فقام أبو موسى فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « أيها الناس ! قد نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر شيئاً هو أصلح لأمرها ولا ألمّ لشَعَثِها من أن لا نَبْتَزّ أمورها ولا نعصبها حتى يكون ذلك على رضىً منها وتشاور . وقد اجتمعت أنا وصاحبي على أمر واحد : على خلع علي ومعاوية وتَسْتَقْبل هذه الأمة هذا الأمر فيكون شورى بينهم يولّون منهم من أحبوا عليهم ؛ وإني قد خلعْت علياً ومعاوية ، فولوا أمركم مَن رأيتم » ؛ ثم تنحّى . وأقبل عمرو ابن العاص فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « إنّ هذا قد قال ما قد سمعتم وخلع صاحبه . وإني أخلع صاحبه كما خلعه وأثْبِتُ صاحبي معاوية ، فانه ولي ابن عفان والطالب بدمه وأحق الناس بمقامه » [١٢٦] .

---

(١٢٦) طبقات ابن سعد (٤ /٢٥٨-٢٥٩) وانظر تفاصيل التحكيم في الطبري (٤ /٤٩-٥٢) وابن الاثير (٣ /١٣١-١٣٣) واليعقوبي (٢ /١٦٥-١٦٦) .

تلك هي نماذج من دهاء عمرو ، لذلك كان الشعبي يقول : « دهاة العرب أربعة : معاوية بن أبي سفيان وعمرو بن العـــاص والمغيرة بن شعبة وزياد . فأما معاوية فللحلم والأناة ، وأما عمرو فللمعضلات ، وأما المغيرة فللمبادهة ، وأما زياد فللكبير والصغير »(١٢٧) . لقد كان بحق أحد الدهاة المقدّمين في المكر والرأي(١٢٨) ! وكان من شجعان العرب وأبطالهم ودهاتهم(١٢٩) .

وسيّره معاوية الى مصر ، فاستنفذها من محمد بن أبي بكر عامل علي ابن أبي طالب عليه ، فاستعمله معاوية عليها الى أن مات(١٣٠) .

وأخيراً ، داهم الموت هذا الداهية ، قال أحد شهود احتضاره : « حضرنا عمرو بن العاص وهو في سِياقة الموت ، فحوّل وجهه الى الحائط يبكي طويلاً وابنه يقول له : ما يبكيك ؟ أما بشّرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا ؟ أما بشرك بكذا ؟ وهو في ذلك يبكي ووجهه الى الحائط ، ثم أقبل بوجهه الينا فقال : إن أفضل ما تَعُد عليّ شهادة أن لا اله الا الله وان محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكني قد كنت على أطباق ثلاث : قد رأيتُني ما من الناس من أحد أبغض اليّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أحب اليّ من أن استمكن منه فأقتله ، فلو متّ على تلك الطبقة لكنت من أهل النار . ثم جعل الله الاسلام في قلبي ، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبايعه ، فقلت : ابسط يمينك أبايعك يا رسول الله ، فبسط يده ، ثم إني قبضت يدي ، فقال : ما لك يا عمرو ؟ فقلت :

---

(١٢٧) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٣٦) .
(١٢٨) الاستيعاب (٣ /١١٨٨) .
(١٢٩) أسد الغابة (٤ /١١٧) .
(١٣٠) طبقات ابن سعد (٧ /٤٩٣) والاصابة (٥ /٣) وأسد الغابة (٤ /١١٧) والاستيعاب (٣ /١١٨٨) . وانظر تفاصيل استعادته مصر في الطبري (٤/ ٧٦-٧٨) وابن الاثير (٣ /١٤٠- ١٤٣) .

أردت أن اشترط ! فقال : تشترط ماذا ؟ فقلت : أشترط أن يُغفر لي . فقال : أما علمت يا عمرو أن الاسلام يهدم ما كان قبله وأن الهجرة تهدم ما كان قبلها وأن الحج يهدم ما كان قبله ؟ فقد رأيتُني ما من الناس أحب الي من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أجلّ في عيني منه ، ولو سئلت أن أنعته ما أطقت لأني لم أكن أطيق أن أملأ عيني إجلالاً له ، فلو متّ على تلك الطبقة رجوت أن أكون من أهل الجنة . ثم ولينا أشياء بعد ، فلست أدري ما أنا فيها أو ما حالي فيها . فاذا أنا متّ فلا تصحبني نائحة ولا نار ، فاذا دفنتموني فسنوا على التراب سَنّاً ، فاذا فرغتم من قبري فامكثوا عند قبري قدر ما يُنْحَرُ جزور ويُقسّم لحمها ، فاني أستأنس بكم حتى أعلم ماذا أراجع به رسل ربي . ثم قال : اللهم لا بريء فأعتذر ولا عزيز فأنتصر ، وإلا تُدركني برحمة أكن من الهالكين[١٣١] . ثم أخذ يردد : لا إله الا الله ؛ فلم يزل يرددها حتى مات [١٣٢] يوم الفطر بمصر سنة ثلاث وأربعين للهجرة (٦٦٤ م) [١٣٣] في خلافة معاوية،وكان له من العمر تسعون سنة . فقد عاش بعد عمر بن الخطاب عشرين سنة ، وكان عمر عمر بن الخطاب ثلاثاً وستين سنة ، وقد كان عمرو يقول : « أذكر ليلة ولد عمر بن الخطاب » ، فكان عمره لما ولد عمر بن الخطاب سبع سنين [١٣٤] . أي انه ولد سنة سبع واربعين قبل الهجرة (٥٧٧ م) ودفن بالمقطم [١٣٥] .

لقد كان عمرو يحب الامارة ويحب المال ، قال له معاوية يوماً وهو شيخ كبير : « ما بقي منك يا عمرو ؟ » فقال : « مال أغرسه فأصيب من ثمرته

---

(١٣١) طبقات ابن سعد (٤/ ٢٥٩-٢٦٠) .
(١٣٢) أسد الغابة (٤/١١٧) والاستيعاب (٣/١١٨٩) .
(١٣٣) طبقات ابن سعد (٤/٢٦١) و (٧/٤٩٤) وأسد الغابة (٤/١١٧) والطبري (٤/١٣٧) وشذرات الذهب (١/٥٣) وتاريخ ابي الفدا (١/١٨٤) والاستيعاب (٣/١١٨٨) .
(١٣٤) الاصابة (٥/٣) .
(١٣٥) أسد الغابة (٤/١١٧) والاستيعاب (٣/١١٨٩) .

وغلته » . وقيل لعمرو : ما المروءة ؟ فقال : « يُصلح الرجل ماله ويُحسن الى إخوانه »[136] ، فلما مات عمرو خلّف ألف ألف درهم ودوراً عديدة في مصر وأرض الشام .

وكان ذكياً كاتباً قارئاً ، بليغاً في نثره ونظمه ، ولعل كتابه الى عمر بن الخطاب يصف فيه مصر يعد من أبلغ الرسائل ليس في العربية فقط بل في كل لغات العالم [137] ، فلما ورد هذا الكتاب الى عمر بن الخطاب قال : « لله درك يا ابن العاص ! لقد وصفت لي خبراً كأني أشاهده » . وقد اشتهر عمرو بحكمه البليغة ، وله أقوال مأثورة منها : « ليس العاقل الذي يعرف الخير من الشر ولكنه يعرف خير الشرّيْن » . وقال يوماً لمعاوية : « إن الكريم يصول إذا جاع ، واللئيم يصول إذا شبع . فسُدْ خصاصة (حاجة) الكريم واقمع اللئيم » . قال معاوية لعمرو : « مَن أبلغ الناس ؟ » ، قال : « مَن كان رأيه راداً لهواه » . فقال : « مَن أسخى الناس ؟ » ، قال : « مَن بذل دنياه في صلاح دينه » ، قال : « مَن أشجع الناس ؟ » فقال : « مَن ردّ جهله بحمله » . ومن غرر أقواله : « موت ألف من العلية أقل ضرراً من ارتفاع واحد من السفلة » . وقال : « اذا أنا أفشيت سري الى صديقي فأذاعه فهو في حل » ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : « أنا كنت أحق بصيانته » [138] .

وقد رويت له آثار في الشعر والخطب الطوال تسلكه بين الشعراء والخطباء ، فمن شعره :

---

(١٣٦) طبقات ابن سعد (٤ /٢٦١) .

(١٣٧) نشر نص ترجمة كتاب عمرو الكاتب الفرنسي (اوكتاف اوزان) ووصفه بأنه من أكبر آيات البلاغة في كل لغات العالم . انظر تاريخ عمرو بن العاص للدكتور حسن ابراهيم ص (١٦٩) .

(١٣٨) زعماء الاسلام — للدكتور حسن ابراهيم حسن ص (١٣٦) وانظر ما جاء في فصل : (من كلامه) في كتاب : ابن العاص — للعقاد .

إذا المرء لم يترك طعاماً يحبّـــه
ولم ينه قلبـــاً غاوياً حيث يمّما

قضى وطـــراً منه وغادر سبّة
إذا ذكرت أمثالها تملأ الفما (١٣٩)

وقال (١٤٠) :

معـــاوى لا أعطيك ديني ولم أنل
به منك دنيا ، فانظرن كيف تصنع

فان تعطني مصراً فأربـــح بصفقة
أخذت بها شيخاً يضـــر وينفع

وله شعر كثير (١٤١) ، وكل ما ينسب اليه من شعر فهو من هذه الطبقة التي لا تسف ولا تعلو الى الذروة بين بدائع الشعراء .

وكان محدثاً روى عن النبي صلى الله عليه وسلم تسعة وثلاثين حديثاً (١٤٢) ، وكان فقيهاً من أصحاب الفتيا من الصحابة (١٤٣) ، وقد وصفه رجل بقوله : « صحبت عمرو بن العاص ، فما رأيت رجلاً أبين قرآناً ولا أكرم خلقاً ولا أشبه سيرة بعلانية منه » (١٤٤) .

بل كان مجتهداً في أمور الدين ، فقد روي أنه لما بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم عام ذات السلاسل ، قال : « احتلمت في ليلة باردة شديدة

---

(١٣٩) اسد الغابة (٤ /١١٧) والاستيعاب (٣ /١١٨٨) .
(١٤٠) اليعقوبي (٢ /١٦٢) والعقد الفريد (٣ /١١٤) .
(١٤١) انظر سيرة ابن هشام (٣ /١١٠-١١١) و (٣ /١١٦-١١٧) .
(١٤٢) أسماء الصحابة الرواة لا بن حزم - ملحق بجوامع السيرة ص (٢٨٠) . وانظر مسند الامام احمد بن حنبل (٤ /٢٠٢-٢٠٥) .
(١٤٣) أصحاب الفتيا من الصحابة - لابن حزم - ملحق بجوامع السيرة ص (٣٢٠) .
(١٤٤) الاصابة (٥ /٢) .

البرد ، فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك ، فتيممت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرت ذلك له فقال : يا عمرو ، صليت بأصحابك وأنت جنب ؟! فقلت : نعم يا رسول الله ! إني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد ، فأشفقت إن أنا اغتسلت أن أهلك ، وذكرت قول الله عز وجل : (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما) فتيممت ثم صليت ! فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يقل شيئاً »[١٤٥] ، ولا عجب من ذلك فهو الذي أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقضي بين خصمين جاءاه ، فقال « اقض بينهما يا عمرو ! » فقال عمرو : « أنت أولى بذلك مني يا رسول الله » قال : « وان كان » . وهو الذي كان يروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « اذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران وإن أخطأ فله أجر »[١٤٦] .

وكان حليماً ، فقد ذكروا أنه جعل لرجل ألف درهم على أن يسأل عمرو بن العاص عن أمه وهو على المنبر ، فسأله فقال : أمي سلمى بنت حرملة ، تلقب النابغة من بني عنزة ، أصابتها رماح العرب ، فبيعت بعكاظ ، فاشتراها الفاكهة بن المغيرة ، ثم اشتراها منه عبد الله بن جُدعان ، ثم صارت الى العاص بن وائل ، فولدت له ، فأنجبت ، فان جُعل لك شيء ، فخذه »[١٤٧]

وكان يعتز بنفسه وبكرامته ، فقد كتب عمر بن الخطاب الى عمرو وهو على مصر يسأله فيه عن أصل المال الذي جمعه ، فغضب ابن العاص ، وكان مما اجاب به : « .... ووالله لو كانت خيانتك حلالاً ما خنتك وقد ائتمنتني ، فان لنا أحساباً إذا رجعنا إليها أغنتنا عن خيانتك »[١٤٨] .

وكان إدارياً حازماً : تحبّب الى سكان البلاد الأصليين ، وردّ اليهم

(١٤٥) مسند الامام أحمد بن حنبل (٤/ ٢٠٥) .
(١٤٦) مسند الامام أحمد بن حنبل (٤/ ٢٠٤) .
(١٤٧) أسد الغابة (٤/١١٥ - ١١٦) والاستيعاب (٣/١١٨٤-١١٨٥) .
(١٤٨) انظر الفاروق عمر للدكتور هيكل (١/ ٣٠) .

حقوقهم المغتصبة ، وقطع دابر ما كان يثير تذمرهم ، ومنحهم الحرية الدينية الكاملة ، وأبقى أرضهم على حالها لم يقسمها بين الفاتحين من المسلمين (١٤٩) ؛ وحرص على رفاهية السكان وعدم إرهاقهم بالضرائب ، فقد جبى خراج مصر وجزيتها ألفي الف وجباها خلفه عبد الله بن سعد بن أبي سرح أربعة آلاف ألف ، فقال عثمان لعمرو : « إن اللقاح بمصر بعدك درّت البانها » ، فقال عمرو : « ذاك لأنكم أعجفتم أولادها » (١٥٠) ... ونفذ وصية الرسول صلى الله عليه وسلم بالقبط نصاً وروحاً : « اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً ، فان لهم ذمة ورحماً » (١٥١) .

وكان أدعج أبلج قصير القامة (١٥٢) يخضب بالسواد ويهتم بقيافته وبمسكنه ومأكله وملبسه (١٥٣) .

وليس من شك أن عمراً كان يتمتع بخصال انسانية ممتازة تجعله بين صفوف الخالدين من ذوي المواهب والعقول ، وقد أنصف عمرو نفسه حين قسّم حياته الى ثلاثة أدوار : دور الجاهلية ، ودور الاسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والشيخين والصدر الاول من عهد عثمان بن عفان ، ودور الاسلام بعد عزله عن مصر في أيام عثمان حتى توفاه الله ، ولعله قد جزع حين وفاته مما جنت يداه في الدور الثالث من حياته ، فأخذ يردّد وهو يحتضر : « اللهم أمرتني فلم أأتمر ، وزجرتني فلم أنزجر » ، ودخل عليه ابن عباس في مرضه فقال : « كيف أصبحت يا ابا عبد الله ؟ » ، فقال « أصلحت من دنياي قليلاً ، وأفسدت من ديني كثيراً ، فلو كان الذي أصلحت هو الذي أفسدت والذي أفسدت هو الذي أصلحت لفزت... » (١٥٤) .

---

(١٤٩) البلاذري (٢١٥) و (٢٢٠) .
(١٥٠) البلاذري (٢١٧) .
(١٥١) البلاذري (٢٢٠) .
(١٥٢) الاصابة (٢/٥) .
(١٥٣) أسد الغابة (١١٧/٤) .

وأرى ان شعور عمرو بالحزن والأسى والندم على ما فرّط في جنب الله ، دليل قاطع على ايمانه العميق ؛ إذ لو لم يكن مؤمناً حقاً ، لما أنّب نفسه علناً أمام الناس قبل أن يؤنبه غيره ، لذلك قال النبي الكريم عنه وعن أخيه : « ابنا العاص مؤمنان : عمرو وهشام »(١٥٥) .

وليس ادل على ايمانه من قوله من على منبره : « لقد أصبحتم وأمسيتم ترغبون فيما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيه : أصبحتم ترغبون في الدنيا وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزهد فيها . والله ما أتت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من دهره إلا كان الذي عليه أكثر مما له »(١٥٦) وكان يقول : « والله إن كنت لأشدّ الناس حياءً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فما ملأت عينيّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا راجعته بما أريد حتى لحق بالله عز وجل حياءً منه »(١٥٧) ، فهل يمكن أن تصدر مثل هذه الأقوال إلا عن مؤمن قوي الايمان ؟ .

القائد :

كان عمرو من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية مذكوراً بذلك فيهم(١٥٨) وكان جريئاً مقداماً(١٥٩) وذا رأي قريش كما وصفه أبو بكر الصديق(١٦٠)

---

(١٥٤) الاستيعاب (٣/١١٨٩) .
(١٥٥) الاستيعاب (٣/١١٩١) ، وقد رواه الامام احمد بن حنبل . انظر مفتاح كنوز السنة ص (٣٦٤) .
(١٥٦) مسند الامام أحمد بن حنبل (٤/٢٠٤) .
(١٥٧) مسند الامام أحمد بن حنبل (٤/٢٠٤) .
(١٥٨) الاستيعاب (٣/١١٨٨) .
(١٥٩) فتوح مصر لابن عبد الحكم ص (٥٢) نقلا عن كتاب تاريخ عمرو بن العاص للدكتور حسن ابراهيم ص (٨١) . ونص ما جاء فيه : ان عثمان بن عفان رضي الله عنه دخل على عمر بن الخطاب ، فقال عمر : كتبت الى عمر بن العاص يسير الى مصر من الشام ، فقال عثمان : يا أمير المؤمنين ان عمرا لمجروء وفيه اقدام وحب للامارة ... الخ .
(١٦٠) اليعقوبي (٢/١٠٧) .

وبذلك اجتمعت لعمرو أهم عناصر القيادة : الشجاعة الشخصية والبطولة والجرأة والإقدام والرأي السديد والعقل الراجح والمنطق السليم .

فاذا أضفنا الى ذلك حرص عمرو على استكمال جمع المعلومات عن عدوه وعن طبيعة الارض التي يقاتل عليها ، وذلك بالاستطلاع الشخصي ، والاستطلاع بالعيون والارصاد ، فقد تيسّرت لعمرو كافة عوامل اعداد خطة مناسبة ناجحة .

لقد كان عمرو يقدر قيمة الاستطلاع حقّ قدره ، لذلك كان يتقدم لمواجهة عدوه وهو يعرف عنه كل شيء ... يتقدم نحوه مفتوح العينين في نور لا في ظلام .

كان من أسباب نجاحه في غزوة ذات السلاسل ، أن أم العاص بن وائل والد عمرو من بني (بلي) [١٦١] ، لذلك عاونه أخواله في تيسير مهمّته وأمدوه بالمعلومات الضرورية للنجاح .

وكان لمعرفته الشخصية بطبيعة أرض فلسطين وبمناطقها المناسبة للقتال وبالطرق التقربية اليها وبمزايا أهلها ومزايا الروم ، أثر حاسم على انتصاره في معارك فتح هذه البلاد ..

والظاهر أنه لم يكتف بالمعلومات المتيسرة لديه عن فلسطين ، بل أقدم على مغامرة استطلاعية فذّة ، فقام بالاستطلاع الشخصي لمقر قائد الروم (أرطبون) ، فاطلع على نقاط الضعف في مواضع الروم — وبذلك انتصر عليهم ، وكاد هذا النصر يكلفه حياته من جراء مغامرته الاستطلاعية هذه .

وكان لحضور عمرو الى مصر في جاهليته أثر كبير على معرفته بأحوال مصر وأخبارها : طرقها وطبيعة أرضها ومدى الاضطهاد الديني والسياسي

---

(١٦١) الطبري (٢ /٣١٥) ، وفي ابن الاثير (٢ /٨٨) : ان أمه من (بلي) والصحيح أن أم والده من بلي .

الذي يتحمله أهل مصر من الروم – فلا عجب أن يقدم عمرو على دخول مصر على رأس ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل فقط ؛ إذ لولا تيسّر المعلومات الكافيه لديه عن مصر وأهلها وضعف حاميتها لما كان من المعقول أن يقدم على فتح مصر بمثل هذا العدد الضئيل من الرجال .

وكان عمرو يتمتع بحاسة معرفة تأثير طبيعة الأرض على المعركة ، فهو الذي أشار على قادة المسلمين في أرض الشام بالاجتماع في (اليرموك) ، فلما نزل الروم معسكرهم انتقل المسلمون الى معسكر مناسب ونزلوا على طريق انسحاب الروم وليس للروم طريق الا على المسلمين !... حينذاك هتف عمرو : «أيها الناس ! أبشروا ، حصرت والله الروم ، وقلّ ما جاء محصور بخير !! » (١٦٢) .

وكان يؤمن بأهمية (الضبط) والطاعة والسيطرة ، لذلك كان يفرض على رجاله ضبطاً عالياً ويطالبهم بالطاعة المطلقة لأوامره ويسيطر عليهم سيطرة تامة ؛ ولعل منع رجاله – وفيهم بعض كبار الصحابة مثل أبي بكر وعمر وأبي عبيدة بن الجراح – من إشعال النار ليلاً على الرغم من شدّة البرد ، ليحول دون كشف مواضعهم للعدو ، مثال رائع لشدة ضبط عمرو وسيطرته النافذة على مرؤوسيه بصرف النظر عن قيمتهم الاجتماعية .

وكان بعيد النظر ، يحسب لكل شيء حسابه بدقة واتقان ، ولا يترك أمراً تحت رحمة الصدف ؛ فحين فزع أهل المدينة لبس عمرو سلاحه وقصد المسجد على حين تفرّق المسلمون ، فخطب النبي صلى الله عليه وسلم فقال : «ألا كان مفزعكم الى الله ورسوله ؟ ألا فعلتم كما فعل هذان الرجلان المؤمنان ؟ » (١٦٣) . كما انّ بعد نظره جعله يمنع رجاله من مطاردة قضاعة بعد هزيمتها خوفاً من وجود مدد لها ، فيقع رجاله في كمين يكبدهم خسائر فادحة .

---

(١٦٢) الطبري (٢/٥٩٠–٥٩١) وابن الاثير (٢/١٥٦) .

(١٦٣) مسند الامام أحمد بن حنبل (٤/٢٠٣) والاصابة (٥/٣) والرجلان هما : عمرو ابن العاص وسالم مولى أبي حذيفة .

وكان عمرو يحارب بسيفه وعقله على حد سواء ! كان يباشر القتال بنفسه ، وقد باشر القتال في القلب ايام صفين فلما كان يوم من تلك الأيام اقتتل أهل العراق وأهل الشام حتى غابت الشمس ، ثم اقتتلوا ساعة من الليل حتى كثرت القتلى بينهم ، فصاح عمرو بأصحابه : الأرض يا أهل الشام ، فترجلوا ودبّ بهم وترجل أهل العراق أيضاً ، فكان عمرو يقاتل وهو يقول :

وصَبَرْنا على مواطن ضنك

وخطوب ترى البياض الوليدا

فأقبل رجل من أهل العراق وضرب عمراً ضربة جرحه على العاتق ، فأدركه عمرو فضربه ضربة قضت عليه (١٦٤) .

وكان يحارب بعقله كما يحارب بسيفه ، بل كان عقله أمضى حداً من سيفه ، فكان يحاول أن يحوّل المعركة بين معاوية وعلي من حرب السيوف الى حرب الفكر واللسان لكي يشل قوة رجال علي !

لقد عمل جاهداً على تشكيك علي بن ابي طالب بأخلص رجاله ، وأغرى بعض أهل الكوفة بالمال وبالوعود ليكونوا رتلاً خامساً بين صفوف قوات علي .

وقد منع أصحاب معاوية الماء عن أصحاب علي ، فلما غلب أصحاب علي على الماء استفاد عمرو من شهامة علي وايمانه فأورد رجاله الماء بدون قتال (١٦٥)

ولما حاقت الهزيمة بأهل الشام أشار عمرو على معاوية برفع المصاحف ، فدبّ الخلاف بين رجال علي : منهم من أجاب ومنهم من خالف لعلمه بأن رفعها خدعة ، وبذلك نجى أهل الشام من اندحار أكيد ، وتفرق شمل أهل العراق فلم يجتمع بعدها أبداً .

---

(١٦٤) طبقات ابن سعد (٤/٢٥٤-٢٥٥) .
(١٦٥) انظر الامامة والسياسة لابن قتيبة (١/١٠٥-١٠٦) .

لقد كان عمرو يجيد حرب الدعاية ويؤمن بمبدأ : الحرب خدعة .

وكان يقدّر أهمية توحيد القيادة وضرورة وجود قائد واحد يدير معركة واحدة على رأس قوة واحدة ، وعلى الرغم من حرصه الشديد على الامارة ، إلا أن التفاتته البارعة الى حصر القيادة بيده فقط في معركة ذات السلاسل كانت ذات أهمية بالغة من الناحية العسكرية البحتة ، لأن وجود قائدين على رأس قوة واحدة يؤدي الى الارتباك والبلبلة وضياع المسؤولية وتفرق الشمل وبعثرة الجهود .

لقد كان عمرو أوسع قواد المسلمين حيلة وأشدهم ذكاء ، وكان قائدا عقائدياً يتمتع بشخصية جبارة و ارادة حديدية وذكاء خارق ودهاء عجيب ، وكان يتحمل المسؤولية كاملة مهما تكن النتائج .

وكانت معاركه (تعرضية) ، يعمل على (مباغتة) عدوه كما فعل في فتح حصن بابليون ، وينجز (تحشيد قوته) قبل الاقدام على خوض معاركه كما فعل في طلب المدد قبل معركة ذات السلاسل وكما أشار باجتماع المسلمين في اليرموك قبل خوض هذه المعركة الحاسمة .

كما كان يحرص على تطبيق مبدأ (الأمن) ، لذلك حرص على السرى ليلاً والاختفاء نهاراً في مسير الاقتراب الى غزوة (ذات السلاسل) ، كما حرص على عدم ايقاد النار وعدم المطاردة في تلك المعركة ، وتلك أمثلة على تطبيقه مبدأ (الأمن) في المدى التعبوي . أما تطبيقه هذا المبدأ في المدى السوقي فمظهره في فتح ليبيا لتأمين مصر من الغرب ومحاولته فتح النوبة لتأمين مصر من الجنوب .

وكان يبذل قصارى جهده لتأمين (تعاون) قواته وأرتاله في القتال ، كما كان (يديم معنويات) رجاله بشتى الوسائل قبل المعركة وفي أثنائها وبعدها ويسهر على توفير (الأمور الادارية) لقواته .

لقد كان قائداً مثالياً بكل ما في القيادة المثالية من معنى .

عمرو في التاريخ :

هناك اختلاف بين المؤرخين في تقدير أعمال عمرو إنساناً ، ولكن هناك اجماع بين المؤرخين على تقدير اعمال عمرو قائداً .

لقد كانت من ثمرات جهاد عمرو فتح فلسطين ومصر وليبيا – وهي بلاد لم يفتح غيره من قادة العرب في عهد الاسلام اوسع منها وأكثر خيراً .

إن التاريخ يذكر لعمرو دهاءه الفذ وإدارته الحكيمة للبلاد التي كان يحكمها ، ويذكر له جهاده في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وجهاده في حروب الردة وفتح فلسطين ومصر وليبيا .

إنه يحتل أنصع صفحات الفتح الاسلامي في كل تاريخ العرب والمسلمين .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، الاداري الداهية ، عمرو ابن العاص السهمي .

أبو أُمَامَة البَاهِلي

فاتح العَرَبَة والدائِن من أرض فلسطين

(أنت مني وأنا منك)

(حديث شريف)

إسلامه :

أسلم أبو أمامَة واسمه : الصُدَيّ بن عجلان الباهلي قبل (أُحُد) ، وقد شهد هذه الغزوة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بسند ضعيف فقد روي أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة فقال : « ادع الله لي بالشهادة » ، فقال : « اللهم سلمّهم وغنّمهم »[١] .

ومن المؤكد أنه أسلم قبل غزوة (الحُدَيْبِيّة) التي حدثت في السنة السادسة للهجرة[٢] ، فلما نزلت : (لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة) ، قال أبو أمامة : « يا رسول الله ! أنا ممن بايعك تحت الشجرة » فقال : « أنت مني وأنا منك[٣] » .

وأرسله رسول الله الى قومه (باهلة) فانتهى اليهم وهو طاوٍ[٤] وهم يأكلون الدم ، فقالوا : هلُمّ ! فقال : « إنما جئت أنهاكم عن هذا[٥] » .

---

(١) الاصابة (٣/٢٤٠) .

(٢) طبقات ابن سعد (٢/٩٥) .

(٣) الاصابة (٣/٢٤٠) .

(٤) الطوى : الجوع ، وطاو : جائع .

(٥) الاصابة (٣/٢٤٠) .

وهذا يدل على انه كان موضع ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه نال شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهاده :

كان أبو أمامة في جيش يزيد بن أبي سفيان في طريقه من المدينة الى أرض الشام ، وفي الطريق علم يزيد أن الروم حشدوا قواتهم (بالعَـرَبَـة)[٦] من أرض فلسطين ، فوجّه اليهم أبا أمامة فهزمهم ؛ فكان أول قتال بالشام بعد سرية أسامة بن زيد[٧] ، فانسحب الروم الى (الدَّاثِـن)[٨] وهناك هزمهم أبو أمامة أيضاً[٩]، مما أدى الى رفع معنويات المسلمين من جهة وتحطيم معنويات الروم من جهة أخرى .

وكان بعد ذلك يقاتل تحت لواء أبي عبيدة في كافة معاركه ، فقد كان مع أبي عبيدة في فتح (قورس)[١٠] حيث واصل الجهاد ضد الروم ، ولا بد أن يكون قد أبلى أعظم البلاء في جهاده ، لأن قيامه بواجب قتال الروم لأول مرة يدل على أنه كان مجاهداً من الطراز الأول ، فليس من المعقول أن يغمد سيفه على الرغم من سكوت التاريخ عن ذكر تفاصيل جهاده في فتح أرض الشام وفي ساحات القتال الأخرى .

الانسان :

أرسله النبي صلى الله عليه وسلم الى قومه (باهلة) فأسلموا عن آخرهم على يديه[١١] ، وكان من المكثرين في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه

---

(٦) عربة : موضع في أرض فلسطين . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦ /١٣٨) ، وهي قرب العقبة من الأردن في حدودها الحالية .

(٧) ابن الاثير (٢ /١٥٥) والبلاذري ص (١١٧) ومعجم البلدان (٦ /١٣٨) .

(٨) الداثن : ناحية قرب غزة بأعمال فلسطين . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤ /٤) .

(٩) ابن الاثير (٢ /١٥٥) .

(١٠) البلاذري (١٥٤) ومعجم البلدان (٣ /٢٨٥) .

(١١) الاصابة (٣ /٢٤١) .

وسلم [١٢]، وكان يحدّث الحديث كالرجل الذي يؤدي ما سمع . دخل عليه جماعة من المسلمين فقال لهم : « إن دخولكم عليّ رحمة لكم وحجّة عليكم ، ولم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم من شيء أشد خوفاً على هذه الأمة من الكذب والعصبية ؛ الا وإياكم والكذب والعصبية ، ألا وانه أمرنا أن نبلغكم ذلك عنه ، ألا وقد فعلنا فأبلغوا عنا ما قد بلّغناكم [١٣] . وكان يقول : « إن هذه المجالس من بلاغ الله إياكم ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلّغ ما أرسل به إلينا ، فبلّغوا عنا أحسن ما تسمعون [١٤] وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مائتي حديث وسبعين حديثاً [١٥] .

شهد (صفين) مع علي بن أبي طالب [١٦] ، وقد قال : « شهدت صفين ، فكانوا لا يجهزون على جريح ولا يطلبون مولياً ولا يسلبون قتيلا » [١٧].

سكن مصر ثم انتقل منها الى حمص فسكنها ومات بها [١٨] سنة ست وثمانين [١٩] هجرية (٧٠٥ م) وهو آخر من مات بالشام من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان له من العمر مائة وست سنين [٢٠] ، أي أنه ولد سنة عشرين قبل الهجرة (٦٠٢ م) .

---

(١٢) الاستيعاب (٤/١٦٠٢) .

(١٣) اسد الغابة (٣/١٦-١٧) .

(١٤) طبقات ابن سعد (٧/٤١٢) .

(١٥) أسماء الصحابة والرواة وما لكل واحد من العدد - لابن حزم - ملحق بجوامع السيرة ص (٢٧٧) . وفي تهذيب الأسماء واللغات (٢/١٧٦) : انه روى مائتي حديث وخمسين حديثاً .

(١٦) الاصابة (٣/٢٤١) .

(١٧) طبقات ابن سعد (٧/٤١١) .

(١٨) الاستيعاب (٤/١٦٠٢) وتهذيب الأسماء واللغات (٢/١٦٧) .

(١٩) طبقات ابن سعد (٧/٤١٢) والاصابة (٣/٢٤١) . وفي تهذيب الاسماء واللغات (٢/١٧٦) : انه توفي سنة احدى وثمانين .

(٢٠) الاصابة (٣/٢٤١) .

لقد كان يهتم بمظهره ويصفّر لحيته [٢١] ، وكان كريماً مضيافاً شهماً غيوراً صادقاً وفياً تقياً ورعاً يتفانى في سبيل عقيدته ومبادئه ، وكان من وجوه قومه في الجاهلية والاسلام [٢٢] ومن مشهوري الصحابة [٢٣] .

القائـــد :

الظاهر أن أبا أمامة كان من أولئك القادة المشبعين بروح التعرض والمباغتة ، وكان من القادة الشجعان الذين تستهويهم المغامرة ولا تخيفهم الأهوال ، يدلنا على ذلك إقدام أبي أمامة على مهاجمة الروم في معركتين كبيرتين داخل بلادهم وفي عقر دارهم ، إذ لا بد أن يكون الروم حينذاك قد حشدوا قواتهم واستحضروا للقتال ، لأن الروم كان لها الوقت الكافي لتحشيد قواتهم وإعداد كافة متطلباتها الادارية لتكون مستعدة لخوض معركة مدبّرة ؛ ولأن كل جيش يبذل قصارى جهدهلا حراز النصر في المعارك الاولى التي ترفع معنويات المنتصر وتحطّم معنويات المندحر .

لقد كان لأبي أمامة شرف رفع معنويات المسلمين في المعارك الأولى ضد ضد الروم ، ورفع المعنويات معناه إحراز نصف النصر كما يقولون .

إن انتصار أبي أمامة على الروم دليل على تمتعه بعقلية جوالة وتفكير صائب وإرادة قوية وشخصية نافذة وشجاعة نادرة وإقدام فذ ، كما أنه كان قديراً على إصدار القرارات السريعة الجريئة الصائبة ، وكان موضع ثقة وحب رجاله ورؤسائه على حد سواء ، كما أن تكليفه بهذا الواجب دليل قاطع على ماضيه الناصع المجيد .

---

(٢١) طبقات سعد (٧/٤١٢) واسد الغابة (٣/١٦) .

(٢٢) الاصابة (٤/٢٤١) .

(٢٣) تهذيب الأسماء واللغات (٢/١٧٦) .

ابو امامة في التاريخ :

لقد بخل التاريخ حقاً على أبي أمامة في إعطائه حقه من التقدير والذكر ، ومن المؤلم ألا نجد في التاريخ تفاصيل تلقي ضوءاً ولو قليلاً على حياة هذا القائد العظيم .

إن أسامة بن زيد كان أول من جرّأ العرب على مهاجمة الروم فكان صاحب الفضل الأول في فتح أرض الشام . أما أبو أمامة فكان صاحب الفضل بعد أسامة في اثبات مقدرة العرب عملياً على دحر الروم ، وكان صاحب الفضل في رفع معنوياتهم وجعلهم يستهينون بالروم غير مكترثين بتفوق الروم عددياً عليهم وأن الروم يقاتلون في بلادهم ويستندون على قواعد قريبة ، بينما جاء العرب المسلمون من مكان بعيد في عَدد قليل وعُدد بالية بالنسبة لعَدد وعُدد الروم .

أليس من العقوق ألا نعرف أبا أمامة وفضله الكبير على فتح الشام ؟

إن أبا أمامة فتح بمعاركه قلوب أهل الشام ، وقد فتح القادة الآخرون في معاركهم التالية ديار أهل الشام .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، الفقيه المحدّث ، أبي أمامة الباهلي .

أبو الأعور السلمي

فاتح طبرية [1]

اسلامه :

كان أبو الأعور عمرو بن سفيان السلمي قد شهد (حُنَيْناً) وهو مشرك مع مالك بن عوف النضري قائد المشركين يوم (حنين) ثم أسلم [2] بعدُ هو ومالك وحدّث بقصة هزيمة هوازن (بحنين) [3].

وقد اختلف في صحبته ، وأكثرهم يقول : بأنه من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، بينما ينكر بعضهم صحبته [4] ؛ وأرجح أنه كان صحابياً ، لأنهم لم يكونوا يؤمّرون في الفتوح غير الصحابة ، خاصة في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه [5]. وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث : « إنما أخاف على أمتي شحاً مطاعاً ، وهوى متبعاً ، وإماماً ضالاً » [6].

والظاهر أنه شهد تحت راية الرسول القائد غزواته الأخرى بعد حنين ،

---

(١) طبرية : بليدة مطلة على البحيرة المعروفة ببحيرة طبرية ، وهي في طرف جبل ، وجبل الطور مطل عليها ، بينها وبين دمشق ثلاثة أيام وكذلك بينها وبين بيت المقدس . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/ ٢٣) .

(٢) الاصابة (٤/ ٣٠٢) والاستيعاب (٤/ ١٦٠٠) .

(٣) الاستيعاب (٤/ ١٦٠٠) .

(٤) أنظر الاصابة (٤/ ٣٠٢) وأسد الغابة (٤/ ١٠٩) والاستيعاب (٣/ ١١٧٨) و (٤/ ١٦٠٠) .

(٥) الاصابة (٢/ ١٩٤) و (١/ ٣٠٩) .

(٦) أسد الغابة (٤/ ١٠٩) والاستيعاب (٣/ ١١٧٩) .

وبذلك نال أبو الأعور شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت راية النبي صلى الله عليه وسلم .

جهاده :

شهد أبو الأعور أكثر معارك الفتح في أرض الشام ، وكان على كردوس في معركة اليرموك الحاسمة [٧] ، وشهد فتح دمشق ثم سرّحه أبو عبيدة مع عشرة قواد آخرين الى (فحل) [٨] ، فتقدم جيوش المسلمين اليها ، فلما نزلها تركها أهلها وقصدوا (بيسان) ، فلما وصلت قوات المسلمين بقيادة شرحبيل بن حسنة ، قدّم أبا الاعور الى (طبرية) [٩].

ولما فرغ شرحبيل من معركة (فحل) هاجم (بيسان) فحاصرها أياماً فخرج المدافعون عنها ولكنهم هُزموا ، فصالح شرحبيل أهل (بيسان) على مثل صلح دمشق . وبلغ أهل (طبرية) الخبر ، فصالحوا أبا الاعور على أن يبلغهم شرحبيل ؛ فصالح شرحبيل أهلها على صلح دمشق أيضاً على أن يشاطروا المسلمين المنازل في المدائن وما أحاط بها مما يصلها ، فيدعون لهم نصفاً ويجتمعون في النصف الآخر ، وعن كل رأس دينار كل سنة ، وعن كل جريب أرض جريب بر أو شعير أي ذلك حرث ... الخ [١٠] .

ولما أنجز المسلمون فتح (الاردن) ، انصرف أبو عبيدة وخالد بن الوليد الى (حمص) ، وتوجّه عمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة لإكمال فتح فلسطين ، فاستخلفا على (الاردن) [١١] أبا الاعور حتى لا يؤتى

---

(٧) الطبري (٢/٥٩٣) .
(٨) فحل : اسم موضع بأرض الشام في ناحية الاردن . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦ / ٣٤٠) .
(٩) الطبري (٢/ ٦٢٩) .
(١٠) الطبري (٢/ ٦٣٠) وابن الاثير (٢/ ١٦٦) .
(١١) ابن الاثير (٢ /١٩٣) .

المسلمون من الخلف أو من الجانب ، وحتى يكون الاردن قاعدة أمينة للمسلمين يندفعون منها لإكمال فتح أرض الشام ؛ فسيطر أبو الاعور على (الاردن) سيطرة ممتازة ، فلم يلحق جيوش المسلمين من جهته أي ضرر .

وشهد غزوة (عمّوريّة)[١٢] وكان على جيش الشام ، كما شهد غزو جزيرة (قبرس) مع معاوية بن أبي سفيان [١٣]، وبقي الى آخر حياته يجاهد في صفوف أهل الشام .

الانسان :

كان أبو الاعور حليف أبي سفيان بن حرب الاموي[١٤] ، وهذا يفسر لنا : لماذا ربط أبو الاعور مصيره بمصير معاوية بن أبي سفيان ، ولماذا أخلص له الاخلاص كلّه طيلة حياته .

لقد كان في عهد عمر بن الخطاب أحد القادة البارزين المعروفين بالصلاح ، فقد كتب عمر الى أُمراء الآفاق أن يبعثوا اليه من كل عمل رجلاً من صالحيها ، فبعثوا اليه أربعة من البصرة والكوفة والشام ومصر ، فاتفق أن الاربعة من بني سليم ، وكان أبو الاعور مبعوث أمير الشام[١٥] ، وهذا يدل على أنه كان شخصية معروفة بحسن تصرفها وباتزانها ومنطقها السليم وذكائها الوقاد وحسن خلقها وتدينها ، لذلك استخلفه عمرو بن العاص وشرحبيل على الاردن في أحرج الظروف وهي أيام الفتح ، كما كان على الاردن في أيام عثمان بن عفان[١٦] بعد أن جمع عثمان أرض الشام كلها لمعاوية[١٧] ،

(١٢) عمورية : بلدة في بلاد الروم . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦/ ٢٢٦) .
(١٣) الاصابة (٤/ ٣٠٢) .
(١٤) الاصابة (٤/ ٣٠٢) .
(١٥) الاصابة (٤/ ٣٠٢) .
(١٦) الطبري (٣/ ٤٤٦) وابن الاثير (٣/ ٧٢) .
(١٧) أسد الغابة (٤/ ٣٨٦) والاصابة (٦/ ١١٣) وطبقات ابن سعد (٧/ ٤٠٦) .

فعمل أبو الاعور بامرة معاوية المباشرة طيلة عهد عثمان بن عفان .

وفي الفتنة الكبرى بين علي بن أبي طالب وبين معاوية بن أبي سفيان ، انحاز ابو الاعور الى جانب معاوية ، فشهد معه (صفين)[١٨] ، كما شهد اجتماع الحكمين مع أصحاب معاوية[١٩] .

ولا نعـ ف كيف ومتى انتهت حياته ، الا اننا نرجح أنه بقي على الاردن حتى توفاه الله .

لقد كان من أعيان أصحاب معاوية[٢٠] ، بل كان من أعيان أهل الشام ، فلا بد أن يكون متمتعاً بمزايا انسانية رفيعة جعلته يتبوأ هذا المركز المرموق .

القائد :

من الواضح أن أبا الاعور كان شجاعاً مقداماً جريئاً ، وكان الى جانب ذلك ذا عقلية راجحة وذكاء لماع وقابلية على إدارة الرجال .

هذه المزايا هي التي جعلته موضع ثقة عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ومعاوية بن أبي سفيان ، فكان عليه مدار الحرب ، أيام فتح الشام وأيام الفتح البحري ، كما كان عليه مدار الحرب في صفين[٢١] أيضاً على الرغم من أنني لا أعتبر معركة (صفين) جهاداً ، لأن سيوف العرب كانت تأكل العرب وكانت من قبل تأكل الفرس والروم .

وهذه المزايا هي التي جعلته موضع ثقة رجاله ، وجعلت قراراته وخططه صحيحة صائبة ، فلم يفشل في أية معركة خاضها قائداً مسؤولاً أو قائداً مرؤوساً .

---

(١٨) ابن الاثير (٣/١١٦) والاصابة (٤/٣٠٢) والاستيعاب (٤/١٦٠٠) واسد الغابة (٤/١٠٩) .

(١٩) ابن الاثير (٣/١٢٨) .

(٢٠) اسد الغابة (٤/١٠٩) .

(٢١) أسد الغابة (٤/١٠٩) .

انه كان شخصية قوية لها ارادة صلبة ، وكان يقاتل بسلاحين : عقله وسيفه .

ابو الأعور في التاريخ :

يذكر التاريخ لأبي الاعور جهاده المشرف في أرض الشام خاصة في معركة اليرموك وفي فتح طبرية وفي ادارة بلاد الأردن مدة طويلة تميزت بالهدوء والاطمئنان .

فهل تذكره اليوم (طبرية) ، أم نسته في خضم مأساتها القاصمة التي تعيشها في ظل اسرائيل ؟؟

رضي الله عن الصحابي الجليل ، الاداري الحازم ، القائد الفاتح ، أبي الاعور السلمي .

معاوية بن أبي سُفيان الأموي

فاتح عرقة وقيسارية وعسقلان وقبرس

« اللهم اجعله هادياً مهديا »

(حديث شريف)

اسرته :

هو معاوية بن أبي سُفيان صَخر بن حَرْب بن أميّة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصي القرشي الأموي ، ويكنى أبا عبد الرحمن (١) .

وأبوه هو أبو سفيان صخر بن حرب من أكبر تجار قريش ومن أكبر قادتها في الجاهلية . كان أسن من النبي صلى الله عليه وسلم بعشر سنين . أسلم ليلة الفتح وشهد (حُنيناً) و (الطائف) وكان من المؤلفة قلوبهم . ومات النبي صلى الله عليه وسلم وهو بمكة ، فخرج مجاهداً الى أرض الشام وقاتل يوم اليرموك تحت لواء ابنه يزيد وفقئت عينه يومئذ ، وكانت عينه الأخرى قد فقئت يوم الطائف ؛ وقد روى الامام سعيد بن المسيّب عن أبيه قال : « فقدت الأصوات يوم اليرموك إلاّ صوت رجل يقول : يا نصر الله اقترب . قال : فنظرت فاذا هو أبو سفيان تحت راية ابنه يزيد » . وهذا يدل على أنه أسلم وحسن اسلامه ، ولا صحة لما يروى خلاف ذلك (٢) .

---

(١) طبقات ابن سعد (٧/ ٤٠٦) والاصابة (٦/ ١١٢) وأسد الغابة (٤/ ٣٨٥) والاستيعاب (٣/ ١٤١٦) والمعارف ص (٣٤٤) و (٣٤٩) .

(٢) انظر التفاصيل في الاصابة (٣/ ٢٣٨) وأسد الغابة (٣/ ١٢) والاستيعاب (٣/ ٧١٤).

وأمه هي هند بنت عُتْبَة بن ربيعة بن عبد شمس ، كانت امرأة لها نفس وأنفة ؛ شهدت (أُحُداً) كافرة مع زوجها أبي سفيان بن حرب ، فلما قتل حمزة بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، وثبت عليه ومثّلت به وشقّت بطنه واستخرجت كبده فشوت منه وأكلت ، لأنه كان قد قتل أباها يوم (بدر).

أسلمت يوم الفتح ؛ فلما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم البيعة على النساء ، فقال : «لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن» ، قالت هند : «يا رسول الله . إن أبا سفيان رجل مسيّك ، فهل عليّ حرج أن أصيب من طعامه من غير اذنه؟» ، فرخّص لها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرطب ولم يرخص لها في اليابس . وقال : «ولا يزنين» ، فقالت : «وهل تزني الحرّة؟» . وقال «ولا يقتلن أولادهن» ، فقالت : «وهل تركت لنا ولداً إلا قتلته يوم بدر؟» .... وتوفيت هند في خلافة عمر بن الخطاب ، وقيل : إنها ماتت في خلافة عثمان بن عفان (٣) .

لقد كان والد معاوية يتمتع بشخصية قوية وعقلية راجحة وكان سيداً في قومه قائداً لقواتهم ؛ وكانت أم معاوية تتمتّع بشخصية قوية وعقلية راجحة ، وكانت معروفة بالدهاء بين نساء قومها ؛ فورث معاوية هذه الصفات العالية عن أمه وأبيه ؛ فلما جاء الاسلام ضاعفت الأحداث التي عاشها من تجاربه ، فتكاملت شخصيته ؛ إذ تيسّر له الطبع الموهوب والعلم المكتسب .

نظر أبو سفيان الى معاوية وهو غلام ، فقال : «إن ابني هذا لعظيم الرأس وإنه لخليق أن يسود قومه» ؛ فقالت أمه هند : «قومه فقط؟! ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة» (٤) . وكان معاوية

---

(٣) انظر التفاصيل في الاصابة (٨/ ٢٠٦) وطبقات ابن سعد (٨/ ٢٣٥) والاستيعاب (٤/ ١٩٢٢) . وفي المعارف (٣٤٩) : انها اسلمت عام الفتح .

(٤) الاصابة (٦/ ١١٣) .

(بمنى)[٥] مع أمه إذ عثر ، فقالت : « قم لا رفعك الله » ، فقال لها أعرابي : « لِمَ تقولين له هذا ؟! والله إني لأراه سيسود قومه » ، فقالت : « لا رفعه الله إن لم يسد إلا قومه »[٦] .

اسلامه :

أسلم معاوية بعد (الحُدَيْبِيّة) وكتم إسلامه حتى أظهره عام الفتح ، وكان في عمرة القضاء مسلماً[٧] ، قال معاوية : « أسلمت يوم القضية ولقيت النبي صلى الله عليه وسلم مسلماً »[٨] ، وكان يكتم إسلامه عن أمه وأبيه[٩] .

وصحب النبي صلى الله عليه وسلم وكتب له ، وشهد معه (حُنَيْناً) و (الطائف) ، وأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غنائم (حُنين) مائة من الابل وأربعين أوقية[١٠] . وهاجر الى المدينة فآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين أحد أصحابه[١١] . وكان زيد بن ثابت الأنصاري من بني النجار ألزم الناس للقيام بواجب الكتابة للنبي صلى الله عليه وسلم ، ثم تلاه معاوية بعد الفتح ، فكانا ملازمين للكتابة بين يديه في الوحي وغير ذلك ، لا عمل لهما غير ذلك[١٢] .

---

(٥) منى : الوادي الذي ينزل له الحاج ويرمي فيه الجمار . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ١٥٨) .
(٦) الاصابة (٦ /١١٢-١١٣) .
(٧) الاصابة (٦ /١١٢) وأسد الغابة (٤ /٣٨٤) وطبقات ابن سعد (٧ /٤٠٦) .
(٨) الاستيعاب (٣ /١٤١٦) .
(٩) طبقات ابن سعد (٧ /٤٠٦) والاصابة (٦/ ١١٣) .
(١٠) طبقات ابن سعد (٧ /٤٠٦) وسيرة ابن هشام (٤/ ١٤٠) .
(١١) سيرة ابن هشام (٤ /٢٢٣) . وقد آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين معاوية وبين الحتات بن يزيد المجاشعي .
(١٢) جوامع السيرة لابن حزم (٢٦-٢٧) والسيرة الحلبية (٣/ ٣٦٤) .

لقد نال معاوية شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهاده :

١ – في الشام :

اجتمع الى أبي بكر بعض المجاهدين ، فأرسلهم مع معاوية وأمره باللحاق بأخيه يزيد بن أبي سفيان (١٣) ، فشهد تحت راية أخيه معركة (اليرموك) وفتح (بُصرى) وفتح (دمشق) ، وكان على مقدمة يزيد بن أبي سفيان عند فتح (صَيْداء) و (عِرْقة) و (جُبيل) و (بيروت) ، وتولى معاوية فتح (عِرْقَة)(١٤) في ولاية أخيه يزيد . ثم إن الروم غلبوا على بعض سواحل الشام في آخر خلافة عمر بن الخطاب وأول خلافة عثمان بن عفان ، فقصدهم معاوية وأعاد فتحها وأعاد ترميمها وشحنها بالمجاهدين وخصّص لهم القطائع (١٥) يعيشون على وارداتها .

وكتب عمر بن الخطاب الى يزيد ، أن يوجّه معاوية الى (قَيْسَارِيّة) (١٦) بفتحها ، وكتب عمر الى معاوية يأمره بذلك ؛ فسار معاوية اليها وحصر أهلها ، فجعلوا يزاحفونه وهو يهزمهم ويردّهم الى حصنهم ، ثم زاحفوه آخر ذلك مستميتين وبلغت قتلاهم في المعركة ثمانين ألفاً بلغوا بعد الهزيمة والفرار مائة ألفاً (١٧) .

---

(١٣) ابن الاثير (٢/١٥٥) . وفي البلاذري ص (١١٦) : ان معاوية سار مع أخيه يزيد الى الشام وكان يحمل لواء جيش يزيد .

(١٤) عرقة : بلدة في شرقي طرابلس الشام بينهما أربعة فراسخ . راجع معجم البلدان (٦/١٥٥).

(١٥) ابن الاثير (٢/ ١٦٥) والبلاذري ص (١٣٣) .

(١٦) قيسارية : بلد على ساحل بحر الشام تعد من أعمال فلسطين بينها وبين طبرية ثلاثة أيام ، وكانت قديماً من أعيان أمهات المدن واسعة الرقعة طيبة البقعة . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٧/١٩٥) .

(١٧) الطبري (٣/ ١٠٠–١٠١) وابن الاثير (٢/ ١٩٢) والبلاذري ص (١٤٥–١٤٦).

وتولى معاوية الشام بعد موت أخيه يزيد ، فكتب عمر الى معاوية يأمره بتتبع ما بقي من فلسطين ، ففتح (عَسْقَلان)[18] صلحاً[19] .

ولما ولي عثمان الخلافة وجمع لمعاوية أرض الشام ، وجّه معاوية سفيان ابن مجيب الأزدي الى (طرابلس) ، ففتحها وكتب بالفتح الى معاوية[20] .

٢ — فتح قبرس[21]

غزا معاوية في البحر غزوة (قُبْرُس) الأولى ، ولم يركب المسلمون بحر الروم قبلها ، وكان معاوية قد استأذن عمر في غزو البحر فلم يأذن له ؛ فلما ولي عثمان بن عفان كتب اليه يستأذنه في غزو قبرس ويعلمه قربها وسهولة فتحها ؛ فكتب اليه عثمان : « أن قد شهدت ما ردّ عليك عمر — رحمه الله — حين استأمرته في غزو البحر » .

وعاد معاوية يهوّن على عثمان ركوب البحر الى (قبرس) ، فكتب اليه عثمان : « فإن ركبت البحر ومعك امرأتك ، فاركبه مأذوناً ، وإلا فلا ! » ؛ فركب معاوية البحر من (عَكّا) ومعه مراكب كثيرة ، وحمل امرأته فاختة بنت قرظة وحمل عبادة بن الصامت امرأته أم حرام بنت ملحان الأنصارية ؛ فلما وصل المسلمون (قبرس) نزلوا الى ساحلها ، فبعث اليهم حاكمها يطلب الصلح وقد أذعن أهلها ، فصالحهم معاوية واشترط على أهل قبرس ألاّ ينصروا عدوهم عليهم ولا ينصروهم على عدوهم ؛ ولكنهم بعد حوالي ثلاث سنين أعانوا الروم على الغزاة المسلمين في البحر ، فغزاهم معاوية في خمسمائة مركب ففتح (قبرس) عنوة وقتل وسبى ،

---

(١٨) عسقلان : مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦/ ١٧٤) .

(١٩) البلاذري ص (١٤٨) .

(٢٠) ابن الاثير (٢ /١٦٥–١٦٦) .

(٢١) قبرس : جزيرة في بحر الروم . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٧ /٢٦) .



ثم أقرّهم على صلحهم وبعث اليهم باثني عشر ألفاً من المجاهدين فبنوا بها المساجد ، ونقل اليها جماعة من (بَعَلْبَك) وبنى بها مدينــة ؛ وبقي المجاهدون بالجزيرة الى أن توفي معاوية [٢٢] .

٣ – غزوة ذات الصواري :

وفي أيام عثمان أيضاً خرج قسطنطين بن هرقل في جمع لم تجمع الروم مثله مذ كان الاسلام ، فخرجوا في خمسمائة مركب أو ستمائة ، وخرج المسلمون وعلى أهل الشام معاوية وعلى البحر عبد الله بن سعد بن أبي سرح العامري ، وكانت الريح على المسلمين لما شاهدوا الروم ، فأرسى المسلمون والروم وسكنت الريح ؛ فقال المسلمون : الأمان بيننا وبينكم ، فباتوا ليلتهم والمسلمون يقرأون القرآن ويصلّون . وقرّب المسلمون صباح الغد سفنهم من سفن الروم ، وربطوا بعضها ببعض – سفن المسلمين بسفن الروم – واقتتلوا بالسيوف والخناجر ، فقتل من المسلمين بشر كثير وقتل من الروم ما لا يُحصى ، وصبر المسلمون يومئذ صبراً لم يصبروا مثله في موطن قط ؛ فجرح قسطنطين قائد الروم وانهزم الروم ، فلم ينج منهم إلا الشريد [٢٣] .

٤ – في أرض الروم :

وفي أيام عثمان أيضاً غزا معاوية الروم في عقر دارهم ، فغزا مضيق القسطنطينية ومعه زوجته عاتكة ابنة قرظة وقيل فاخته [٢٤] ، فعاد من هذه الغزوة وقد أثرّ على معنويات الروم أسوأ التأثير ، إذ أصبحت حتى عاصمتهم مهـــدّدة بالغزو . وعاد معاوية بعد عام لغزو (حصن المرأة) من أرض الروم بناحية (مَلَطْيَة)[٢٥] ؛ وهكذا استمر تعرض

---

(٢٢) البلاذري (١٥٧–١٥٨) والطبري (٣/ ٣١٥–٣١٩) وابن الاثير (٣ /٣٦–٣٧) .
(٢٣) الطبري (٣ /٣٣٨–٣٤١) وابن الاثير (٣ /٤٤–٤٥) .
(٢٤) الطبري (٣ /٣٥٠) وابن الاثير (٣ /٥٠) .
(٢٥) مليطة : بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام . راجع التفاصيل في معجم=

المسلمين بالروم في عقر دارهم مما أدى الى تحطيم معنويات الروم من جهة ورفع معنويات المسلمين من جهة أخرى .

٥ ـ شرقاً وغرباً :

توقّف الفتح الاسلامي في أواخر أيام عثمان بن عفان وفي أيام الفتنة الكبرى بين علي بن أبي طالب ومعاوية ، فأصبحت البلاد الاسلامية مهدّدة بالغزو من الروم .

ولما ولي معاوية الخلافة ، أستأنف الفتح في أيامه ، فسارت رايات الفاتحين شرقاً وغرباً : شرقاً أعيد فتح (سِجِسْتان) وفتحت (كابل) ، كما اجتازت رايات المسلمين نهر (جَيْحُون) ، ففتحت (بُخارى) و (سَمَرْقند) و (تِرْمِذ)[٢٦]. وغرباً افتتح عُقبة بن نافع شمالي (إفريقية) واختط مدينة (القَيْرَوَان) وسكن المسلمون إفريقية وأسلم البربر وكانوا نصارى ، وفشا الاسلام الى أن اتّصل ببلاد السودان وبالمحيط الأطلسي[٢٧] .

وفي الشمال حاصر المسلمون القسطنطينية ، وهناك مات أبو أيوب الأنصاري صاحب رَحْل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقبره هناك محفوظ مشهور الى اليوم[٢٨] .

لقد فُتحت كل هذه البلاد الشاسعة في أيام خلافته ، وذلك لأن العالم الاسلامي كان يعيش في استقرار نسبي لا تشوبه إلا ثورات الخوارج بين

= البلدان (٨/ ١٥٠) وانظر الطبري (٣/ ٣٦٠) وابن الاثير (٣/ ٥٢) حول غزوة معاوية لحصن المرأة .

(٢٦) انظر ابن الاثير (٣/ ١٧٤) وجوامع السيرة لابن حزم (٣٤٨ -٣٤٩).

(٢٧) جوامع السيرة لابن حزم ص (٣٤٤) وابن الاثير (٣/ ١٨٤) وابو الفدا (١/ ١٨٧).

(٢٨) جوامع السيرة لابن حزم (٣٤٥) وابن الأثير (٣/ ١٨١-١٨٢) وأبو الفدا (١/ ١٨٦) .

حين وآخر ، وهكذا فان الوحدة قوة والتفرقة خراب .

لقد مهّد معاوية بهذه الفتوحات للمسلمين من بعده ، أن يفتحوا الأندلس غرباً والهند شرقاً وتركستان كلها شمالاً ، وبذلك اسدى للفتح الاسلامي أعظم الخدمات .

الانسان :

كان معاوية موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم ، لذلك جعله أحد كتّابه (٢٩)، ودعا له بقوله : « اللهم اجعله هادياً مهدياً » (٣٠) وبقوله : « اللهم علّم معاوية الكتاب والحساب وقه العذاب » (٣١) .

وعن معاوية قال : « اتبعت رسول الله صلى الله عليه وسلم بوَضوء ، فلما توضأ نظر الي فقال : يا معاوية ! إن وليت أمراً فاتق الله واعدل ؛ فما زلت أظن أني مبتلى بعمل » (٣٢) ، وقال معاوية : « ما زلت أطمع في الخلافة مذ قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن وليت فأحسن » (٣٣)

وكان موضع ثقة أبي بكر الصديق أيضاً ، إذ ولاه جيشاً من جيوش المسلمين وبعثه الى أرض الشام مدداً لأخيه يزيد (٣٤) .

وكان موضع ثقة عمر الفاروق ، إذ ولاّه الشام بعد موت أخيه يزيد ؛

---

(٢٩) الطبري (٢/٤٢١) وابن الاثير (٢/١١٩) وأبو الفدا (١/١٥٤) وطبقات ابن سعد (٧/٤٠٦) والاصابة (٦/١١٣) وأسد الغابة (٤/٣٨٥) والاستيعاب (٣/١٤١٦) وجوامع السيرة لابن حزم (٢٦) وشذرات الذهب (١/٦٥) والمعارف (٣٤٩) .

(٣٠) رواه الترمذي ، انظر مفتاح كنوز السنة للدكتور فنسنك ص (٤٧٦) وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٣٠) وأسد الغابة (٤/٣٨٦) .

(٣١) رواه الامام أحمد بن حنبل . انظر مفتاح كنوز السنة للدكتور فنسنك ص (٤٧٦) وتاريخ الخلفاء للسيوطي (١٣٠) .

(٣٢) الاصابة (٦/١١٣) .

(٣٣) أسد الغابة (٤/٣٨٧) .

(٣٤) ابن الاثير (٢/١٥٥) .

فقد بلغ عمر وفاة يزيد ، فقال لأبي سفيان : « أحسن الله عزاءك في يزيد رحمه الله » ؛ فقال له أبو سفيان : « مَن وليت مكانه ؟ » ، فقال : « أخاه معاوية » ، فقال أبو سفيان : « وصلتك رحم يا أمير المؤمنين » (٣٥) .

وكان موضع ثقة عثمان بن عفان ، إذ أقرّه وجمع له الشام جميعه (٣٦) ، فأخلص له معاوية المشورة والنصح (٣٧) .

لقد كان معاوية رجل دولة يحرص على الضبط والنظام ، وقد عمل على تطوير الحكم فنظّم الشرطة وجعل عليها مسؤولاً يدير شؤونها ويسهر على أمر قيامها بواجباتها ، وكان له كاتب خاص وحرس خاص وحجّاب خاصون ، وكان له قضاة يقضون بين الناس ، وكان أول من اتخذ ديوان الخاتم وحزم الكتب ولم تكن تحزم من قبل (٣٨) ، وأول من اتخذ المقصورة بالجامع ، وأول من استخلف بالبيعة (٣٩) وأول خليفة بايع لولده وأول من وضع البريد (٤٠) .

وكان من دهاة العرب المشهورين ، بل كان داهية العرب رأياً وحزماً ولساناً ، وكان له حلم ودهاء وجود بالمال ، قال يوماً : « لا أضع سيفي حيث يكفيني سوطي ، ولا أضع سوطي حيث يكفيني لساني ، ولو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت » ؛ فقيل : وكيف يا أمير المؤمنين ؟! قال : « إذا مدّوها خلّيتها ، وإذا خلّوها مددتها » . وكان إذا بلغه عن رجل ما يكره قطع لسانه بالعطاء ، وربما احتال عليه فبعث به في الحروب

---

(٣٥) أسد الغابة (٤/٣٨٥-٣٨٦) والاستيعاب (٣/١٤١٧)

(٣٦ أسد الغابة (٤/٣٨٦) والاصابة (٦/١١٣) وطبقات ابن سعد (٧/٤٠٦) .

(٣٧) أنظر الامامة والسياسة لابن قتيبة (١/٢٩-٣٢) .

(٣٨) الطبري (٤/٢٤٣-٢٤٤) وابن الاثير (٤/٤) .

(٣٩) تاريخ الخلفاء للسيوطي (١٣٤) .

(٤٠) أبو الفدا (١/١٨٩) .

وقدّمه (٤١) .

ومن دهائه ، أن عمر لما دخل الشام ورأى معاوية قال : « هذا كسرى العرب » ، وكان قد تلقاه معاوية في موكب عظيم ، فلما دنا منه قال : « أنت صاحب الموكب العظيم ؟ ! » قال : « نعم يا أمير المؤمنين ! » ، قال : « مع ما بلغني من وقوف ذوي الحاجات ببابك ! » ، قال : « مع ما يبلغك من ذلك ! » ، قال : « ولم تفعل هذا !؟ » ، قال : « نحن بأرضٍ ، جواسيسُ العدو بها كثيرة ، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما نرهبهم به ، فأن أمرتني فعلت ، وان نهيتني انتهيت » ، فقال عمر : « ما سألتك عن شيء إلاّ تركتني في مثل رواجب الضرس ! إن كان قلتَ حقاً إنه لرأي أريب ، وإن كان باطلاً إنه لخدعة أديب ! » ، قال : « فمرني يا أمير المؤمنين » ، فقال عمر : « لا آمرك ولا أنهاك ! » ، فقال عمرو ابن العاص : « ما أحسنَ ما صدّر الفتى عما أوردته فيه ! » فقال عمر : « لحسن مصادره وموارده جشّمناه ما جشّمناه ! » .

وذُم معاوية عند عمر يوماً ، فقال : « دعونا من ذم فتى قريش : من يضحك في الغضب ولا يُنال ما عنده إلا على الرضا ، ولا يؤخذ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه (٤٢) .

وكان يضرب بحلمه المثل : كان الرجل يقول لمعاوية : « والله لتستقيمن بنا يا معاوية أو لنقوّمنك ! » ، فيقول : « بماذا ؟ » ، فيقول : بالخشب ! ! ، فيقول : « إذن نستقيم ! » وقال قبيصة بن جابر : « صحبت معاوية ، فما رأيت رجلاً أثقل حلماً ولا أبطأ جهلاً ولا أبعد أناة منه » (٤٣) .

ودخل شاب من قريش على معاوية فأغلظ عليه ، فقال له : « يا ابن

---

(٤١) اليعقوبي (٢١٢/١) .

(٤٢) الاستيعاب (١٤١٧/٣–١٤١٨) .

(٤٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٣٠) وانظر شذرات الذهب (٦٥/١) .

أخي ! أنهاك عن السلطان . إن السلطان يغضب غضب الصبي ويأخذ أخذ الاسد » . قال زياد بن أبي سفيان : « استعملت رجلاً فكثر خراجه فخشي أن أعاقبه ففرّ الى معاوية ، فكتبت اليه : إن هذا أدب سوء لمن قِبَلي ، فكتب اليّ : إنه ليس ينبغي لي ولا لك أن نسوس الناس بسياسة واحدة : أن نلين جميعاً فتمرح الناس في المعصية ، ولا أن نشد جميعاً فنحمل الناس على المهالك ؛ ولكن تكون للشدة والفظاظة ، وأكون للين والرأفة »[٤٤] .

وقال معاوية : « إني لأرفع نفسي من أن يكون ذنب أعظم من عفوي ، وجهل أكبر من حلمي ، وعورة لا أواريها بستري ، وإساءة أكثر من إحساني » . وقال لعبد الرحمن بن الحكم : « يا ابن أخي . إنك قد لهجت بالشعر ، فإياك والتشبب بالنساء فتُعِر الشريفة ؛ والهجاء ، فَتَعُرْ كريماً وتستثير لئيماً ؛ والمدح ، فانه طعمة الوقاح ؛ ولكن افخر بمفاخر قومك وقل من الأمثال ما تزيّن به نفسك وتؤدّب به غيرك » . وسئل معاوية أي الناس أحب اليك ؟ قال : « أشدهم لي تحبيباً الى الناس » . وقال : « العقل والحلم والعلم أفضل ما أعطي العباد ، فاذا ذكّر ذكر ، وإذا أُعطي شكر ، واذا ابتلي صبر ، وإذا غضب كظم ، وإذا قدر غفر ، وإذا اساء استغفر ، وإذا وعد أنجز » . واغلظ لمعاوية رجل فأكثر ، فقيل له : أتحلم عن هذا ؟! فقال : « إني لا أحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين ملكنا »[٤٥] .

والحق إنه كان حليماً حازماً داهية عالماً بسياسة الملك ، وكان حلمه قاهراً لغضبه وجوده غالباً على منعه ، يصل ولا يقطع[٤٦] ؛ لذلك قال عنه عمر بن الخطاب : « تذكرون كسرى وقيصر ودهاءهما وعندكم معاوية ؟! »[٤٧]

---

(٤٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص(١٣٥) .
(٤٥) الطبري (٤ /٢٤٩ –٢٤٩).وابن الاثير (٤ /٥) .
(٤٦) ابو الفدا (١ / ١٨٨)
(٤٧) الطبري (٤/٢٤٤) .

وكان عبد الله بن العباس يقول عنه : « ما رأيت أحداً أخلق للملك من معاوية : ان كان يرد الناس منه على أرجاء واد رحب »[٤٨] ... وقال ابن عمر : « ما رأيت أحداً بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أسود[٤٩] من معاوية » ، فقيل له : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ؟؟ ! ! فقال : « كانوا والله خيراً من معاوية وأفضل ، ومعاوية أسود »[٥٠] .

وكان ابن عباس يقول عنه : « إنه فقيه » ؛ إذ أوتر معاوية بعد العشاء بركعة وعنده مولى لابن عباس ، فأتى ابن عباس وأخبره بذلك فقال : « دعه فانه قد صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم » . وقيل لابن عباس : هل لك في أمير المؤمنين معاوية ، فانه ما أوتر الا بواحدة ، فقال : « إنه فقيه »[٥١]، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة حديث وثلاثة وستين حديثاً[٥٢] كما كان معدوداً من أصحاب الفتيا من الصحابة[٥٣] .

وعلى الرغم من فضله ومزاياه الرفيعة ، فقد نازع علي بن أبي طالب الخلافة ، فلم يبايع علياً ثم حاربه واستقل بالشام ، ثم أضاف لها مصر ثم تسمى بالخلافة بعد الحَكَمَيْن ، ثم استقل بالملك لما صالح الحسن بن علي ، فسمي ذلك العام : عام الجماعة[٥٤] ، إذ لم يكن أحد أحق بالخلافة في زمان علي من علي كما قال الامام أحمد بن حنبل[٥٥] ؛ فكان من آثار الفتنة الداخلية التي حدثت بين المسلمين إراقة كثير من دماء المسلمين

---

(٤٨) الطبري (٤/٢٤٩) .
(٤٩) أسود : من السيادة ، أي فيه سمات السيادة والملك .
(٥٠) أسد الغابة (٤/٣٨٩) .
(٥١) فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٧/٨١) والاصابة (٦/١١٣) .
(٥٢) اسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد لابن حزم – ملحق بجوامع السيرة ص (٢٧٧) وتاريخ الخلفاء للسيوطي (١٣٠) .
(٥٣) اصحاب الفتيا من الصحابة لابن حزم – ملحق بجوامع السيرة ص (٣٢٠) .
(٥٤) الاصابة (٦/١١٣) .
(٥٥) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٣٣) .

وتوقف الفتح الاسلامي وطمع أعداء الاسلام بالمسلمين ، فزحف قيصر الروم في جموع كثيرة وخلق عظيم على بلاد الشام ، فخاف معاوية أن يشغله ذلك عما يحتاج الى تدبيره وإحكامه ، فوجّه اليه فصالحه على مائة الف دينار ، فكان معاوية أول من صالح الروم ؛ فلما استقام الأمر له أغزى أمراء الشام على الصوائف ، فسبوا في بلاد الروم سنة بعد سنة ، فطلب صاحب الروم الصلح على أن يضعف المال فلم يجبه معاوية الى طلبه (٥٦) .

لقد كان طويلاً أبيض أجلح (٥٧) ، جهم الوجه جاحظ العين وافر اللحية عريض الصدر وافر الاليتين قصير الساقين والفخذين (٥٨) ، وكان يعتني بملبسه ومأكله (٥٩) ، وكان يصفرّ لحيته فتصير وكأنها الذهب (٦٠) .

ولما حضرته الوفاة قال لابنه : « صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج لحاجة فأتبعته بأداوة فكساني أحد ثوبيه الذي كان على جلده ، فخبأته لهذا اليوم . وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أظفاره وشعره ذات يوم ، فأخذته وخبأته لهذا اليوم . فاذا أنا مت فاجعل ذلك القميص دون كفني مما يلي جلدي ، وخذ ذلك الشعر والاظفار فاجعله في فمي وعلى عيني ومواضع السجود مني ، فان نفع شيء فذاك ، والا فان الله غفور رحيم » . وقد توفي معاوية بدمشق في رجب لأربع ليال بقين منه سنة ستين للهجرة (٦١) ، وكان عمره خمساً وسبعين سنة (٦٢) أي أنه ولد سنة

---

(٥٦) اليعقوبي (٢/١٩٣) .
(٥٧) اجلح : هودج ما له رأس مرتفع ، وسطح لم يحجز بجدار . يقصد : انه كان قصير الرقبة.
(٥٨) انظر الاصابة (٦/١١٣) واليعقوبي (٢/٢١٣) .
(٥٩) الاصابة (٦/١١٤) .
(٦٠) الاستيعاب (٣/١٤٢٠) .
(٦١) الاستيعاب (٣/١٤١٩–١٤٢٠) وانظر شذرات الذهب (١/٦٥) والمعارف (٣٤٩)
(٦٢) أبو الفدا (١/٦٨٨) والطبري (٤/٢٤٠) . وفي المعارف ص (٣٤٩) : إنه توفي وهو ابن اثنتين وثمانين سنة .

خمس عشرة قبل الهجرة (٦٠٨ م) وأوصى بنصف ماله يرد الى بيت المال، كأن أراد أن يطيب له الباقي، لأن عمر قاسم عمّاله.

ولما مات معاوية خرج الضحاك بن قيس حتّى صعد المنبر وأكفان معاوية على يديه تلوح، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن معاوية كان عود العرب وحدّ العرب، قطع الله عز وجل به الفتنة وملّكه على عباده وفتح به البلاد. الا انه قد مات، فهذه أكفانه فنحن مدرجوه فيها ومدخلوه قبره ومخلّون بينه وبين عمله، ثم هو البرزخ الى يوم القيامة، فمن كان منكم يريد أن يشهده فليحضُر عند الأولى» (٦٣). وقد توفي معاوية بدمشق ودفن بها، وبذلك مات أول ملوك العرب بعد الاسلام بعد أن أمضى في الشام عشرين سنة أميراً وعشرين سنة خليفة (٦٤).

لقد ادركت خلافة معاوية جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزعوا يداً من طاعة ولا فارقوا جماعة، وكان زيد بن ثابت يأخذ العطاء من معاوية (٦٥).

ووفد عليه المسوّر بن مخرمة، فلما دخل عليه قال له معاوية: «ما فعل طعنك على الأئمة يا مسوّر؟»؛ فقال: «دعنا من هذا وأحسِن فيما قدِمنا له». قال: «والله لتكلمن بذات نفسك»، فلم يدع المسوّر شيئاً يعيبه عليه إلاّ بيّنه له. فقال معاوية: «لا أتبرأ من الذنوب، فما لك يا مسوّر ذنوب تخاف أن تهلك إن لم يغفر الله لك؟!»، فقال المسوّر: «بلى»؛ فقال معاوية: «فما جعلك أحق أن ترجو المغفرة مني؟ فوالله لما آلي الاصلاح بين الناس وإقامة الحدود والجهاد في سبيل الله والأمور العظام التي لست أحصيها ولا تحصيها أكثر مما تلي، وإني لعلى دين يقبل

---

(٦٣) الطبرى (٤/٢٤٢) وأسد الغابة (٤/٣٨٧).
(٦٤) الاستيعاب (٣/١٤١٨).
(٦٥) الاستيعاب (٣/١٤٢٠).

الله فيه الحسنات ويعفو عن السيئات . والله لعلى ذلك ما كنت لأُخيّر بين الله وبين ما سواه إلا اخترت الله على ما سواه » .

ولم يجلد عمر بن عبد العزيز سوطاً في خلافته إلا رجلاً شتم معاوية عنده ، فجلده ثلاثة أسواط (٦٦) .

ومرّ عبد الملك بن مروان بقبر معاوية ، فوقف عليه وترحّم ، فقال رجل : قبر من هذا ؟ فقال : « قبر رجل كان والله فيما علمته ينطق عن علم ويسكت عن فهم . إذا أعطى أغنى ، وإذا حارب أفنى ، ثم عجّل له الدهر ما أخّره لغيره ممن بعده .. هذا قبر أبي عبد الرحمن بن معاوية » (٦٧) .

القائد :

كانت سيرة معاوية إنساناً ولا تزال وستبقى موضع اختلاف بين محبيه ومبغضيه ، ولكن سيرته قائداً هي موضع تقدير وإعجاب الناس جميعاً ، على الرغم من أن سيرته إنساناً طغت على سيرته قائداً ، فضاعت فتوحاته العظيمة في خضم أعماله السياسية .

ولست أشك أن حسناته في الفتح ، تضع عن كاهله كثيراً من سيئاته في السياسة ؛ ولو أن معاوية اقتصر على أعماله في الجهاد والفتح ، لأصبح معدوداً من أعاظم قادة الفتح الاسلامي .

فما هي مزاياه قائداً ؟؟

قال معاوية : « أعنت على علي بثلاث : كان رجلاً ربما أظهر سرّه ،

---

(٦٦) الاستيعاب (٣/١٤٢١-١٤٢٢) .

(٦٧) ابن الاثير . وانظر بعض اخباره في العقد الفريد (٣/١٢٥-١٣٣) . وسئل الامام احمد بن حنبل . « أيما أفضل ، معاوية أو عمر بن عبدالعزيز » ؟ ، فقال : « لغبار لحق بأنف جواد معاوية بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم خير من عمر بن عبدالعزيز » انظر شذرات الذهب (١/٦٥) .

وكنت كتوماً لسرّي ؛ وكان في أخبث جند وأشدّه خلافاً عليه ، وكنت في أطوع جند وأقله خلافاً عليّ ؛ ولما ظفر بأصحاب الجمل لم أشك أن بعض جنده سيعدّ ذلك وهناً في دينه ، ولو ظفروا به كان وهناً في شوكته ؛ ومع هذا فكنت أحبّ الى قريش منه ، لأني كنت أعطيهم ويمنعهم ، فكم سبب من قاطع الي ونافر عنه »[68] .

هذا الكلام يعطي فكرة واضحة عن بعض سمات قيادة معاوية ، فقد كان كتوماً لا يبيح بنواياه لأحد ، فيبقى خصمه في جهل مطبق لنواياه . إن كشف نوايا الخصم من أهم عوامل إعداد الخطط المناسبة لاحباطها ، لذلك نصت الكتب العسكرية على : « أن الكتمان من أهم عوامل المباغتة أهم مبادىء الحرب » .

ولا أشك أن تمتّع معاوية بمزية الكتمان سرت بالعدوى الى نفوس رجاله ، فأصبحوا يقدّرون أهمية الكتمان ، ولا يسألون عن أشياء ليست من اختصاصهم ؛ فقد اجتمع الحكمان أبو موسى الأشعري عن علي بن أبي طالب ورجاله ، وعمرو بن العاص عن معاوية ورجاله ، وكان مع أبي موسى الأشعري عبدالله بن عباس في أربعمائة رجل من أصحاب علي يصلي بهم ويلي أمورهم ؛ وكان عمرو بن العاص في أربعمائة رجل من أهل الشام ، فكان عمرو إذا أتاه كتاب من معاوية لا يدري هو بما جاء فيه قبل أن يقرأه ولا يسأله أهل الشام عن شيء ، وكان أهل العراق يسألون ابن عباس عن كل كتاب يصله من علي ، فان كتمهم ظنوا به الظنون ، فقال لهم ابن عباس : « أما تعقلون ؟! أما ترون رسول معاوية يجيء لا يعلم أحد بما جاء به ولا يُسمع لهم صياح ، وانتم عندي كل يوم تظنّ فيّ الظنون »[69] .

---

(٦٨) الاستيعاب (١٤٢٢/٣) .
(٦٩) ابن الاثير (١٣١/٣) .

وكان للاختلافات الناشبة في صفوف جيش عليٍ ، أثر بالغ على تردي ضبطه وطاعته ، ولسنا بصدد تعداد أسباب تلك الاختلافات إذ ليس هذا البحث ميداناً مناسباً لها ، ولكنني أعتقد أن لمعاوية ضلعاً في هذه الاختلافات ، فقد كان يكاتب بعض رجالات أهل الكوفة سراً ويبذل لهم المال ويغدق لهم الوعود ليعاونوه سراً أو جهراً على علي بن أبي طالب ، كما كان يبذل قصارى جهده لإلقاء الشك في نفس علي في اخلاص بعض رجاله له ، فقد أرسل عليٌ قيس بن سعد الذي كان صاحب راية الأنصار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم فتح مكة أميراً على مصر ، وكان من ذوي الرأي والبأس ؛ فلما وصل مصر خافه معاوية وحاول إغراءه بالوعد وإخافته بالوعيد فلم ينل منه شيئاً ، إذ كتب الى معاوية : « أما بعد . فالعجب من اغترارك بي وطمعك فيّ واستسقاطك إياي !! اتسومني الخروج عن طاعة أولى الناس بالامارة وأقولهم بالحق وأهداهم سبيلاً وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ... الخ » فلما رأى معاوية أنه لم تنجح في سعد حيلة ، كاد منه من قبل علي ، فقال لأهل الشام : « لا تسبّوا قيس بن سعد ولا تدعوا الى غزوه ، فانه لنا شيعة . قد تأتينا كتبه ونصيحته سراً ! ألا ترون ما يفعل باخوانكم الذين عنده من أهل (خَرِبْتَا) (٧٠) يجري عليهم أعطياتهم وأرزاقهم ويحسن اليهم » ؛ وافتعل معاوية كتاباً عن قيس اليه بالطلب بدم عثمان والدخول معه في ذلك ، وقرأه على أهل الشام ، فبلغ ذلك علياً فأعظمه وأكبره ، ثم عزله ، فخسر بذلك أعظم أنصاره عقلاً وشجاعة . وقدم قيس الى علي بعد أن أمضى وقتاً بالمدينة المنورة ، فعلم عليٌ من قيس أنه كان يقاسي أموراً عظاماً من مكايدة معاوية (٧١) ، وأنه كان ضحية من ضحايا تلك

---

(٧٠) خربتـا : كورة من كور مصر بالقرب من الاسكندرية . انظر معجم البلـدان (٤١٤/٣) .

(٧١) ابن الاثير (١٠٦/٣) ،وقد غضب قيس لعزله فخرج من مصر مقبلا الى المدينة=

المكايد !

تُرى كم من الرجال استطاع معاوية أن يحرم علياً من معاونتهم بمثل هذه الأقوال ؟

ولم يقتصر معاوية على بثه دعايته لتحطيم معنويات خصومه ، فقد سلّط جهاز دعايته على أهل الشام لرفع معنوياتهم ولجعلهم يقاتلون أهل العراق بضراوة وعن عقيدة وايمان . فقد أشاع بينهم أنهم انما يقاتلون طلباً لدم عثمان بن عفان[٧٢] ، وأن أعداءهم لا يصلُّون[٧٣] فهم يقاتلون تاركي الصلاة ! !

وكان محبوباً من قريش ، لأنه كان يعطيهم بسخاء عطاء من لا يخشى الفقر : أعطى عقيل بن أبي طالب مائة ألف دينار ، وكان قد سأل أخاه علياً ، فقال : « إني محتاج ، وإني فقير ، فاعطني » ؛ فقال علي : « اصبر حتى يخرج عطائي مع المسلمين »[٧٤] .

لقد كان علي يسير على هدى النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء من بعده ، فكان خليفة لا ملكاً . أما معاوية ، فقد كان أول الملوك ، وكان ملكاً لا خليفة . دخل عليه سعد بن أبي وقاص لما استقر له الأمر ، فقال : « السلام عليك أيها الملك » ، فضحك معاوية وقال : « ما كان عليك يا أبا اسحاق لو قلت : يا أمير المؤمنين ؟ ! ! » ، فأجابه سعد : « أتقولها جذلان ضاحكاً ؟ ! والله ما أحب أني وليتها بما وليتها به »[٧٥] .

= فأخافه مروان بن الحكم أمير المدينة، فخرج منها قيس الى علي ، فكتب معاويـة الى مروان يتغيظ عليه ويقول له : « لو أمددت علياً بمائة ألف مقاتل ، لكان أيسر عندي من قيس بن سعد في رأيه ومكانه » .

(٧٢) ابن الاثير (١٢٣/٣) .

(٧٣) ابن الاثير (١٢٤/٣) .

(٧٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١٣٦) .

(٧٥) ابن الاثير (١٦٣/٣) .

لقد كان معاوية إذاً، كتوماً، يؤمن بأن : الحرب خدعة، ويتّخذ كافة الوسائل التي تؤمن له التغلّب على عدوه، وكان محبوباً من قومه، وكان ذكياً يستشير رجاله ويبث عيونه وأرصاده - كل ذلك أدى الى أن تكون خططه سليمة صائبة. وكان شجاعاً مقداماً، أقدم على خوض معارك قاسية في البحار ؛ وكان ذا إرادة قوية وشخصية نافذة.

وعند تطبيق أعماله العسكرية على مبادىء الحرب، نجد أنه (يختار مقصده ويديمه) و (يتعرّض) بخصمه و (يباغته)، وللنجاح بالتعرض والمباغتة (يحشد قوته) ويحرص على (أمنها) و (يديم معنوياتها) ويؤمن لها (أمورها الادارية).

إنه كان قائداً ممتازاً من كافة الوجوه.

معاوية في التاريخ :

يردد التاريخ آراء متضاربة حول معاوية الانسان، ولكن التاريخ يجمع على تقدير معاوية القائد.

فقد شهد أكثر معارك فتح أرض الشام، وفتح بنفسه (عِرْقَة) و (قَيْسَارية) و (عَسْقَلان) و (قبرس)، وقاد غزوة (ذات الصواري) وغزوة مضيق (القسطنطينية).

وفُتح في أيامه أكثر شمالي (إفريقية) وأكثر بلاد السودان وفتحت (كابل) وبعض أراضي (السند) و (بخارى) و (سمرقند) و (ترمذ)، كما فتحت جزيرة (أرْوَاد) [٧٦] و (رُودِس) [٧٧] كما حوصرت

(٧٦) أرواد : جزيرة في البحر غزاها المسلمون وفتحوها سنة ٥٤ هـ. راجع التفاصيل في معجم البلدان (١/٢٠٧).

(٧٧) رودس : جزيرة للروم مقابل الاسكندرية على ليلة منها في البحر. راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤/٣٠).

القسطنطينية ، وأديم زخم الهجوم على الروم بصورة خاصة صيفاً وشتاءً ! !

تلك فتوحات عظيمة ، تجعله ثاني الخلفاء فتحاً بعد عمر بن الخطاب من وجهة سعة المناطق المفتوحة براً ، وأول الخلفاء فتحاً من وجهة سعة المناطق المفتوحة بحراً .

فهل تشفع له هذه الفتوحات التي نشرت الاسلام في بلاد شاسعة شرقاً وغرباً وفي البر والبحر عند من يُنحي باللوم على سيرته إنساناً ، أم أن كل هذه الأعمال المجيدة غير كافية لتخفيف غلواء لومه ونقده عند هؤلاء ؟!.

رضي الله عن الصحابي الجليل ، الحليم الداهية ، القائد الفاتح ، معاوية ابن أبي سفيان الأموي .

قادة فتح مصر

١ – عمرو بن العاص السهمي [١]

٢ – الزبير بن العوام الأسدي

٣ – عبد الله بن حذافة السهمي

٤ – خارجة بن حذافة العدوي

٥ – عمير بن وهب الجمحي

٦ – عقبة بن عامر الجهني

٧ – عبادة بن الصامت الخزرجي

---

(١) انظر ترجمته في هذا الكتاب ص (١٢٣–١٦٣) .

الزُّبَير بْن العوَّام القرشي الأسدي

قائد جيش المدد لفتح مصر وفاتح حصن بابليون (١) والساعد الايمن لفاتح مصر

« لكن نبي حواري (٢) ، وحواريّ الزبير »
(محمد رسول الله)

نسبه وايامه الاولى :

هو الزُبَيْر بن العَوام بن خُوَيْلد بن أسَد بن عبد العُزّى بن قُصّي القُرشي الأسدي (٣) ، ويكنى : أبا عبدالله (٤) .

وأمه : صفية بنت عبدالمطلب بن هاشم عمة رسول الله صلى الله عليه

---

(١) بابليون : اسم عام لديار مصر بلغة القدماء ، وقيل هو اسم لموضع الفسطاط خاصة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٢٠) و (٦/٣٧٩) ، وهذا الحصن هو موضع مدينة الفسطاط يقع في القاهرة القديمة ولا تزال اطلاله باقية حتّى اليوم .

(٢) حواري : المخلص ، الخليل ، الناصر ، الذي تصلح له الخلافة . انظر الاستيعاب (٢/٥١٢-٥١٣) والحواري : الناصر . انظر (٥/١٦١) من شرح الامام النووي على صحيح الامام مسلم والرياض النضرة (٢/٣٤٣) . وسمي الحواريون : لبياض ثيابهم . والحواري هو الغسال بالنبطية لكنهم يجعلون الحاء هاء . والحواري : هو الذي يصلح للخلافة ، وهو الوزير ، وهو الناصر ، وهو الخالص ، وهو الخليل . انظر فتح الباري بشرح البخاري (٧/٦٤) .

(٣) طبقات ابن سعد (٣/١٠٠) والاصابة (٣/٥) وأسد الغابة (٢/١٩٦) والاستيعاب (٢/٥١٠) .

(٤) المعارف ص (٢١٩) وأسد الغابة (٢/١٩٦) والرياض النضرة (٢/٣٥٢) والبدء والتاريخ (٥/٨٣) .

وسلم[٥]، فهو ابن عمة النبي صلى الله عليه وسلم وابن أخي خديجة بنت خويلد أم المؤمنين[٦].

وأبوه: العوام بن خويلد، قتل يوم (الفُجّار) كما قتل جد الزبير لأبيه خويلد في الجاهلية[٧]؛ وكان العوام أبو الزبير خياطاً[٨].

وكان للزبير خمسة أخوة، السائب وأمه صفية بنت عبدالمطلب، وقد شهد (أُحُداً) والخندق، وقتل يوم اليمامة. وعبدالرحمن وأسود وأصرم ويعلى، ولم يعقّب أحد منهم غير الزبير[٩].

يجتمع نسب الزبير ونسب رسول الله صلى الله عليه وسلم في قُصي ابن كلاب، وينسب الى أسد بن عبد العُزّى بن قُصي، فيقال: الأسدي.
وقد قال الزبير لابنه عبد الله: «كانت عندي أمك[١٠] وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم خالتك عائشة، وبيني وبينه من الرحم ما قد علمت، وعمة أبي أم حبيبة بنت أسد جدّته، وأمي عمته، وأمه آمنة وجدتي هالة بنت وهب بن عبد مناف، وزوجته خديجة بنت خويلد عمّتي»[١١].

وقد تربى الزبير منذ نعومة أظفاره تربية خشنة عنيفة، فكانت أمه تضربه ضرباً شديداً ليتعود الحياة القاسية فيلبي داعي الحرب ولا يَقَرّ في بيته كالنساء. وقد كسر الزبير يد غلام مثله يوماً فكان ذلك مدعاة لفخر أمه باقدامه وشجاعته؛ وقد قاتل بمكة وهو غلام رجلاً فكسر يده وضربه ضرباً شديداً، فكان ذلك مدعاة لفخر أمه بشجاعته واقدامه أيضاً[١٢].

---

(٥) المعارف ص (١٢٨ و٢١٩) والاستيعاب (٥١٠/٢) وخلاصة تهذيب الكمال ص (١٠٣) والبدء والتاريخ (٨٣/٥).
(٦) أسد الغابة (١٩٦/٢) والبدء والتاريخ (٨٣/٥). (٧) المعارف ص (٢١٩).
(٨) المعارف ص (٥٧٥). (٩) المعارف ص (٢٢٠).
(١٠) هي اسماء بنت أبي بكر الصديق أخت عائشة أم المؤمنين. وكانت أسماء تدعى: ذات النطاقين.
(١١) الرياض النضرة (٣٥٢/٢).
(١٢) طبقات ابن سعد (١٠١/٣) والاصابة (٥/٣).

لقد نشأ الزبير في بيت عريق رفيع العماد من قريش معروف بشجاعة رجاله أباً عن جد ، وتربى تربية تنمّي فيه الشجاعة والاقدام وتؤهله لتحمل مسؤولياته كاملة في القتال .

مع النبي :

١ – كان أبو بكر رجلاً مؤلفاً لقومه مُحَبّباً سهلاً ، وكان رجلاً تاجراً ذا خلق ومعروف ، فجعل يدعو الى الله والى الاسلام مَن يثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس اليه ؛ فأسلم بدعائه : عثمان بن عفان والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله ؛ فجاء بهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلموا وصلّوا [١٣] ؛ وكان إسلامه بعد أبي بكر رابعاً أو خامساً [١٤] بين الرجال الاحرار ، وقد أسلم وهو ابن ست عشرة سنة [١٥] ؛ فعلّقه عمه في حصير ودخّن عليه ليرجع الى الكفر ، فكان يقول : « لا أكفر أبداً » [١٦] .

---

(١٣) سيرة ابن هشام (٢٦٨/١) وعيون الاثر (٩٤/١) والسيرة الحلبية (٣١٢/١) .

(١٤) طبقات ابن سعد (١٠٢/٣) والرياض النضرة (٣٥٣/٢) وصفة الصفوة (١٣٣/١) والبدء والتاريخ (٨٣/٥) وتهذيب ابن عساكر (٣٥٧/٥) وذيل المذيل للطبري ص (١١) وأسد الغابة (١٩٧/٢) . وانظر تسلسل الذين أسلموا من الرجال الاحرار في جوامع السيرة ص (٤٥–٤٦) وهم : ١ – أبو بكر ٢ – عمرو بن عبسة السلمي ٣ – خالد بن سعيد ابن العاص ٤ – عثمان بن عفان ٥ – الزبير بن العوام . فهو خامس من أسلم ، وهذا بالطبع تسلسل الرجال الاحرار فقط ، ولا يشمل النساء ولا الصبيان ولا الموالي وغير الاحرار .

(١٥) طبقات بن سعد (١٠٢/٣) وذيل المذيل للطبري ص (١١) وحلية الاولياء (٨٩/١) والرياض النضرة (٣٥٢/٢) . وهناك اختلاف في سنه عند اسلامه . انظر الاصابة (٥/٣) وأسد الغابة (١٩٦/٢) والاستيعاب (٥١٠/٢) ، ونرجح ما ذكرناه أعلاه لاقتصار أكثر المصادر على ذكره وحده فقط ، ولذكره في المصادر الاخرى مع غيره ، ولان الزبير عندما أسلم عد من الرجال ولم يذكر بين من أسلم من الصبيان ، والرجل لا يكون عمره أقل من ست عشرة سنة .

(١٦) الاصابة (٥/٣) وحلية الاولياء (٨٩/١) وصفة الصفوة (١٣٢/١) وتهذيب ابن عساكر (٣٥٦/٥) والبدء والتاريخ (٨٣/٥) .

٢ ـ هاجر الزبير الى الحبشة الهجرتين [١٧] حيث لقي المسلمون فيها رعاية خاصة من النجاشي ملك الحبشة . وعندما كان المسلمون هناك ، نازع النجاشيَّ رجلٌ من الحبشة ، فحزن المسلمون لذلك حزناً شديداً . ودارت بين جيش النجاشي وجيش عدوه رحى معركة حامية ، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من رجل يخرج حتى يحضر وقعة القوم ، ثم يأتينا بالخبر ؟ » ، فقال الزبير : « أنا » وكان من أحدث القوم سناً ؛ فنفخوا له قربة فجعلها في صدره ، ثم سبح عليها حتى خرج الى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم ، ثم انطلق حتى حضرهم ! وانتصر النجاشي على عدوه ، فعاد الزبير الى المسلمين ليبشرهم بهذا النصر قائلاً : « ألا أبشروا ، فقد ظفر النجاشي وأهلك الله عدوّه ، ومكّن له في بلاده » ، ففرح المسلمون المهاجرون بذلك فرحاً شديداً » [١٨] .

وعاد الزبير من الحبشة الى مكة حين بلغ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين هاجروا الى أرض الحبشة ، اسلام أهل مكة ؛ فلما دنوا من مكة علموا ان خبر اسلام قريش الذي بلغهم عار عن الصحة ؛ فلم يدخل مكة أحد من المسلمين العائدين الا بجوار أو مستخفياً [١٩] ، فوجدوا البلاء والاذى على المسلمين الذين بمكة ، فصبروا على الاذى الى أن هاجروا من مكة الى المدينة [٢٠] .

وحين آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين في مكة ، آخى بين الزبير وبين عبد الله بن مسعود [٢١] .

---

(١٧) ذيل المذيل للطبري ص (١١) وصفة الصفوة (١٣٢/١) وخلاصة تهذيب الكمال ص (١٠٣) وسيرة ابن هشام (٣٤٤/١) .
(١٨) سيرة ابن هشام (٣٦١/١).
(١٩) سيرة ابن هشام (٣٨٩/١) وعيون الاثر (١٢٠/١) وجوامع السيرة ص (٦٥) .
(٢٠) جوامع السيرة ص (٦٦) .
(٢١) الاستيعاب (٥١١/٢) وأسد الغابة (١٩٧/٢) والاصابة (١٠٤/٣) .

وفي مكة كان الزبير أول من سلّ سيفه في سبيل الله من المسلمين ، فقد أرجف المشركون : « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قتل » ، فأقبل الزبير يشق الناس بسيفه والنبي صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة ؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « ما لك يا زبير ؟! » فقال : « أُخبرت أنك أُخذت ! » فصلى عليه ودعا له ولسيفه [٢٢].

٣ – ولما أذن النبي صلى الله عليه وسلم للمسلمين بالهجرة الى المدينة هاجر الزبير وحده ولم يكن احد من المهاجرين معه [٢٣] ؛ فلما قدم المدينة نزل على المنذر بن محمد بن عقبة بن أُحيَحْة بن الجُلاح [٢٤] بالعُصْبَة [٢٥] ، وآخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين سَلَمة بن سلامة بن وقْش [٢٦] حين آخى بين المهاجرين والانصار [٢٧]. ولما خط النبي صلى الله عليه

(٢٢) الاستيعاب (٢/٥١١) والاصابة (٣/٦) والرياض النضرة (٢/٣٥٤) وصفة الصفوة (١/١٣٢) وتهذيب ابن عساكر (٥/٣٥٧) وحلية الأولياء (١/٨٩) وخلاصة تذهيب الكمال ص (١٠٣).

(٢٣) تهذيب ابن عساكر (٥/٣٥٨).

(٢٤) المنذر بن محمد بن عقبة الانصاري الخزرجي : شهد بدراً وأحداً واستشهد يوم بئر معونة. انظر الاصابة (٦/١٤٠) وأسد الغابة (٤/٤٢٠) والاستيعاب (٤/١٤٥١).

(٢٥) العصبة : موضع بقباء في ضواحي المدينة المنورة. انظر معجم البلدان (٦/١٨٣). وانظر طبقات ابن سعد (٣/١٠٢) وجوامع السيرة ص (٨٩) وسيرة ابن هشام (٢/٩١) حول نزول الزبير على المنذر بن محمد الانصاري الخزرجي.

(٢٦) سلمة بن سلامة بن وقش الانصاري الاشهلي : أبو عوف ، شهد العقبة الاولى والثانية وشهد بدرا والمشاهد بعدها ، وكان يؤم بني عبد الاشهل. ولاه عمر اليمامة ، ومات سنة أربع وثلاثين ، وقيل بل تأخر الى سنة خمس وأربعين وبه جزم الطبري ، ومات وهو ابن أربع وسبعين سنة وهو بالمدينة. انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (٣/٤٣٩) والاصابة (٣/١١٦) وأسد الغابة (٢/٣٣٦) والاستيعاب (٢/٦٤١).

(٢٧) الاستيعاب (٢/٥١١) واسد الغابة (٢/١٩٧) وجوامع السيرة ص (٩٦) وسيرة ابن هشام (٢/١٢٥). وفي طبقات ابن سعد (٣/١٠٢) : أن الرسول صلى الله عليه وسلم آخى بين الزبير وبين طلحة بن عبيد الله في رواية ، وبين الزبير وبين كعب بن مالك في رواية أخرى.

وسلم الدور بالمدينة ، جعل للزبير بَقيعاً [٢٨] واسعاً [٢٩] .

٤ ـ وبدأ الزبير بالمدينة صفحة جديدة لجهاده وجهوده في سبيل الله ، فقد أرسله النبي صلى الله عليه وسلم مع ثلاثة آخرين من أصحابه [٣٠] يتحسسون خبر المشركين من قريش على ماء (بدر) فوجدوا روايا قريش فيها سُقّاؤهم فأخذوهم . واستنطقهم الرسول القائد فعرف منهم مكان قريش وعددهم [٣١] .

وكان مع المسلمين يوم (بدر) فرسان ، أحدهما للزبير [٣٢] ، وكان في هذه المعركة على الميمنة [٣٣] ، وكانت عليه عمامة صفراء معتجراً بها ، وكانت على الملائكة يومئذ عمائم صفر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « إن الملائكة نزلت على سيما الزبير » [٣٤] . وقد قتل الزبير في هذه المعركة عُبيدة بن سعيد بن العاص بن أمية [٣٥] وقتل عمه : نوفل بن خويلد بن أسد [٣٦]

---

(٢٨) البقيع : الموضع الذي فيه أروم الشجر من ضروب شتّى . وهناك بالمدينة بقيع الزبير فيه دور ومنازل . انظر معجم البلدان (٢/ ٢٥٤) .

(٢٩) طبقات ابن سعد (٣/ ١٠٣) .

(٣٠) هم : علي بن أبي طالب وسعد ابن أبي وقاص وبسبس بن عمرو .

(٣١) طبقات ابن سعد (٢/ ١٥) وجوامع السيرة ص (١١٠) وسيرة ابن هشام (٢٥٥/١)

(٣٢) طبقات ابن سعد (٣/ ١٠٣) وجوامع السيرة ص (١١٢) وتهذيب ابن عساكر (٣٨٥/٥) . وفي طبقات ابن سعد (١٤/٢) : وكانت الخيل فرسين ، فرس للمقداد بن عمرو وفرس لمرثد بن أبي مرثد الغنوي .. انتهى . والاول أصح لاجماع كافة المصادر عليه ومنها طبقات ابن سعد أيضاً . وفي سيرة ابن هشام (١٣٢/٢) : أن فرس الزبير كان اسمه : يعسوب .

(٣٣) صفة الصفوة (١٣٢/١) والرياض النضرة (٣٥٥/٢) .

(٣٤) طبقات ابن سعد (٣ / ١٠٣) والاصابة (٣ / ٥) وأسد الغابة (٢ / ١٩٧) والاستيعاب (٢ / ٥١٣) والرياض النضرة (٢ / ٣٥٥) . والاعتجار : لف العمامة على الرأس . والسيما : العلامة .

(٣٥) جوامع السيرة ص (١٤٧) وسيرة ابن هشام (٢/ ٣٥٦) .

(٣٦) جوامع السيرة ص (١٤٨) .

عدا الذين قتلهم من غير المعروفين أو الذين نساهم التاريخ ، حيث قاتل قتالاً رهيباً حتى أحدث فَلّة فلها في سيفه [٣٧] ، وحتى جرح جرحين غائرين [٣٨] .

وشهد غزوة (أُحُد) ، فكان من المعدودين الذين ثبتوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه المعركة بعد فرار المسلمين ، وقد بايع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الغزوة على الموت [٣٩] .

ورأى النبي صلى الله عليه وسلم يوم (أُحُد) رجلاً يقتل المسلمين قتلاً عنيفاً ، فقال : « قم اليه يا زبير » ، فرقى اليه الزبير حتى إذا علا فوقه اقتحم عليه فاعتنقه فأقبلا ينحدران حتى وقعا الى الأرض ، فوقع الزبير على صدره وقتله [٤٠] .

لقد جمع النبي صلى الله عليه وسلم للزبير يوم (أُحُد) أبويه تقديراً لجهاده المشرف ، فقد قال الزبير : « جمع لي الرسول صلى الله عليه وسلم يوم (أحد) أبويه » [٤١] . وقالت عائشة : « كان أبو بكر والزبير ممن استجاب لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح بعد (أحد) » [٤٢] .

وكان الزبير يقاتل الى جانب النبي صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ،

---

(٣٧) فتح الباري بشرح البخاري (٧ / ٢٣٣) . والفلة بفتح الفاء فلها : أي كسر قطعة من حد سيفه .

(٣٨) فتح الباري بشرح البخاري (٧ / ٢٣٣) .

(٣٩) طبقات ابن سعد (٣ / ١٠٤) وصفة الصفوة (١ / ١٣٢) .

(٤٠) تهذيب ابن عساكر (٥ / ٣٥٨) .

(٤١) تهذيب ابن عساكر (٥ / ٣٥٩) وصفة الصفوة (١ / ١٣٣) وخلاصة تذهيب الكمال (١٠٣) والرياض النضرة (٢ / ٣٥٧) وسنن الامام ابن ماجة (١ / ٣٠) .

(٤٢) طبقات ابن سعد (٣ / ١٠٥) والاصابة (٣ / ٦) وتهذيب ابن عساكر (٥ / ٣٥٨) وسنن الامام ابن ماجة (١ / ٣٠ – ٣١) وشرح النووي على مسلم (٥ / ١٦١ – ١٦٢) .

فقال : « من يأتي بني قريظة فيقاتلهم ؟ » فتطوع الز بير وقاتلهم[٤٣]. وندب النبي صلى الله عليه وسلم الناس يوم الخندق ، فانتدب الزبير ، ثم ندبهم فانتدب الزبير ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لكل نبي حواري ، وحواريَّ الزبير »[٤٤] ؛ وجمع له يومئذ أبويه ، فقال : « فداك أبي وأمي »[٤٥]. وكان الزبير يقول : « جمع لي رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه مرتين : في أُحُد وفي قريظة »[٤٦].

وشهد الزبير فتح (خَيْبَر) ، فكان سهمه من مقاسم خيبر بالخَوْع من النَطَاة[٤٧].

وقبيل حركة المسلمين الى فتح مكة ، كتب حَاطِب بن أبي بَلْتَعَة الى قريش كتاباً يخبرهم فيه بقصد رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فدعا النبي علي بن أبي طالب والزبير والمقداد — وهم فرسان — وقال لهم : « انطلقوا الى (روضة خاخ)[٤٨] فان بها ضعينة[٤٩] معها كتاب لقريش »

---

(٤٣) مسند الامام أحمد بن حنبل (١ / ١٦٤) وشرح النووي على مسلم (٥ / ١٦١) وفتح الباري بشرح البخاري (٧ / ٦٥) .

(٤٤) فتح الباري بشرح البخـاري (٧ / ٦٤) وشرح النووي على مسلم (٥ / ١٦) . وندب : أي دعاهم للجهاد وحرضهم عليه .

(٤٥) شرح النووي على مسلم (٥ / ١٦١) ومسند الامام أحمد بن حنبل (١ / ١٦٤) وصفة الصفوة (١ / ١٣٤) وطبقات ابن سعد (٣ / ١٠٦) .

(٤٦) الرياض النضرة (٢ / ٣٥٧) والاستيعاب (٢ / ٥١٣) وأسد الغابة (٢ / ١٩٧) .

(٤٧) جوامع السيرة ص (٢١٤) وسيرة ابن هشام (٣ / ٤٠٥) .
أ — الخوع : جبل أو موضع قرب خيبر معروف . انظر معجم البلدان (٣ / ٤٩٠) .
ب — النطاة : اسم لارض خيبر واسم حصن بخيبر ، واسم عين تسقى بها بعض قراها . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٨ / ٢٩٧) .

(٤٨) روضة خاخ : موضع على العقيق يبعد حوالي عشرين ميلا عن المدينة المنورة بين المدينة ومكة بقرب حمراء الاسد من المدينة . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣ / ٣٨٤) .

(٤٩) الضعينة : المرأة في هودجها ، وقد يقال لها ضعينة وان لم تكن في الهودج .

فانطلقوا وأتوا بالكتاب النبي صلى الله عليه وسلم[٥٠] .

وكان الزبير يوم فتح مكة على المجنبة اليسرى ، وكان معه إحدى رايات المهاجرين الثلاثة[٥١] . وحين فرّق الرسول القائد جيشه من (ذي طَوَى) حسب الخطة المرسومة لدخول مكة من جميع أطرافها ، أمر الزبير أن يدخل في بعض الناس من (كُدىً)[٥٢] ، فكان أحد قادة المسلمين في فتح مكة .

ويوم (حُنَيْن) طاعن الزبير المشركين حتى أزالهم عن أماكنهم[٥٣] ؛ وكان قائد المشركين يراقب سير القتال ، فأخبره أصحابه أنهم يرون فارساً واضعاً رمحه على عاتقه[٥٤] عاصباً رأسه بملاءة[٥٥] حمراء ، فقال : « هذا الزبير بن العوام ، وأحلف باللاّت ليخالطنكم فاثبتوا له » ، فلما انتهى الزبير الى مواضع المشركين وأبصرهم ، قصدهم فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم[٥٦] عنها[٥٧] .

لا عجب ــ وهذا مبلغ إخلاص الزبير في جهاده لتكون كلمة الله هي

---

(٥٠) جوامع السيرة ص (٢٢٦) وسيرة ابن هشام (٤ / ١٦) والطبري (٢ / ٣٢٨) .

(٥١) طبقات ابن سعد (٣ / ١٠٤) و (٤ / ٢٦) والطبري (٢ / ٣٣٤) . وفي رواية : انه كان على كل المهاجرين والانصار . انظر الطبري (٢ / ٣٣١) .

(٥٢) سيرة ابن هشام (٤ / ٢٥ - ٢٦) وجوامع السيرة ص (٢٣١) والطبري (٢ / ٣٣٤)
أ - ذو طوى : واد بمكة . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦ / ٦٤) .
ب - كدى : موضع بأسفل مكة عند ذي طوى . انظر معجم البلدان (٧ / ٢٢٠) و (٧ / ٢٢٣) .

(٥٣) تهذيب ابن عساكر (٥ / ٣٥٩) .

(٥٤) العاتق : ما بين المنكب والعنق .

(٥٥) الملاءة : الملحف صغيرة كانت أو كبيرة .

(٥٦) اللات : اسم صنم بالطائف كانت تعبده قريش وثقيف وجميع العرب . انظر التفاصيل في كتاب الاصنام للكلبي ص (١٦) ومعجم البلدان (٧ / ٣٠٩) .

(٥٧) ازاحهم عنها : أزالهم .

(٥٨) سيرة ابن هشام (٤ / ٨٩) .

العليا ؛ لم يتخلف عن غزوة غزاها الرسول القائد[٥٩] ، وتحمّل في سبيل ذلك ما تحمل حتى لم يبق له عضو من أعضائه إلا قد جرح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتهى الى فرجه[٦٠] ـ أن يكون أحد العشرة المبشرين بالجنة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض[٦١] ، وأن يدنيه الرسول صلى الله عليه وسلم ويمحضه الحب فيكون هو وعلي ابن أبي طالب أكرم الناس عليه[٦٢] ، وأن يقطعه نخلاً كانت من أموال بني النضير[٦٣] ويرخص له في لبس الحرير[٦٤] .

جهاده :

١ ـ بعد أن ارتدت العرب إما عامة وإما خاصة من كل قبيلة ، وذلك بعد التحاق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى ، ونجم النفاق واشرأبت اليهود والنصارى ، وأصبح المسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية لفقد نبيهم وقلتهم وكثرة عدوهم[٦٥] ـ في ذلك الموقف الحرج ـ بعثت عَبْس وذُبيان ومن انضم اليهم من بني كُنَانة وغَطَفَان وفَزارة جموعاً منهم أقامت على مقربة من المدينة ، وأرسل رؤساء هذه الجموع وفوداً منهم الى المدينة لمفاوضة أبي بكر : يقيمون الصلاة ولا يؤتون الزكاة ! فكان جواب ابي بكر قوياً حاسماً : « والله لو منعوني عقالاً لجاهدتهم عليه »[٦٦] .

---

(٥٩) ذيل المذيل ص (١١) وصفة الصفوة (١ / ١٣٢) وحلية الاولياء (١ / ٨٩) وطبقات ابن سعد (٣ / ١٠٤) وخلاصة تذهيب الكمال ص (١٠٣) وأسد الغابة (٢ / ١٩٨) .

(٦٠) أسد الغابة (٢ / ١٩٧) .

(٦١) المعارف ص (٢٢٠) والاستيعاب (٢ / ٥١٣) وتهذيب ابن عساكر (٥ / ٣٥٥) وخلاصة تهذيب الكمال ص (١٠٣) والاصابة (٣ / ٥) وأسد الغابة (٢ / ١٩٨) والرياض النضرة (٢ / ٣٥٩) وتأريخ الخلفاء للسيوطي ص (٣٦) .

(٦٢) الاستيعاب (٢ / ٥١٤) .

(٦٣) طبقات ابن سعد (٣ / ١٠٤) والخراج ص (٧٣) .

(٦٤) طبقات ابن سعد (٣ / ١٠٣) وذلك لحكة كانت به . أنظر الرياض النضرة (٢/ ٣٦٥) .

(٦٥) الطبري (٢ / ٤٦١) وابن الاثير (٢ / ١٢٧) .

(٦٦) الطبري (٢ / ٤٧٦) وابن الاثير (٢ / ١٣١) .

وعادت تلك الوفود الى قبائلها بعد أن اطّلعت على نقاط الضعف في دفاعات المدينة : مداخلها ومخارجها ، وقلّة المدافعين عنها ؛ فأنذر أبو بكر أهل المدينة بالخطر ، وحشّد المقاتلين بعدّة القتال في المسجد لـرد العدوان الخارجي المحتمل ، وجعل على مداخل المدينة علي بن أبي طالب والزبير وعبد الله بن مسعود (٦٧) .

ولم يلبث أهل المدينة الا ثلاثة أيام ، حتى زحف عليهم مانعو الزكاة ، فأحَسّ العَسَس (٦٨) المقيمون على مداخل المدينة قدوم القبائل ، فأرسل علي بن ابي طالب والزبير وطلحة بن عبيد الله بالخبر الى أبي بكر ، فأجابهم : « الزموا أماكنكم » ، وخرج في أهل المسجد على الإبل حتى بلغ مواقع القبائل المهاجمة (٦٩) ، فاستطاع التغلب عليهم ودفع خطرهم عن المدينة (٧٠) .

وكان الزبير أحد كبار المهاجرين من أمثال عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وطلحة بن عبيد الله وعبد الرحمن بن عوف يؤلفون : هيئة شورى أبي بكر ؛ فكان مركز القيادة العامة قوياً بهم وبما يضعون من خطط ويدبرون من أمور ؛ فكان الزبير أحد الذين أشاروا على أبي بكر بغزو أرض الشام (٧١) .

وسار الزبير مع المجاهدين في أيام أبي بكر الى أرض الشام ، فشهد معركة (اليرموك) الحاسمة قائداً لأحد الكراديس (٧٢) ، فحمل على الروم حتى شق صفوفهم ثم عاد أدراجه وقد جرح جرحاً غائراً (٧٣) .

---

(٦٧) الطبري (٢/ ٤٧٦ - ٤٧٧) وابن الأثير (٢/ ١٣١) .

(٦٨) العسس : الخفراء ، الحراس الليليون . وعس : طاف بالليل . وعسس : جمع عاسس كخادم ، جمعها : خدم .

(٦٩) الطبري (٢/ ٤٧٧) .

(٧٠) انظر التفاصيل في الطبري (٢/ ٤٧٧ - ٤٧٩) وابن الأثير (٢/ ١٣١ - ١٣٢) .

(٧١) أنظر : الصديق أبو بكر للدكتور هيكل الطبعة الرابعة ص ٢٦٨ .

(٧٢) تهذيب ابن عساكر (٥/ ٣٥٥) والطبري (٢/ ٥٩٤) .

(٧٣) فتح الباري بشرح البخاري (٧/ ٢٣٣ - ٢٣٤) .

وشهد الزبير (الجابية)[٧٤] مع عمر بن الخطاب[٧٥] حين قدم من المدينة على رأس جيش من المسلمين الى أرض الشام مدداً لأبي عبيدة ابن الجراح الذي تحشد الروم بقوات ضخمة لغزوه[٧٦].

٢ - ولما قصد عمرو بن العاص مصر لفتحها كانت معه قوات تبلغ ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل[٧٧]، فكتب الى عمر بن الخطاب يستمده[٧٨]، فأشفق عمر من قلة عدد قوات عمرو، فأرسل الزبير بن العوام في اثني عشر ألفاً[٧٩]، وقيل: أرسل عمر أربعة آلاف رجل عليهم من الصحابة الكبار: الزبير والمقداد بن الأسود وعُبادة بن الصامت ومَسلَمة بن مُخَلَّد؛ وقال آخرون: خارجة بن حُذافة هو الرابع[٨٠]، فشهد مع عمرو بن العاص فتح مصر[٨١].

وكان الزبير قد همّ - بالغزو وأراد إتيان (إنطاكية) فقال له عمر: «يا أبا عبد الله! هل لك في ولاية مصر؟»، فقال: «لا حاجة لي فيها، ولكن أخرج مجاهداً وللمسلمين معاوناً، فان وجدت عمراً قد فتحها لم أعرض لعمله وقصدت الى بعض السواحل فرابطت به، وإن وجدته في جهاد كنت معه»، فسار على ذلك[٨٢].

---

(٧٤) الجابية: قرية من اعمال دمشق قرب مرج الصفر في شمالي حوران. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣ / ٣٣).
(٧٥) تهذيب ابن عساكر (٥ / ٣٥٥).
(٧٦) انظر التفاصيل في الطبري (٣/١٥٥-١٦١)
(٧٧) البلاذري ص (٢١٤).
(٧٨) فتوح مصر والمغرب لابن عبدالحكم ص (٩١).
(٧٩) البلاذري ص (٢١٤) وفتوح مصر والمغرب ص (٩٢).
(٨٠) معجم البلدان (٦/٣٨٧) وفتوح مصر والمغرب ص (٩٢).
(٨١) البلاذري ص (٢١٦) وأسد الغابة (٢ / ١٩٨) وفتوح مصر والمغرب ص (٩٣).
(٨٢) البلاذري ص (٢١٤).

وحين قدم الزبير على عمرو وجده محاصراً حصن (بَابِلْيُون) ، فلم يلبث الزبير أن ركب حصانه وطاف بالخندق المحيط بالحصن ، ثم فرّق الرجال حول الخندق[٨٣] . وطال الحصار حتى بلغت مدته سبعة أشهر ، فقيل للزبير : إن بها الطاعون ، فقال : « إنما جئنا للطعن والطاعون »[٨٤] .

وأبطأ الفتح على عمرو بن العاص ، فقال الزبير : « إني أهب نفسي لله ، أرجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين » ، فوضع سلماً وأسنده الى جانب الحصن من ناحية سوق الحمّام ثم صعد ، وأمرهم إذا سمعوا تكبيرة أن يجيبوه جميعاً ؛ فما شعروا الا والزبير على رأس الحصن يكبّر ومعه السيف ؛ فتحامل الناس على السلّم حتى نهاهم عمرو خوفاً من أن ينكسر ؛ فلما رأى الروم أن العرب قد ظفروا بالحصن انسحبوا ، وبذلك فتح حصن بابليون أبوابه للمسلمين[٨٥] ؛ فانتهت بفتحه المعركة الحاسمة لفتح مصر .

وعقد عمرو بن العاص والمقوقس صلحاً بعد استسلام حصن بابليون للمسلمين ، وكان الزبير وابنه عبد الله وابنه محمد شهوداً على وثيقة الصلح بين الطرفين[٨٦] ؛ فاختط الزبير بمصر وابتنى بها داراً معروفة[٨٧] .

ولما أنجز عمرو بن العاص بمعاونة الزبير فتح مصر ، قال الزبير : « أقسمها يا عمرو » فأبى إلا أن يأتيه أمر عمر بن الخطاب بذلك ، فقال الزبير : والله لتقسمنها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر » ، فكتب عمرو الى عمر بن الخطاب ، فلم يوافق عمر على قسمتها[٨٨] .

---

(٨٣) فتوح مصر والمغرب ص (٩٢) .
(٨٤) طبقات ابن سعد (٣ / ١٠٧) والبلاذري ص (٢١٥) .
(٨٥) فتوح مصر والمغرب ص (٩٤) ومعجم البلدان (٦ / ٣٧٨) والبلاذري ص (٢١٥) .
(٨٦) انظر نص وثيقة الصلح بين عمرو بن العاص والمقوقس في الطبري (٣ / ١٩٩) .
(٨٧) البلاذري ص (٢١٥) .
(٨٨) البلاذري ص (٢١٥ – ٢١٦) .

الانسان :

١ ــ كان الزبير موضع تقدير وثقة وحب النبي صلى الله عليه وسلم ومن الذين يستشيرهم[٨٩] ويعتمد عليهم كل الاعتماد .

ولما التحق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى سارع الزبير الى مبايعة أبي بكر ، فقد تتابع المهاجرون على بيعتهم من غير أن يدعوهم[٩٠] . وفي رواية ، انه تخلّف عن بيعة أبي بكر قوم من المهاجرين والانصار ومالوا مع علي بن أبي طالب فكان منهم الزبير[٩١] . وفي رواية : أنه لم يبايع وكان في بيت علي بن أبي طالب حين قدم عليهم عمر فقال : « انطلقوا فبايعوا أبا بكر » فأبوا ؛ وخرج الزبير بالسيف ، فقال عمر : « عليكم بالرجل فخذوه » فوثب عليه سلمة بن أسلم وأخذ السيف من يده وضرب به الجدار ؛ ثم انطلقوا به فبايع[٩٢] . وفي رواية : أن أبا بكر صعد المنبر عقب البيعة فنظر في وجوه القوم فلم ير الزبير ، فدعا به ، فجاء ؛ فقال له : « ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريّه ! أردت أن تشق عصا المسلمين ! » فقال الزبير : « لا تثريب يا خليفة رسول الله » ، فقام وبايعه[٩٣] . وأرجح أن الزبير لم يتخلف عن بيعة أبي بكر لحظة واحدة ، فهو بدون شك يعرف منزلة أبي بكر وقدره في الاسلام ويعرف أنه ثاني اثنين إذ هما في الغار وأنه أفضل الصحابة فلا يمكن أن يتخلف عن بيعته أبداً ؛ واذا كان الزبير قد اسلم على يد أبي بكر كما أسلفنا ، واطمأن الى أن يضع مصير آخرته بين يديه ، ألا يطمئن بعد الاسلام إلى أن يضع مصير دنياه بين يدي أبي بكر ؟؟.

---

(٨٩) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٣٠) .

(٩٠) الطبري (٢ / ٤٤٧) .

(٩١) اليعقوبي (٢ / ١٠٣) وسيرة ابن هشام (٤ / ٣٣٥) وتاريخ أبي الفدا (١ / ١٥٦).

(٩٢) الامامة والسياسة (١ / ١١) .

(٩٣) انظر تفاصيل روايات بيعة أبي بكر من كتاب : الصديق أبو بكر للدكتور هيكل ص (٧٢ ــ ٧٧) الطبعة الرابعة .

لقد كان الزبير صديقاً حميماً لأبي بكر قبل الاسلام وبعده، وكان أحد أصحاب الشورى الذين يعتمد أبو بكر عليهم كل الاعتماد، وقد أقطعه أبو بكر (الجُرْف)[٩٤].

٢ - ولم تكن منزلة الزبير عند عمر أقل من منزلته عند أبي بكر، فقد عرض عليه ولاية مصر فآثر أن يكون (غازياً) على أن يكون (والياً)، فولاه قيادة جيش المدد الذي أمد به عمرو بن العاص لمعاونته على فتح مصر، وأقطعه (العَقِيقْ)[٩٥] أجمع[٩٦]؛ وكان عمر يقول عنه: «الزبير ركن من أركان الدين»[٩٧]. ويقول عنه: «الزبير عمود من عمد الاسلام»[٩٨]. وسمع ابن عمر رجلاً يقول: «أنا ابن الحواري» فقال: «إنْ كنت من آل الزبير، وإلا فلا»[٩٩]. وقد جعل عمر بن الخطاب الخلافة من بعده شورى في ستة هم: عثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب، والزبير ابن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص؛ ومن المأثور عنه في استخلافهم قوله: «لا أجد أحداً أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، فأيهم استخلف فهو الخليفة من بعدي»[١٠٠].

---

(٩٤) الجرف: موضع على ثلاثة أميال من المدينة نحو الشام. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣/ ٨٧) وانظر طبقات ابن سعد (٣/ ١٠٤) حول اقطاع أبي بكر الجرف للزبير.

(٩٥) العقيق: العرب تقول لكل مسيل ماء شقه السيل في الارض فأنهره ووسعه: عقيق. وقال الاصمعي: الاعقة هي الاودية». والعقيق: واد بناحية المدينة وفيه عيون ونخل. انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/ ١٩٨).

(٩٦) طبقات ابن سعد (٣/ ١٠٤).

(٩٧) الاصابة (٣/ ٦).

(٩٨) تهذيب ابن عساكر (٥/ ٣٦٢).

(٩٩) طبقات ابن سعد (٣/ ١٠٦) والاصابة (٣/ ٦) وأسد الغابة (٢/ ١٩٧) والاستيعاب (٢/ ٥١٢) والرياض النضرة (٢/ ٣٥٥).

(١٠٠) الطبري (٣/ ٢٩٣) وابن الاثير (٣/ ٢٥) والامامة والسياسة (١/ ٢٤) =

٣ ـ وحين اجتمع أصحاب الشورى ، كان هوى الزبير مع علي بن أبي طالب ، فقال لعبد الرحمن بن عوف : « نصيبي لعلي[١٠١] » ، ولكنه بايع عثمان مع الناس حين تم اختياره خليفة للمسلمين ، فكان أثيراً عند عثمان طيلة حياته : كان أحد مجلس شوراه ، وقد أجازه بستمائة ألف درهم فجعل الزبير يسأل عن أحسن المال ، فقيل له : مال أصبهان ، فقال : « أعطوني من مال أصبهان »[١٠٢] .

ومن الواضح أن الزبير لم يشتد في معارضته عثمان ، وانما شارك الزبير أصحاب النبي صلى الله عايه وسلم فيما كانوا يوجهون الى عثمان من نقد ويسوقون اليه من نصح ؛ ولا نعرف أنه اشتدّ عليه إلا أن يكون في ذلك شريكاً لغيره من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم[١٠٣] .

وكان هوى أهل الكوفة الذين جاءوا الى المدينة وحاصروا عثمان بن عفان مع الزبير ، فأتوه وعرضوا عليه أن يبايعوه ، فصاح بهم وطردهم ، وكان قد أرسل ابنه عبدالله الى عثمان ليقاتل دونه[١٠٤] . ولما حصب بعض الناس عثمان في المسجد حتى صرع ، أقبل علي بن أبي طالب وطلحة والزبير يعودونه من صرعته ويشكون اليه ما يجدون[١٠٥] . وقيل : إن الزبير خرج من المدينة قبل أن يقتل عثمان . وقيل : بل أدرك قتله ، وكان عبد الله بن الزبير

= واليعقوبي (٢/١٢٨) وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص (٩٢) وتاريخ أبي الفداء (١/ ١٦٥) وتاريخ عمر لا بن الجوزي ص (١٦٢) .

(١٠١) ابن الا ثير (٣/ ٢٧) والامامة والسياسة (١/ ٢٤) . وفي الطبري (٣/ ٢٩٦) أنه رشح عثمان بن عفان . وارجح الرواية الاولى لانه كان قريب القرابة من علي ووثيق الصلة ببني هاشم حينذاك مع العلم أن الطبري ذكر الرواية الاولى أيضاً في (٣/ ٢٩٦) .

(١٠٢) طبقات ابن سعد (٣/ ١٠٧) .

(١٠٣) انظر كتاب : عثمان للدكتور طه حسين ص (١٤٧) طبعة دار المعارف بمصر .

(١٠٤) ابن الاثير (٣/ ٦١) والطبري (٣/٣٨٧) وقد قاتل فعلا وجرح جراحات . انظر الطبري (٣/ ٤١٤) .

(١٠٥) ابن الاثير (٣/ ٦٢) والطبري (٣/ ٣٨٩) .

ممن استقتلوا دفاعاً عن عثمان[١٠٦] .

ولكي نعرف حقيقة منزلة الزبير عند عثمان ، علينا أن نتذكر أن عثمان أراد أن يستخلف الزبير ، فقد أصاب عثمان رعاف شديد سنة الرعاف[١٠٧] حتى حبسه عن الحج وأوصى ، فدخل عليه رجل من قريش فقال : « استخلف » قال : « نعم . الزبير !.. أما والذي نفسي بيده ، إنه لخيرهم ما علمت وإن كان لأحبهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم »[١٠٨] .

٤ ـ وقتل عثمان ، ولم يكن الزبير يظن أن الأمر سيصير الى ما صار اليه ؛ فأصبح الستة الذين عهد اليهم عمر بالشورى أربعة : علي والزبير وطلحة وسعد بن أبي وقاص ، وكان سعد قد اعتزل الفتنة ، فلم يبق إذاً إلاّ هؤلاء الثلاثة : علي وطلحة والزبير ، فامتنع طلحة والزبير عن البيعة فأكرههما الناس عليها ، فكانت بيعتهما لعلي على غير رضى ولا اقبال[١٠٩] . وفي رواية : إنه اجتمع بعد قتل عثمان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار وفيهم طلحة والزبير فأتوا علياً فقالوا له : « لا بد للناس من إمام » ، فقال : « لا حاجة لي في أمركم ، فمن اخترتم رضيت به » ، فقالوا : « ما نختار غيرك » . وترددوا اليه مراراً وقالوا له : « إنّا لانعلم أحداً أحق به منك ولا أقدم سابقة ولا أقرب قرابة من رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، فقال : « لا تفعلوا ، فإني أكون وزيراً خيراً من أن أكون أميراً » ، فقالوا : « والله ما نحن بفاعلين حتى نبايعك » ، قال : « ففي المسجد ، فإن بيعتي لا تكون خفية ولا تكون إلاّ في المسجد » ؛ فكان أول من بايعه طلحة ثم بايعه الزبير ، فقال لهما : « إن أحببتما أن

---

(١٠٦) ابن الاثير (٣/ ٦٨) .
(١٠٧) كان ذلك سنة احدى وثلاثين للهجرة . أنظر فتح الباري بشرح البخاري (٧/ ٦٤) .
(١٠٨) فتح الباري بشرح البخاري (٧/ ٦٤) .
(١٠٩) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص (١١٧) وتاريخ أبي الفدا (١/ ١٧١) .

تبايعاني ، وإن أحببتما بايعتكما » ، فقالا : بل « نبايعك » ، ثم قالا بعد ذلك : « إنما فعلنا ذلك خشية على نفوسنا ، وعرفنا أنه لا يبايعنا » ، وهربا الى مكة بعد قتل عثمان بأربعة اشهر (١٠٩أ).

وأكاد أعتقد أن طلحة والزبير لم يُستكرها كما زعم بعض الرواة ، وإنما أقبلا على البيعة راضِيَيْن ، ثم بدا لهما بعد ذلك حين رأيا من الخليفة الجديد ما لم يكونا ينتظران ؛ إذ لم يشركهما في أمره ، ولم يولِّ أحدهما على البصرة والآخر على الكوفة كما كانا يطمعان (١١٠) ؛ بل أراد أن يسير فيهما سيرة عمر بن الخطاب ، فيحبسهما معه في المدينة كما كان عمر يحبس أعلام المهاجرين من قبل (١١١) . ولست أصدق أن علياً أكره أحداً على مبايعته ، ولو فعل لأكره سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وحسان ابن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وأبا سعيد الخدري ومحمد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت وأسامة بن زيد (١١٢) ، اذ كيف يستقيم أن علياً أكره طلحة والزبير فقط ولم يكره أحداً غيرهما ؟؟

وعلى كل حال ، فقد استأذن طلحة والزبير علياً في العمرة فأذن لهما فلحقا بمكة (١١٣) ، وروى بعضهم أن علياً قال لهما أو لبعض أصحابه : « والله ما أرادا العمرة ، ولكن أرادا الغدرة (١١٤) » فلحقا عائشة أم

(١٠٩أ) الطبري (٣/ ٤٥٠) وابن الاثير (٣/ ٣١) واليعقوبي (٢/ ١٥٤) وتاريخ أبي الفدا (١/ ١٧١) .

(١١٠) انظر الطبري (٣/ ٤٥١) وابن الاثير (٣/ ٧٦ – ٧٧) وانظر الامامة والسياسة (١/ ٥٢) .

(١١١) أنظر كتاب (علي) للدكتور طه حسين ص (٢٢) طبعة دار المعارف بمصر وأنظر الامامة والسياسة (١/ ٥١) .

(١١٢) أنظر أسماء الذين لم يبايعوا علياً في ابن الاثير (٣/ ٧٤ – ٧٥) والطبري (٣/ ٤٥٢) و (٣/ ٤٥٤) .

(١١٣) الطبري (٣/ ٤٦٥) وابن الاثير (٣/ ٤٦٥) و (٣/ ٧٩) .

(١١٤) اليعقوبي (٢/ ١٥٦) .

المؤمنين بمكة وحرضاها على الخروج فأجابتهم الى الخروج (١١٥) .

وبلغ علياً خروجهم الى البصرة فخرج هو أيضاً (١١٦) ، وحاول علي بكل وسيلة أن يتفادى الحرب بين الطرفين ، فأرسل القعقاع بن عمرو التميمي الى البصرة لمفاوضة طلحة والزبير فاقتنعا بالصلح واحلال السلام (١١٧) كما اتصل علي نفسه بالزبير وطلحة شخصياً ، فقال للزبير : « يا زبير ! ما أخرجك ؟! » فقال : « أنت ! ولا أراك لهذا الأمر أهلاً ولا أولى به منا ! » فقال له : « تذكر يوم مررت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متكىء على يدك ، فسلّم عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وضحك إليّ ، ثم التفت اليك فقال لك : يا زبير ! انك تقاتل علياً وأنت له ظالم ! » فقال الزبير : « اللهم نعم ! » فقال علي : « فعلام تقاتلني ؟ » فقال الزبير : « نسيتها والله ولو ذكرتها ما خرجت اليك ولا قاتلتك (١١٧ أ) » .

وعاد الزبير أدراجه عازماً العودة الى المدينة ، فقال له ابنه عبد الله : « جمعت بين هذين الفئتين ، حتى اذا حدّد بعضهم لبعض أردت أن تتركهم وتذهب ؟! لكنك خشيت رايات ابن أبي طالب وعلمت أنها تحملها فتية أنجاد » فقال : « إني حلفت ألاّ أقاتله » وأحفظه قول ابنه له ، فقال له عبد الله : « كفّر عن يمينك وقاتله » ، فأعتق غلامه وقاتل علياً (١١٨) ، وكان هو القائد الأعلى لرجاله ، وكان على الخيل طلحة وعلى الرجالة عبد

---

(١١٥) الطبري (٣ / ٤٧١) وابن الاثير (٣ / ٨١) .

(١١٦) الطبري (٣ / ٤٧٣) وابن الاثير (٣ / ٨٦) وتاريخ أبي الفدا (١ / ١٧٣) واليعقوبي (٢ / ١٥٧) والامامة والسياسة (١ / ٥٤) .

(١١٧) الطبري (٣/٥٠٢-٥٠٣) وابن الاثير (٣/٩٢) .

(١١٧ أ) الطبري (٣/٤١٥) وابن الاثير (٣/٩٤) والامامة والسياسة (١/٧٢) وتاريخ أبي الفدا (١/١٧٣) واليعقوبي (٢/١٥٨) والرياض النضرة (٢/٣٦٥) والاصابة (٣/٧) والاستيعاب (٢/٥١٥) ومروج الذهب على هامش ابن الاثير (٥/١٩٠-١٩١) .

(١١٨) الطبري (٣/ ٤١٥) وابن الاثير (٣/٩٤-٩٥) واليعقوبي (٢/١٩٥) وتاريخ أبي الفدا (١/١٧٣-١٧٤) .

الله بن الزبير وعلى القلب محمد بن طلحة[119] .

وفي رواية ، إنه رجع عن الحرب فلم يشهد معركة (الجمل) ، فقد دخل على عائشة فقال : « يا أماه ! ما شهدت موطناً قط في الشرك ولا في الاسلام إلاّ ولي فيه رأي وبصيرة غير هذا الموطن ، فإنه لا رأي لي فيه ولا بصيرة ، وإني لعلى باطل » . وقال لابنه : « إني راجع ، ولا تعد هذا مني جبناً ، فوالله ما فارقت أحداً في جاهلية ولا إسلام » .. فقال ابنه : « فما يردّك ؟ » ، قال : « يردّني ما إن علمته كسرك[120] » .

وسواءٌ أرجع الزبير عن القتال بتأثير علي عليه في تذكيره بقول النبي صلى الله عليه وسلم فيهما ، أم لأن الزبير عاد عن القتال لأنه سمع أن عمار ابن ياسر موجود مع علي بن أبي طالب فخاف أن يقتل عماراً وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا عمار ! تقتلك الفئة الباغية[121] » ، أم إنه عاد بتأثير عبد الله بن عباس الذي قال له : « أين صَفيّة بنت عبد المطلب حيث تقاتل بسيفك علي بن أبي طالب بن عبد المطلب » فرجع الزبير[122] ؛ أم عاد بتأثير تأنيب ضميره المؤمن الحي الذي كان يلحّ عليه : بأن مكانه ليس هنا يقاتل علياً ويفرّق صفوف المسلمين ، وأن مكانه مع الجماعة : يجاهد من أجل وحدة الصفوف ؛ فقد قال جماعة من المسلمين للزبير : يا أبا عبد الله ! ما جاء بكم ؟! ضيّعتم الخليفة حتى قُتل ، ثم جئتم تطلبون بدمه ؟! » فقال الزبير : « وقد قرأناها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم : واتقوا فتنة

(١١٩) الامامة والسياسة (١/٧٠) .

(١٢٠) الامامة والسياسة (١/٧٣) وانظر تاريخ أبي الفدا (١/١٧٣) وابن الاثير (٣/٩٥) . وفي الاستيعاب (٢/٥١٥) : كان الزبير قد انصرف عن القتال نادماً مفارقاً للجماعة التي خرج فيها منصرفاً الى المدينة .

(١٢١) الطبري (٣/٥٢١) وابن الاثير (٣/٩٥) .

(١٢٢) طبقات ابن سعد (٣/١١٠) والاصابة (٣/٧) .

لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة)[123] لم نكن نحسب أنّــا أهلها حتى وقعت منا حيث وقعت »[124] مما يدل على أن ضميره لم يكن مرتاحــاً من موقفه الراهن تجاه علي بن أبي طالب وتجاه العمل على تفريق الصفوف .. سواء أعاد الزبير عن الحرب فلم يشهد معركة (الجمل) لسبب من هذه الأسباب أو لأكثر من سبب ، أو لكل هذه الأسباب مجتمعة ، وهي أسباب مهمة للغاية بالنسبة لمثل الزبير في إيمانه وورعه وتاريخه المجيد في خدمة الاسلام ؛ فانه لم يشهد تلك المعركة كما أعتقد ، إلا أنه لم ينجُ من شرورها فقتل هو أيضاً في طريق عودته من البصرة إلى الحجاز .

فقد مضى الزبير فتعقّبه عمرو بن جُرموز التميمي ، فلما رآه الزبير قال له : « ما وراءك ؟ » ، فقال : « إنما أردت أن أسألك » ، فحذّر الزبير من هذا الرجل غلامُه ، فقال الزبير : « ما يهولك من رجل ! » . وحضرت الصلاة فقال ابن جرموز : « الصلاة ! » ، فنزلا واستدبره ابن جرموز فطعنه من خلفه وقتله وأخذ فرسه وخاتمه وسلاحه ودفنه (بوادي السباع[125] ورجع الى الناس بالخبر[126] . . . وكان مقتله سنــة ست وثلاثين للهجرة[127] (٦٥٦ م) وهو ابن أربع وستين سنة[128] .

---

(١٢٣) الآية الكريمة من سورة الانفال (٨ : ٢٥) .

(١٢٤) مسند الامام أحمد بن حنبل (١٦٤/١) .

(١٢٥) وادي السباع : واد بين البصرة ومكة بينه وبين البصرة خمسة أميال . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٧٣/٨) .

(١٢٦) الطبري (٥٣٩/٣–٥٤٠) وابن الاثير (٦٣/٣) . وانظر بعض الروايات الاخرى عن مقتل الزبير في طبقات ابن سعد (١١٠/٣–١١٣) والرياض النضرة (٣٦٥/٢ –٣٦٦) والامامة والسياسة (٧٣/١–٧٤) وخزانة الادب ولب لباب لسان العرب (٣٥٠/٤) و (٤٦٨/٢) وأسد الغابة (١٩٩/٢) والاصابة (٦/٣) والاستيعاب (٥١٥/٢) وذيل المذيل للطبري (١١) وتهذيب ابن عساكر (٣٥٥/٥) ..الخ

(١٢٧) البدء والتاريخ (٨٣/٥) وصفة الصفوة (١٣٢/١) وخزانة الادب ولب لباب لسان العرب (٣٥٠/٤) وخلاصة تذهيب الكمال ص (١٠٣) والبدء والتاريخ (٨٣/٥) .

(١٢٨) طبقات ابن سعد (١١٣/٣) والبدء والتاريخ (٨٣/٥) وذيل المذيل ص (١١) .=

ولما أتى قاتل الزبير علياً برأسه يستأذن عليه ، لم يأذن له ، وقال للآذن « بشره بالنار » (١٢٩) . وجاء ابن جرموز بسيف الزبير الى علي فقال : « إن هذا سيف طالما فرّج الكرب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم » (١٣٠). وقال بنو تميم قدم ابن جرموز يخاطبونه : « فضحت والله اليمن بأسرها : قتلت الزبير رأس المهاجرين وفارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه وابن عمته . والله لو قتلته في حرب لعزّ ذلك علينا ولمسّنا عارك ، فكيف في جوارك وذمتك ؟! والله ليزيدنك على أن يبشّرك بالنار (١٣١) .

وقالت عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نُفيل زوجة الزبير ترثيه وتذكر غدر ابن جرموز به (١٣٢) :

غدر ابن جُرموز بفارس بُهْمَة (١٣٣)
يوم اللقـــاء وكان غير معرّد (١٣٤)

وفي الاصابة (٣/٧١) : قتل وله ست أو سبع وستون سنة وكذلك في أسد الغابة (٢/١٩٩) والاستيعاب (٢/٥١٦) . وفي صفة الصفوة (١/١٣٣) : قتل يوم الجمل وهو ابن خمس وسبعين ويقال : ستين ، ويقال : بضع وخمسين . وفي تهذيب ابن عساكر (٥/٣٥٧) : قتل وهو ابن بضع وستين . وفي الرياض النضرة (٢/٣٦٧) : قتل وسنه يومئذ سبع وستون سنة ، وقيل : ست وستون . وقيل : أربع وستون ، وقيل : ستون ، وقيل : احدى وستون ، وقيل : خمس وسبعون ، وقيل : بضع وخمسون . وأنت ترى أن أكثر مؤرخي حياته ذكروا ان عمره أربع وستون ، وهذا يتفق مع الرواية القائلة : ان عمره حين أسلم ست عشرة سنة ، لذلك أخذنا بهذه الرواية .

(١٢٩) الاستيعاب (٢/٥١٦) والرياض النضرة (٢/٣٦٧) والاصابة (٣/٧) .

(١٣٠) أسد الغابة (٢/١٩٩) .

(١٣١) الامامة والسياسة (١/٧٤) . وفي طبقات ابن سعد (٣/١١٣) : أن علياً قال : اني لارجو أن أكون أنا وطلحة والزبير من الذين قال الله في حقهم : (ونزعنا ما في صدورهم من غل على سرر متقابلين) .

(١٣٢) خزانة الادب ولب لباب لسان العرب (٤/٣٥٠) وطبقات ابن سعد (٣/١١٢) والاغاني (١٦/٢٦٤) وانظر رثاء جرير له في طبقات ابن سعد (٣/١١٣) .

(١٣٣) بهمة : الجيش . يقال : فلان فارس بهمة . ويقال أيضاً : بهمة للفارس شديد البأس .

(١٣٤) اللقاء : الحرب . عرد : فر في الحرب .

يا عمــرو لو نبّهته لــوجدته
لا طائشاً رعش الجنــان ولا اليــد

شُلت يمينك أن قتلت لمسلمــاً
حلّت عليك عقوبة المتعمــد

إن الزبير لذو بلاء صــادق
سمح سجيته كــريم المشهد

كم غمــرة قد خاضها لم يثنــه
عنها طرادك يا ابن فقع القرقد (١٣٥)

فاذهب فما ظفرت يداك بمثله
فيما مضى ممــن يروح ويغتــدى

لقد أثار مقتل الزبير في نفوس المسلمين جميعاً موجة من الحزن والأسى عليه (١٣٦) والسخط وعلى قاتله .

٥ ـ كان الزبير يعمل جزاراً (١٣٧) في أيامه الأولى ، ثم أصبح تاجراً يغدو ويروح الى الشام بتجارته (١٣٨) ، وكان تاجراً مجدوداً في التجارة ، فقيل له : « بما أدركت في التجارة ؟ » ، قال : « لأني لم أشتر معيباً ، ولم أرد ربحاً ، والله يبارك لمن يشاء (١٣٩) » .

---

(١٣٥) الفقع : بفتح الفاء وكسرها وسكون القاف ، نوع من الكماة ، وهو الكماة الابيض والاحمر ، يقال : فقع قرقد للذليل . والقرقد : المكان المستوى .

(١٣٦) قال ابن عباس في طلحة والزبير بعد مقتلهما : رحمة الله عليهما ، كانا والله مسلمين مؤمنين بارين تقيين خيرين فاضلين طاهرين ، زلازلتين والله غافر لهما للصحبة القديمة والعشرة الكريمة والافعال الجميلة ؛ فأعقب الله من يبغضهما بسوء الغفلة الى يوم الحشر . أنظر الرياض النضرة (٢/٣٤٧) .

(١٣٧) المعارف ص (٥٧٥) .

(١٣٨) الرياض النضرة (٢/٣٥٨) .

(١٤٩) الرياض النضرة (٢/٣٦٤) . مجدوداً : محظوظاً . والجد : الحظ . والجديد : الحظيظ فعيل بمعنى مفعول .

وكان كريماً غاية الكرم ، فقد بعث لعائشة أم المؤمنين بغرارتين تبلغ ثمانين ومائة ألف درهم(١٤٠) ، وكان من أكرم النّاس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم(١٤١) ؛ وكان ينفق اموالاً طائلة في سبيل الله ، فقد باع داراً بستمائة ألف ، فقيل له : « يا أبا عبد الله ، غُبِنت ! » ، فقال « والله لتعلمن أني لم أغبن ، وهي في سبيل الله(١٤٢) » .

وقد أوصى يوم الجمل ابنه عبد الله بدينه ، قال عبد الله : « جعل الزبير يوم الجمل يوصيني بدينه ويقول : إن عجزت عن شيء منه فاستعن عليه بمولاي ! فوالله ما دريت ما أراد حتى قلت : يا أبتِ ! من مولاك ؟ قال : الله تعالى ! . فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلاّ قلت : يا مولى الزبير ، اقضِ عنه ، فيقضيه . وانما كان دينه الذي عليه ، أن الرجل كان يأتيه بالمال يستودعه إياه ، فيقول : لا ، ولكنه سلف ، فاني أخشى عليه الضيعة . قال عبد الله : فحسبت ما عليه من الدين فوجدته ألفي ألف ومائة ألف ، فقتل ولم يدع ديناراً ولا درهماً إلا أرضين بعتها وقضيت دينه ؛ فقال بنو الزبير : ميراثنا ! قلت : والله لا أقسم بينكم حتى أنادي بالموسم أربع سنين : ألا من كان له على الزبير دين فليأتنا فلنقضه » ، فجعل كل سنة ينادي ، فلما انقضت أربع سنين قسّم بينهم ؛ وكان للزبير أربع نسوة ، فأصاب كل امرأة ألف ألف ومائتا ألف ، فجميع مال الزبير خمسون ألف ألف ومائتا ألف(١٤٣) . وقد أوصى بثلث ماله ينفق في سبيل الله ولم يدع ديناراً ولا درهماً(١٤٤) ولكنه ترك بمصر خططاً وبالاسكندرية خططاً وبالكوفة

---

(١٤٠) الرياض النضرة (٢/٣٦٣) . (١٤١) الرياض النضرة (٢/٣٦٤).

(١٤٢) الرياض النضرة (٢/٣٦٤) .

(١٤٣) أنظر التفاصيل في الرياض النضرة (٢/٣٦٧-٣٦٨) وطبقات ابن سعد (٣/ ١٠٨-١٠٩) وانظر صفة الصفوة (١/١٣٥) حول ما كان عنده من مال .

(١٤٤) الرياض النضرة (٢/٣١٨) وطبقات ابن سعد (٣/١٠٨) وحلية الاولياء (١/٩١) .

خططاً وبالبصرة دوراً ، وكانت له غَلاّتٌ تقدم عليـــه من أعراض المدينة[145] ، وكان له ألف مملوك يؤدون اليه الخراج ، فما كان يدخل في بيته درهم واحد ، إذ كان يتصدق بذلك كله ويقوم الى منزله ليس معه شيء[146] .

وكان على جانب عظيم من الشهامة والأمانة ، لذلك كان موضع ثقة الناس جميعاً ، وقد أوصى اليه كثير من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم عثمان والمقداد بن الاسود وعبدالرحمن بن عوف ، فكان يحفظ على أولادهم مالهم وينفق عليهم من ماله[147] .

وكان ورعاً تقياً نقياً ، قال عبدالله بن الزبير : « قلت للزبير ، ما يمنعك أن تحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يحدث عنـــه أصحابه ؟ ، فقال : أما والله لم أفارقه منذ أسلمت ، ولكنني سمعته يقول : من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار[148] » ؛ وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثمانية وثلاثين حديثاً[149] ، وكان من أصحاب الفتيا من الصحابة[150] .

لهذه الأسباب ولغيرها مدحه شاعر النبي صلى الله عليه وسلم حسان

---

(١٤٥) طبقات ابن سعد (٣/١١٠) .

(١٤٦) الرياض النضرة (٢/٣٦٤) والاصابة (٣/٦) وأسد الغابة (٢/١٩٨) والاستيعاب (٥١٤) وصفة الصفوة (١/١٣٤) .
وحلية الاولياء (١/٩٠) وأسد الغابة (٢/١٩٨) وتهذيب ابن عساكر (٥/٣٦٢) .

(١٤٧) الرياض النضرة (٢/٣٦٥) وأسد الغابة (٢/١٩٩) والاصابة (٣/٦) .

(١٤٨) الرياض النضرة (٢/٣٦٤) وطبقات ابن سعد (٣/١٠٧) والاصابة (٣/٦) ومسند الامـــام أحمد بن حنبل (١/١٦٥) .

(١٤٩) خلاصة تذهيب الكمال ص (١٠٣) وأسماء الصحابة الرواة – ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٢٨٠) وأنظر مسند الزبير في مسند الامـــام أحمد بن حنبل (١/١٦٤–١٦٥) .

(١٥٠) أصحاب الفتيا من الصحابة – ملحق بجوامع السيرة لابن حزم ص (٣٢٠) .

ابن ثابت الأنصاري ، ففضله على الجميع وقال [١٥١] :

أقام على عهد النبي وهَدْيه
حواريه ، والقول بالفعل يعدل[١٥٢]

أقـام على منهاجه وطريقـه
يوالي وليّ الحق ، والحق أعدل

هو الفارس المشهور والبطل الذي
يصول اذا ما كان يوم محجل

وإن امرأً كانت صَفية أمـه
ومن أسد في بيته لمرفل[١٥٣]

له من رسول الله قربى قريبـة
ومن نصرة الاسلام مجد موئل[١٥٤]

فكم كربة ذبّ الزبير بسيفه
عن المصطفى ، والله يعطي ويُجْزِل[١٥٥]

اذا كشفت عن ساقها الحرب حشّها
بأبيض سباق الى الموت يُرْقِل[١٥٦]

---

(١٥١) الرياض النضرة (٢/٣٥٩-٣٦٠) والاصابة (٣/٦) وأسد الغابة (٢/١٩٨) والاستيعاب (٢/٥١٤-٥١٥) وتهذيب ابن عساكر (٥/٣٦٢).

(١٥٢) الهدى : بفتح الهاء واسكان الدال ، السيرة . يقول ما أحسن هديه : أي سيرته .

(١٥٣) رفل : رفل في ثيابه ، أطالها وجرها متبختراً ، ومرفل : أي منعم وسعيد ..

(١٥٤) موئل : أي مؤصل . والتأثيل والتأصيل بمعنى واحد . يقال : مجد أثيل ، أي أصيل .

(١٥٥) في الديوان : فيجزل .

(١٥٦) كشفت الحرب عن ساقها : اشتدت . ومنه : يكشف عن ساق ، أي عن شدة . حشها : أسعرها وهيجها . الابيض : السيف . يرقل : يسرع ، والارقال : ضرب من العدو نحو الخبب .

فما مثله فيهم ولا كان قبله
وليس يكون الدَّهرَ ما دام يَذْبُل[157]

وكان رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير، خفيف اللحية، أسمر اللون كثير الشعر، وكان لا يغيّر شيبه[158].

وكان له عشرون ولداً: أحد عشر ذكراً وتسع إناث[159].

٦ – والحق ان الزبير وأمثاله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكونوا يتوقعون أن الامور ستتطور وتتعقد الى درجة قتل عثمان ابن عفان في مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى جوار قبره، بل كانوا يعتقدون أن الأمور لن تصل الى أكثر من حمل عثمان على الانصراف عما كان الناس يشكون منه، فتستقيم الأمور وتسير على ما كانت عليه أيام الشيخين: أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

فلما قتل عثمان مظلوماً، وجد الزبير وغيره من كبار الصحابة، أن على عواتقهم مسؤولية ضخمة هي المطالبة بدم عثمان لكي ينال كل ذي حق حقه ولكي تنزل العقوبة الرادعة حسب تعاليم الشريعة الاسلامية بمن لطخ يده بدم عثمان، وحتى تعود للسلطان هيبته وحتى يسود الشرع ولا يتحكم في الناس غير شريعة الله.

كان خروج الزبير الى البصرة بنية سليمة ما في ذلك شك، وكان لسان

---

(١٥٧) يذبل: جبل مشهور الذكر بنجد. انظر معجم البلدان (٨/٥٠٢).

(١٥٨) المعارف ص (٢٢٠) والبدء والتاريخ (٥/٨٣) وذيل المذيل (١١) والرياض النضرة (٢/٣٥٢) وطبقات ابن سعد (٣/١٠٧) وأسد الغابة (٢/١٩٩) والاستيعاب (٢/٥١٦). ويقـال: انه كان أبيض، أنظر فتوح مصر والمغرب ص (٩٥) وصفة الصفوة (١/١٣٢). ويقال: إنه كان طويلا أزرق الشعر، أنظر المعارف ص (٢٢٠) وتهذيب ابن عساكر (٥/٣٥٧) والبدء والتاريخ (٥/٨٣).

(١٥٩) الرياض النضرة (٢/٢٦٨) وانظر المعارف ص (٢٢١ – ٢٢٧). وفي البدء والتاريخ (٥/٨٣): ان ولده سبع بنين غير البنات.

حاله يطابق ما قالته عائشة أم المؤمنين لأهل البصرة : « والله ما بلغ من ذنب عثمان أن يُستحل دمه ، ولقد قتل مظلوماً . غضبنا لكم من السوط والعصا ، ولا نغضب لعثمان من القتل ؟! وان الرأي أن تنظروا الى قتلة عثمان فيقتلوا به ، ثم يرد هذا الأمر شورى على ما جعله عمر بن الخطاب [١٦٠] ولا ينكر أن الزبير كان تحت تأثير أهله ـ خاصة ابنه عبد الله الذي كان يحب الامارة حباً جماً ـ وأن أهله كانوا يؤججون في نفسه الشعور بالذنب لعدم قيامه بواجبه في الدفاع باستماتة عن عثمان ، ويحفزونه للتكفير عن هذا الذنب وذلك بالمطالبة بدم عثمان ، وقد قال سعد بن أبي وقاص عن الزبير : « إن الزبير مغلوب بغلبة أهله وبطلبه بذنبه [١٦١] » ، وقال الامام علي بن أبي طالب : « ما زال الزبير منا حتى نشأ بنوه فصرفوه عنا [١٦٢] ـ كل ذلك جعله يخرج للمطالبة بدم عثمان .

ولكنه وجد بصورة عملية أن هذه المطالبة لا يمكن أن توتي ثمرتها ما لم تستقر الأمور ويشيع الأمن والاستقرار . قال القعقاع بن عمرو لطلحة والزبير : « إني سألت أم المؤمنين : ما أشخصها وأقدمها هذه البلاد ؟ فقالت : إصلاح بين الناس . فما تقولان أنتما : أمتبعان أم مخالفان ؟ » فقالا : « متابعان » . قال القعقاع : « فأخبراني ما وجه هذا الاصلاح ، فوالله لئن عرفناه لنصلحن ، ولئن أنكرناه لا نُصلح ! » . قالا : « قتلة عثمان رضي الله عنه ، فأن هذا إن تُرك كان تركاً للقرآن ، وإن عمل به كان إحياءً للقرآن » . فقال القعقاع : « قد قتلتما قتلة عثمان من أهل البصرة وأنتم قبل قتلهم أقرب الى الاستقامة منكم اليوم : قتلتم ستمائة إلاّ رجلاً ، فغضب لهم ستة آلاف واعتزلوكم وخرجوا من بين أظهركم ، وطلبتم ذلك الذي أفلت ـ يعني حرقوص بن زهير السعدي ـ فمنعه ستة آلاف وهم على رجل ، فأن

---

(١٦٠) الامامة والسياسة (١/٦٨) .
(١٦١) الامامة والسياسة (١/٤٨) .
(١٦٢) الامامة والسياسة (١/١٠) .

تركتموه كنتم تاركين لما تقولون ، فأن قاتلتموهم والذين اعتزلوكم فأديلوا عليكم ، فالذي حذرتم وقربتم به هذا الامر أعظم مما أراكم تكرهون ، وأنتم أحميتم مضر وربيعة من هذه البلاد فاجتمعوا على حربكم وخذلانكم نصرة لهؤلاء كما اجتمع هؤلاء لاهل هذا الحدث العظيم والذنب الكبير » ، فقالت أم المؤمنين : « فتقول أنت ماذا ؟ » ، قال : « أقول هذا الأمر دواؤه التسكين ... » فقالوا : « نعم اذاً ، قد أحسنت وأصبت المقالة ، فارجع فان قدم علي وهو على مثل رأيك صلح هذا الأمر » ، وأشرف القوم على الصلح (١٦٣).

لقد اطمأن الزبير بعد ذلك الى أن خروجه إلى البصرة كان خطأ ، كما اطمأن الى أن خروجه على علي بن أبي طالب كان خطأ أيضاً ، لذلك رجع عن الحرب غير مكترث بما يجره عليه رجوعه من نتائج قد تفسر بالجبن والفرار وهما عاران على مثل الزبير البطل ، ولكن عار الآخرة أعظم على مثل الزبير في ايمانه العميق من عار الدنيا ، قال الزبير حين رجع عن الحرب(١٦٤)

اخترت عــاراً على نار مؤججة
ما ان يقوم لها خلق من الطــين
نادى علي بأمــر لست أجهله
عار لعمرك في الدنيا وفي الدين
فقلت حسبك من عــدل أبا حسن
فبعض هذا الذي قد قلت يكفيني

لقد آثر الزبير عار الدنيا على عار الآخرة ، فعاد عن الحرب ، وكان قد اجتهد فأخطأ فأراد ان يبادر الى اصلاح خطأه ، ولكنه دفع ثمن هذا

---

(١٦٣) الطبري (٣/٥٠٣) .

(١٦٤) أنظر مروج الذهب — على هامش ابن الاثير (١٩١/٥) .

الخطأ عاجلاً بسيل جارف من دمه ، فخسر كل شيء الا عقيدته ، ولو ربح كل شيء وخسر عقيدته لباء بالخسران العظيم .

القائد :

سأل أبو بكر الصديق عمرو بن العاص عن الزبير فقال : « شجاع جسر[١٦٥] وقيل لعلي بن أبي طالب وهو في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم : « من أشجع الناس يا أبا الحسن ؟ » ، فقال : « ذاك – وأشار الى الزبير – الذي يغضب كالنمر ويثب وثوب الأسد[١٦٦] » .

وحين أمدّ عمر بن الخطاب عمرو بن العاص بأربعة آلاف رجل على كل ألف رجل منهم رجل يعادل ألفا كتب اليه : « اني أمددتك بأربعة آلاف رجل ، على كل رجل منهم رجل مقام ألف » وكان الزبير على رأس هؤلاء الرجال[١٦٧] .

ولما اقتنع الزبير بوجهة نظر علي بن ابي طالب وصمم على العودة عن الحرب – وذلك قبيل معركة (الجمل) تنفّس أصحاب علي الصعداء : وقالوا « ما كنا نخشى في هذه الحرب غيره ولا نتّقي سواه . إنه فارس رسول الله صلى الله عليه وسلم وحواريه ، ومن عرفت شجاعته وبأسه ومعرفته بالحرب ؛ فأذ قد كفاناه الله فلا نعدّ من سواه إلا صرعى حول الهودج »[١٦٨] .

وفي طريق عودته من البصرة الى الحجاز ، قال له رجل من كلب : « أرى أن ترجع الى فرسك ودرعك فتأخذهما ، فأن أحداً من الناس

(١٦٥) اليعقوبي (١٠٧/٢) .
(١٦٦) تهذيب ابن عساكر (٣٦٢/٥) .
(١٦٧) فتوح مصر والمغرب ص (٦١) ومعجم البلدان (٣٧٨/٦) والرجال الاربعة هم : الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقال آخرون : خارجة ابن حذافة .
(١٦٨) الامامة والسياسة (٧٢/١) .

لا يُقدم عليك وأنت فارس أبداً[١٦٩] » . وقد قال حسان في مدح الزبير :

هو الفارس المشهور والبطـــل الذي
يصول اذا ما كان يوم محجل[١٧٠]

لقد نشأ الزبير من عائلة معروفة بشجاعتها وفدائها ، فمات أبوه وجده في ساحات الوغى ، وتربى تربية عنيفة لا هوادة فيها أعدته إعداداً كاملاً لتحمل واجبه بشجاعة واقدام في ميادين القتال ، فظهرت بوادر شجاعته واقدامه وهو طفل صغير ، إذ كسر يد رجل كبير وهو لا يزال غلاماً ، وأقدم وحده على استطلاع حرب النجاشي وعدوه حين كان الزبير مهاجراً في الحبشة وعاد الى المسلمين بتفاصيل تلك الحرب ، وكان أول من سل سيفاً في سبيل الله عز وجل من المسلمين ، وقد هاجر الى المدينة وحده دون رفيق ، وجمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبويه مرتين : يوم (أُحُد) ويوم (قريظة) قائلاً له : « ارم فداك أبي وأمي »[١٧١] . وكان من أبرز الشجعان يوم (اليرموك) ، كما أن شجاعته النادرة كانت السبب المباشر لانتصار المسلمين على المقوقس في معركة (بابليون) الحاسمة التي فتحت للعرب المسلمين أبواب مصر على مصراعيها ؛ وكان في صدره مثل العيون من الطعن والرمي[١٧٢] .

إن شجاعة واقدام الزبير كانا مضرب الأمثال ، وهما المزيتان البارزتان من بين مزايا قيادته . والحق انه كان جندياً ممتازاً يتحلى بكل مزايا الجندي الممتاز : عقيدة راسخة ، وضبط متين ، وعقيلة متزنة ، وشجاعة شخصية ،

---

(١٦٩) الامامة والسياسة (١/٧٤) .

(١٧٠) أنظر قصيدة حسان في الاستيعاب (٢/٥١٤ – ٥١٥) .

(١٧١) الاستيعاب (٢/٥١٣) .

(١٧٢) صفة الصفوة (١/١٣٤) وقد سمى أولاده بأسماء الشهداء تقديراً لهم واعجاباً بتضحياتهم لهم وتشجيعاً لاولاده على الاقتداء بأعمالهم . أنظر طبقات ابن سعد (٣/١٠١) مما يدل على انه كان يهوى البطولات ويقدر الابطال ويغرس في أولاده روح التضحية والفداء .

وتدريب جيد ، وقابلية بدنية ، ومعنويات عالية ؛ وبهذه المزايا برز الزبير بطلاً في كل معركة خاضها في أيام النبي صلى الله عليه وسلم وبعده .

لقد برز (جندياً ممتازاً) في تلك المعارك ، فكانت شجاعته الشخصية واقدامه وفداؤه أمثلة رائعة يحتذي بها غيره ، فهو جندي ممتاز فحسب ، لذلك لم يتول مناصب القيادة في أيام الرسول ولا في أيام أبي بكر الصديق ، وقد تولى منصب قيادة (المدد) فقط في أيام عمر ، فكان (لشجاعته) أثر حاسم على انتصار المسلمين في معركة (بابليون) الحاسمة ، ولم تكن لقيادته أثر ما في هذه المعركة وفي غيرها من المعارك . إنه جندي ممتاز .

الزبير في التاريخ :

يذكر التاريخ للزبير أنه كان أحد السابقين الاولين للاسلام ، ولم يتخلف عن غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان له في كل غزوة موقف مشرف ؛ ويذكر له أنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ، وأحد الستة الشورى الذين اختارهم عمر ليختاروا من بينهم خليفة من بعده .

ويذكر له أنه كان عاملاً حاسماً في فتح حصن بابليون ، تلك المعركة الحاسمة التي انساح المسلمون من بعدها في أرض مصر وفتحوها .

ويذكر له ، أنه خُيّر بين ما عند الناس : الخلافة والأمرة والسلطان : وبين ما عند الله : راحة الضمير والاخلاص للعقيدة ، وذلك قبيل معركة (الجمل) ؛ فاختار ما عند الله على ما عند الناس ، فعاد عن الحرب غير مكترث بما يجره ذلك على شخصه من نقد وتجريح .

رضي الله عن المؤمن القوي ، الامين البطل ، الفارس الشجاع ، القائد الفاتح ، حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الزبير بن العوام القرشي الأسدي .

عبدالله بن حذافة القُرشي السَّهمي

فاتح عين شمس (١) بمصر

مع النبي :

هو حُذافة عبدالله بن قيس بن سعد بن سهم القرشي السَّهْمِيّ (٢) ؛ وأمه تميمة بنت حُرْثان من بني الحارث بن عبد مناة بن كنانة ، وهو أخو خُنَيْس بن حذافة زوج حفصة بنت عمر بن الخطاب قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد شهد خُنَيْس بدراً ، ولم يشهد عبدالله بدراً (٣) ولكنه قديم الاسلام بمكة ، وكان من مهاجرة الحبشة الهجرة الثانية (٤) . شهد له رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه ابن حذافة ، فقد خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين زاغت الشمس فصلى الظهر ، فلما سلّم قام على المنبر فذكر الساعة وذكر أن بين يديها أموراً عظاماً ، ثم قال : « من أحب أن يسأل عن شيء فليسأل عنه ، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم به ما دمت في مقامي هذا » ، فسأله عبدالله بن حذافة ، قال :

---

(١) عين شمس : اسم مدينة بمصر بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ ، وهي ليست على شاطىء النيل ، وكانت مدينة كبيرة ، راجع التفاصيل في معجم البلدان (٦/٢٥٦) .

(٢) طبقات ابن سعد (٤/١٨٩) والاصابة (٤/٥٥) وأسد الغابة (٣/١٤٢) والاستيعاب (٣/٨٨٨) .

(٣) طبقات ابن سعد (٤/١٨٩) وانظر المعارف ص (١٣٥) .

(٤) طبقات ابن سعد (٤/١٨٩) وسيرة ابن هشام (١/٣٥١) والاصابة (٤/٥٥) وأسد الغابة (٣/١٤٢) والاستيعاب (٣/٨٨٨) . وقد عاد الى المدينة المنورة مع جعفر بن أبي طالب يوم فتح خيبر . انظر سيرة ابن هشام (٢/٤١٣ — ٤١٩) .

« مَن أبي ؟ » ، قال : « أبوك حذافة » (٥) ، فعاتبته أمه على سؤاله هذا قائلة : « أي بني ! لقد قمت اليوم بأمك مقاما عظيماً ، فكيف لو قال الاخرى ؟ » ، فقال : « أردت أن أبدي ما في نفسي » (٦) ثم أضاف قوله : « والله لو ألحقني بعبد أسود للحقت به (٧) » .

وقد أمّره رسول الله صلى الله عليه وسلم على سرية ، وكانت فيه دُعابة ، فأمر رجاله أن يجمعوا حطباً ويوقدوا ناراً ، فلما أوقدوها أمرهم أن يقتحموا النار ، وقال لهم : « ألم يأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم بطاعتي فقال : من أطاع أميرى فقد أطاعني ؟ » فقال بعضهم : « ما آمنا بالله واتبعنا رسوله الا لننجوا من النار » ؛ فصوّب رسول الله صلى الله عليه وسلم فعل هؤلاء وقال : « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . قال الله تعالى : (ولا تقتلوا أنفسكم) » (٨) ، ولم يلق في غزوته هذه كيدا(٩) .

وبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى كسرى ملك فارس بكتاب يدعوه الى الاسلام ، فمزق كسرى الكتاب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم مزق ملكه » (١٠)، وكان نص كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم الى كسرى : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد

---

(٥) أسد الغابة (١٤٣/٣) .
(٦) طبقات ابن سعد (١٩٠/٤) .
(٧) الاستيعاب (٨٨٩/٣) .
(٨) الاستيعاب (٨٩٠/٣) . وهناك رأيان في الطاعة : الاول الطاعة المطلقة للآمرين ، وعندما تكون الاوامر مغلوطة ينتج عنها ضرر يكون الآمر الذي أصدر تلك الاوامر هو المسؤول عن تحمل نتائجها . والثاني الطاعة التي تقيد بشروط معينة ، وهذه الطاعة يكاد يجمع عليها العسكريون في الوقت الحاضر ، اذ كيف يمكن – مثلا – تنفيذ أوامر تضر بالبلاد مثلا أو بالامة أفراداً وجماعات بدون مبرر ؟
(٩) سيرة ابن هشام (٣١٨/٤) .
(١٠) طبقات ابن سعد (٨٨٩/٤) .

رسول الله الى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله وشهد أن لا اله الا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وإني أدعوك إليّ بدعاء الله ، وإني رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، فاسلم تسلم ، فان توليت فان إثم المجوس عليك »[١١] .

وشهد عبدالله كافة غزوات النبي صلى الله عايه وسلم بعد (خيبر) وكان معه في الحج ، فأمره أن ينادي في أهل (منى) : ألا يصوم هذه الايام أحد[١٢] .

لقد كان عبدالله موضع ثقة النبي صلى الله عليه وسلم وحبه وتقديره .

جهاده :

شهد عبدالله معارك فتح أرض الشام ، فأسره الروم في بعض غزواته على (قَيْسَارِيّة) [١٣] فقال له ملك الروم : « تنصّر أشركك في ملكي » فأبى . فأمر به فصلب ، وأمر برميه بالسهام ، فلم يجزع ، فأنزل ! وأمر ملك الروم بقدر فصب فيها الماء وأغلي عليه وأمر بالقاء أسير فيها ، فاذا عظامه تلوح ، فأمر بالقائه بالماء الذي يغلي ان لم يتنصّر ، فلما ذهبوا به بكى[١٤] ، فقالوا : قد جزع ! قد بكى !. فقال : « ردّوه » . فقال عبدالله : « لا ترى أني بكيت جزعاً مما تريد أن تصنع بي ، ولكني بكيت حيث ليس لي إلاّ نفس واحدة يفعل بها هذا في الله !! كنت أحب أن يكون لي من الأنفس عدد كل شعرة فيّ ، ثم تُسلط عليّ فتفعل بي هذا !! » ، فأعجب به ملك الروم وأحب أن يطلقه ، فقال له : « قبّل رأسي وأطلقك » فقال : « ما أفعل » ، فقال : « تنصّر وأزوجك بنتي

---

(١١) الطبري (٢/٢٩٦) وابن الاثير (٢ / ٨١) .
(١٢) الاصابة (٤/٥٦) وأسد الغابة (٣/١٤٤) وطبقات ابن سعد (٤/١٩٠) .
(١٣) أسد الغابة (٣/١٤٣) .
(١٤) الاصابة (٤/٥٧) .

وأقاسمك ملكي » . قال : ما أفعل ! » . فقال : « قبل رأسي وأطلقك وأطلق معك ثمانين من المسلمين » ، فقال : « أما هذه ، فنعم ! » ، وقبّل رأس الملك وأطلق معه ثمانين من المسلمين ، فلما قدموا على عمر بن الخطاب ، قام اليه عمر فقبّل رأسه ؛ فكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمازحون عبدالله ، فيقولون : قبّلت رأس علج ؟! فيقول لهم : « أطلق الله بتلك القبلة ثمانين من المسلمين » .(١٥)

وشهد مع عمرو بن العاص فتح مصر ، فلما فتح عمرو (الفسطاط) وجه عبدالله ابن حُذافة الى (عَيْنْ شَمْس) ، فغلب على أرضها وصالح أهل قراها على مثل صلح الفسطاط (١٦) .

وبعد فتح مدينة الاسكندرية استخلف عمرو بن العاص عليها عبدالله في رابطة من المسلمين ، وانصرف عمرو الى الفسطاط ، فكتب الروم الى قسطنطين ابن هرقل الذي كان ملك الروم حينذاك يخبرونه بقلة عدد المسلمين في الاسكندرية ، فبعث ملك الروم أحد قادته على رأس قوة مشحونة في ثلاثمائة مركب فدخل الاسكندرية ، ولكن المسلمين أعادوا فتح الاسكندرية مرة ثانية (١٧) .

الانسان :

كان عبدالله صلب العقيدة راسخ الايمان ، له عقلية راجحة ومنطق سليم ، كل ذلك جعل النبي صلى الله عليه وسلم يبعثه سفيراً الى كسرى يحمل اليه رسالة النبي الكريم ويدعوه الى الحق والهدى .

وقد صمد صمود الابطال وصبر صبر المجاهدين دفاعاً عن عقيدته

---

(١٥) أسد الغابة (١٤٣/٣) .
(١٦) البلاذري (٢١٨) .
(١٧) البلاذري (٢٢٢ - ٢٢٣) .

وتمسكاً بها عندما تعرض لمحنة الأسر ولمحنة التعذيب ؛ فقد حاول الروم بالوعد تارة وبالوعيد أخرى وبالتعذيب القاسي أن يثنوه ولو بالظاهر عن عقيدته ، ولكنه أعرض عن الوعد واستهان بالوعيد وصمد للتعذيب الوحشي ، حتى انهارت أعصاب معذبيه فأطلقوا سراحه ... حيث خرج من محنته مرفوع الرأس موفور الكرامة وقد تضاعف إيمانه بعقيدته وبمثله العليـــا .

وكانت فيه دُعابة ، وكانت دعابته محببة الى النفس تلازمه حتى في أوقات الجد ؛ فقد استعمله الرسول القائد على سرية ، فلما كان ببعض الطريق أوقد ناراً ، ثم قال للقوم : « أليس لي عليكم السمع والطاعة ؟ » قالوا : نعم ! فقال : « فأني أعزم عليكم بحقي وطاعتي إلاّ تواثبتم في هذه النار » ، فقام بعض القوم يحتجز حتى ظن أنهم واثبون فيها ، فقال لهم : « اجلسوا فانما أضحك معكم »(١٨) ، وعلى الرغم من ذكر المؤرخين أنه أراد الدعابة بعمله هذا ، الا أنني أجد أنه أراد الجد الصارم لا الدعابة بهذا العمل ، فقد امتحن شدة ضبط رجاله ودرجة متانة طاعتهم ، فعرف من ينفذ منهم أوامره بدون قيد ولا شرط ، ومن ينفذ منهم أوامره المعقولة فحسب .

ولم يسلم حتى رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعابته ، فقد حل حزام راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره ، حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم يقع ، وذلك ليضحك النبي الكريم(١٩) .

---

(١٨) سيرة ابن هشام (٣١٧/٤) والاستيعاب (٣ / ٨٩٠) .

(١٩) روى ذلك ابن وهب كما جاء في الاستيعاب (٨٩٠/٣) ، ولم يكن لا بن وهب علم بلسان العرب ، وانما تقول العرب لحزام الراحلة : غرضة اذا ركب بها على رحل ، فان ركب بها على جمل فهي : **بطان** ، وان ركب بها على فرس فهي : حزام ، وان ركب بها على رحل أنثى فهو : وضين . قال الشاعر :

اليك يعدو قلقاً وضينهـــا ... مخالفاً دين النصارى دينها
معترضاً في بطنها جنينهـا ... قـد ذهب الشحم الذي يزينها

لقد كان أريحياً محبباً الى النفوس كريماً مضيافاً شهماً غيوراً ذكياً ، وقد توفي بمصر ودفن بمقبرتها في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه [٢٠] .

القائد :

لا شك أن الرسول القائد حين أمّر عبد الله على سرية من أصحابه ، قد لمس فيه قابلية على قيادة الرجال : الشجاعة والاقدام ، والشخصية القوية والارادة النافذة والعقلية المتزنة والقدرة على إعطاء القرارات الصائبة .

والحق أن مزايا قيادة عبد الله لم تظهر بوضوح – بالنسبة لدارس تلك المزايا – في أيام جهاده ، فهو لم يلق كيداً في سريته التي قادها أيام الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما لم تسمح له الظروف أن يقود معارك كبيرة حاسمة في أيام فتح أرض الشام ومصر ، ومع ذلك فان ثقة الرسول صلى الله عليه وسلم بقيادته وثقة عمرو بن العاص بقيادته أيضاً دليلان قاطعان على تمتعه بمزايا القائد القدير .

لقد كان يثق برجاله ويثقون به ويحبهم ويحبونه ، وكان له ماض ناصع مجيد ، وحسبه أن يكون صاحب رسول الله صلى الله وسلم وموضع ثقته !

عبد الله في التاريخ :

يذكر التاريخ لعبد الله محنته القاسية التي اجتازها بصبر وجلد ، فخرج منها بشرف ، وباء معذبوه بالخزي والعار .

ان التاريخ يضعه في مصاف أئمة المعذّبين في سبيل عقيدتهم وفي اعداد الصامدين أمام الوعد والوعيد ، ويضعه مع الصابرين المحتسبين الذين أصبحوا أسوة حسنة للصابرين المحتسبين ؛ والحق ان تعذيبه لم يكن مصاولة بين

---

(٢٠) طبقات ابن سعد (٤/١٩٠) والاصابة (٤/٥٦) وأسد الغابة (٣/١٤٤) والاستيعاب (٣/٨٩١) .

الصحابي الجليل وقيصر ، ولكنه مبارزة بين ارادة قيصر وارادة الله .. لذلك صبر عبد الله ، ولو صبر انسان لانهار كما ينهار الناس !

ويذكر له جهاده المشرف في فتح أرض الشام ومصر ، وخاصة فتحه عين شمس ونشره الاسلام في ربوعها ، فهل يذكره أهل عين شمس اليوم ؟

ان جامعة عين شمس يجب أن يطلق عليها اسم : جامعة عبد الله بن حذافة السهمي ، وهذا أقل ما يجب أن تفعله من أجل بعث ذكره ثانية عند العرب المسلمين .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، الصابر المحتسب ، عبد الله بن حذافة السهمي القرشي .

خارجة بن حذافة العدوي

فاتح الصعيد

« أردت عمراً وأراد الله خارجة »
(عمرو بن بكر)

مع النبي :

هو خارجة بن حُذافة بن غانم العدوى القرشي ، وأمه فاطمة بنت عمرو ابن بُجْرة العدوية [1] . كان أحد فرسان قريش ، قيل انه كان يعدل بألف فارس [2] ، وهو من مسلمة الفتح [3] ، وقد روى حديث الوتر فقال : « خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لقد أمدّكم الله الليلة بصلاة لهي خير لكم من حُمُر النعَم . قلنا : وما هي يا رسول الله ؟ قال : الوِتْر فيما بين صلاة العشاء الى طلوع الفج [4] » .

ولم يرد له ذكر في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكنه على كل حال نال شرف الصحبة وهو شرف عظيم .

---

(١) طبقات ابن سعد (١٨٨/٤) والاصابة (٨٤/٢) وأسد الغابة (٧١/٢) والاستيعاب (٤١٨/٢) .

(٢) أسد الغابة (٧١/٢) والاستيعاب (٤١٨/٢) .

(٣) الاصابة (٨٤/٢) . أما ابن سعد في طبقاته ، فقد جعله من المهاجرين والانصار الذين لم يشهدوا بدراً ولهم اسلام قديم ، ونرجح أنه من مسلمة الفتح . اذ لو كان من المسلمين القدماء وهو من هو شجاعة واقداما ، لبرز ذكره في غزوات النبي صلى الله عليه وسلم .

(٤) طبقات ابن سعد (١٨٩/٤) والاستيعاب (٤١٩/٢) .

جهـــاده :

شهد خارجة فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص ، فقد أشفق عمر بن الخطاب على عمرو فأمدّه بأربعة آلاف رجل [٥] ، على كل ألف رجل منهم رجل مقام ألف : الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت وخارجة بن حذافة ، وقال عمر : « اني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل ، على كل ألف رجل منهم رجل مقام ألف » [٦] .

وكان على رأس كمين قوته خمسمائة رجل سار على رأسهم قبيل الصبح الى (أم دنين) وهي حي الازبكية الحالي ، فكان لكمينه أثر في تحطيم مقاومة المدافعين عن حصن (بابليون) [٧] .

ولما سار عمرو لفتح الاسكندرية ، خلّف في حصن (بابليون) مَسْلَحة من المسلمين جعل عليها خارجة [٨] .

فلما طال حصار الاسكندرية بعث عمرو كتائبه لفتح الدلتا والصعيد ، فأرسل خارجة الى (الفَيّوم) [٩] و (الأشْمونين) [١٠] و (اخْمِيم) [١١]

---

(٥) في أسد الغابة (٧١/٢) والاستيعاب (٤١٨/٢) أن عمر بن الخطاب أمد عمرو بن العاص بثلاثة آلاف رجل .

(٦) معجم البلدان (٣٧٨/٦) والفاروق عمر للدكتور هيكل (١٠٦/٢) .

(٧) أنظر الفاروق عمر للدكتور هيكل (١٠٨/٢–١٠٩) .

(٨) انظر الفاروق عمر للدكتور هيكل (١٢٣/٢) والبلاذري (٢٢١) .

(٩) الفيوم : ولاية غربية بينها وبين الفسطاط أربعة أيام ، بينها مفازة لا ماء بها ولا مرعى . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤١٤/٦) .

(١٠) الاشمونين : اسمها اشمون ، وأهل مصر يقولون : الاشمونين ، وهي مدينة قديمة أزلية عامرة ، آهلة ، وهي قصبة كورة من كور الصعيد الادنى غربي النيل . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢٦١/١) .

(١١) اخميم : بلد بالصعيد ، وهو بلد قديم على شاطىء النيل . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٥٣/١) .

و (البَشْرُوَدات) [١٢] وقرى الصعيد ، فغلب على أرضها وصالح أهل قراها على مثل صلح الفسطاط [١٣] . وبذلك فتح خارجة بلاد الصعيد الى حدود (طَيّبَة) [١٤] .

لانسان :

سكن خارجة مصر واختط بها [١٥] ، فكان موضع ثقة عمرو فولاه القضاء [١٦] ، وقيل كان على الشرطة [١٧] ولم يزل في مصر حتى قتل فيها .

فقد شهد بعض الخوارج موسم الحج ورأوا الحجيج من أصحاب علي ابن ابي طالب ومعاوية بن ابي سفيان ، كل يأبى ان يصلي بصلاة أمير خصمه ؛ فضاق هؤلاء النفر من الخوارج بما رأوا ، وذكروا مصارع اخوانهم الذين قتلوا في (النهّروان) ، وائتمروا أن يريحوا الامة من هذا الاختلاف الذي تشقى به ، وان يقتلوا هؤلاء الثلاثة الذين هم اصل هذا الاختلاف : علي ومعاوية وعمرو بن العاص ، واتّفقوا على يوم بعينه ينفذون فيه ما صمّموا عليه ،وأقتّوا ساعة لاغتيال هؤلاء الثلاثة ، وهي ساعة الخروج لصلاة الصبح من اليوم السابع عشر من شهر رمضان لعامهم ذاك سنة أربعين [١٨] .

ولم يخرج عمرو يومذاك ، وأمر خارجة أن يصلي بالناس ، فتقدم الخارجي

---

(١٢) البشرودات : هكذا وردت في البلاذري (٢١٧) . وقد وردت في معجم البلدان : البشرود ، وهي الصحيح . وهي كورة من كور بطن الريف بمصر من كور اسفل الارض . انظر معجم البلدان (٢/١٩٠) .

(١٣) البلاذري ص (٢١٨) والفاروق عمر للدكتور هيكل (٢/١٣٩) .

(١٤) طيبة . قرية . من كورة الاشمونين بالصعيد . انظر معجم البلدان (٦/٧٦) . وانظر عن فتح الصعيد حتى طيبة في كتاب الفاروق عمر للدكتور هيكل (٢/١٥٩) .

(١٥) الاصابة (٢/٨٤) .

(١٦) طبقات ابن سعد (٤/١٨٨) و (٧/٤٩٦) والاصابة (٢/٨٤) وأسد الغابة (٢/٧١) والاستيعاب (٢/٤١٨.)

(١٧) الاصابة (٢/٨٤) وأسد الغابة (٢/٧١) والاستيعاب (٢/٤١٨) .

(١٨) انظر التفاصيل في ابن الاثير (٣/١٥٥–١٥٨) .

فضرب خارجة بالسيف وهو يظن انه عمرو بن العاص ، فقتله . وأخذ الخارجي وأدخل على عمرو ، فقيل له والله ما قتلت عمراً وانما ضربت خارجة ، فقال : « أردتُ عمراً وأراد الله خارجة » ، فذهب قوله مثلاً (١٩) .

لقد قتل خارجة سنة أربعين هجرية (٦٦٠ م) ، وقبره معروف بمصر عند اهلها (٢٠) .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أحاديث (٢١) ، وكان فقيهاً في أمور الدين عادلاً مستقيماً حسن السيرة تقياً فولاه عمرو لذلك القضاء .

القائــد :

كان خارجة شجاعاً ، فهو أحد فرسان قريش المعدودين يعد بألف فارس (٢٢) ، لذلك أمّره عمر بن الخطاب على ألف رجل من مدد لعمرو وقال عنه : « إنه رجل مقام ألف » . وكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص : « أن افرض لكل من بايع تحت الشجرة في مائتين من العطاء ، وابلـغ ذلك لنفسك بامـارتك ، وافرض لخارجة بن حذافة في الشرف لشجاعته . (٢٣) »

إن شجاعته وماضيه المجيد في صحبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في جهاده لاعلاء كلمة الله كانا من أهم عوامل ثقة رجاله به واعتمادهم عليه ، كما أنه كان حصيفاً ذكياً فكانت خططه صحيحة . لذلك استطاع فتح منطقة الصعيد بسرعة ويسر وبخسائر لا تكاد تذكر .

---

(١٩) طبقات ابن سعد (٤٩٦/٧) والامامة والسياسة (١٦١/١) .
(٢٠) الاستيعاب (٢ / ٤١٩) .
(٢١) أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد ملحق بجوامع السيرة لا بن حزم (٢٩٣)
(٢٢) الاستيعاب (٤١٩/٢) والاصابة(٨٤/٢) .
(٢٣) طبقات ابن سعد (٤٩٦/٧) .

خارجة في التاريخ :

يذكر التاريخ لخارجة جهاده المشرف في فتح مصر ، ويذكر له فتح الصعيد موطن العرب الاصليين أصحاب التقاليد العربية العريقة منذ الفتح الاسلامي حتى اليــوم .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، القاضي العادل خارجة ابن حذافة العدوي .

عُمَيْر بن وَهب الجُمَحي

فاتح تنيس ودمياط وتونة ودميرة وشطا ودقهلة وبنا وبوصير (١)

في الجاهلية :

هو عُمَيْر بن وَهْب بن حُذافة بن جُمح الجُمَحِي القرشي ، يكنى أبا أمية (٢) ، وأمه سُخيلة بنت هاشم بن سُعيد بن سهم . كان سيد بني جُمَح (٣) في الجاهلية ، وكان له قدر وشرف في قريش . شهد (بدراً)

---

(١) ا . تنيس : جزيرة في بحر مصر ، قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط ، والفرما في شرقيها . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٤١٩) .

ب . دمياط : مدينة قديمة بين تنيس ومصر . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤/٨٥) .

جـ . تونة : جزيرة قرب تنيس ودمياط من الديار المصرية . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٢/٤٣٥) وهي الآن مدينة من اعمال المنيا .

د . دميرة : قرية كبيرة بمصر قرب دمياط ، وهما دميرتان إحداهما تقابل الأخرى على شاطىء النيل في طريق من يريد دمياط . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٤/٨٥) .

هـ . شطا : بليد بمصر على ثلاثة أميال من دمياط على ضفة البحر الملح . أنظر معجم البلدان (٥/٢٦٤)

و . دقهلة : بلد بمصر على شعبة من النيل بينها وبين دمياط أربعة فراسخ ، وبينها وبين دميرة ستة فراسخ . راجع التفاصيل في معجم البلدان (٤/٦٥) . وهي محافظة الدقهلية .

ذ . بنا بلدة قديمة بمصر ، بينها وبين الفسطاط ثمانية عشر ميلا . أنظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٢٨٦) . يطلق عليها الآن : بنها .

ح . بوصير : اسم لأربع قرى بمصر . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢/٣٠٦) والمقصود بهذه بوصير بنا ، واليوم تعرف باسم : أبو صير .

(٢) طبقات ابن سعد (٤/١٩٩) والاصابة (٥/٣٦) وأسد الغابة (٤/١٤٨) والاستيعاب (٣/١٢٢١) .

(٣) طبقات ابن سعد (٤/١٩٩) .

كافراً ، وهو القائل يومئذٍ في الأنصار : « إني أرى وجوهاً كوجوه الحيّات ، لا يموتون ظمأً أو يقتلون منا أعدادهم ، فلا تتعرضوا لهم بهذه الوجوه التي كأنها المصابيح » ، فقالوا : « دع عنك هذا وحرّش بين القوم » ، فكان أول مَن رمى بنفسه عن فرسه بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنشب القتال (٤) .

وهو الذي بعثته قريش ليحزر لهم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ويأتيهم بعَدَدهم وعدّتهم ، وكان حريصاً على ردّ قريش عن لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر (٥) ، فاستجال حول عسكر المسلمين بفرسه ، ثم رجع اليهم فقال : « ثلاثمائة رجل ، يزيدون قليلاً أو ينقصون ، ولكن أمهلوني حتى أنظر أللقوم كمين أو مدد » ، فضرب في الوادي حتى أبعد ، فلم ير شيئاً ، فرجع اليهم فقال : « ما وجدت شيئاً ، ولكني قد رأيت يا معشر قريش البلايا تحمل المنايا ، نواضحَ يَثْرب تحمل الموت الناقع ، قوم ليس معهم مَنَعَة ولا ملجأ إلا سيوفهم ، والله ما أرى أن يُقتل رجل منهم حتى يقتل رجلاً منكم ، فاذا أصابوا منكم أعدادهم ، فما خير العيش بعد ذلك ؟ فَرَوْا رأيكم »(٦) .

وجرح عمير يوم (بدر) فوقع في القتلى ، فلما وجد برد الليل أفاق إفاقةً فجعل يحبو حتى خرج من بين القتلى ورجع الى مكة ، فبرأ من جرحه (٧)

---

(٤) الاستيعاب (٣/١٢٢١) .
(٥) طبقات ابن سعد (٤/١٩٩) .
(٦) سيرة ابن هشام (٢/٢٦١ – ٢٦٢) . والبلايا : جمع بلية ، وهي الناقة أو الدابة تربط على قبر الميت فلا تعلف ولا تسقى حتى تموت ، وكان بعض العرب ممن يقر بالبعث يقول : إن صاحبها يحشر عليها .
والنواضح : الأبل التي يسقى عليها الماء .
والناقع : الثابت .
(٧) طبقات ابن سعد (٤/٢٠٠) .

لقد كان من أبطال قريش وشيطاناً من شياطينها [٨] ، وممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويلقون منه عناء بمكة [٩] .

إسلامه :

جلس عمير في (الحِجْر) مع صَفْوان بن أمية بعد مصاب أهل (بدر) من قريش ، فذكر أصحاب القليب ومُصابهم ، فقال صفوان : « قبح الله العيش بعد قتلى بدر » ، وقال عمير : « أجل ، ولولا دَيْنٌ عليّ لا أجد قضاءه ، وعيال لا أدع لهم شيئاً لخرجت الى محمد فقتلته إن ملأت عيني منه ، فان لي علّة أعتل بها ، أقول : قدمت على ابني هذا الأسير » [١٠] ففرح صفوان وقال : « عليّ دينك ، وعيالك أسوة عيالي في النفقة » ، وجهزّه صفوان وأمر بسيف فسُمّ وصقل ، وأقبل عمير حتى قدم المدينة ونزل بباب المسجد .

ونظر عمر بن الخطاب وهو في نفر من الأنصار يتحدثون عن وقعة (بدر) الى عمير ، فلما رآه معه السيف ، فزع وقال : « عدو الله الذي حزرنا للقوم يوم بدر » ؛ ثم قام فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « هذا عمير بن وهب قد دخل المسجد متقلداً سيفاً وهو الغادر الفاجر يا رسول الله ... لا تأمنه على شيء !! » ، فقال : « أدخله عليّ » [١١] .

وأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيف عمير ، وقال لرجال ممن كان معه من الأنصار : « أدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجلسوا عنده

---

(٨) الاستيعاب (١٢٢١/٣) .
(٩) سيرة ابن هشام (٣٠٦/٢) .
(١٠) أسر ابنه وهب بن عمير في (بدر) . انظر أسد الغابة (١٤٨/٤) وطبقات ابن سعد (١٩٩/٤) .
(١١) أسد الغابة (١٤٩/٤) سيرة ابن هشام (٣٠٧/٢) والاصابة (٣٦/٥) .

واحذروا عليه من هذا الخبيث ، فانه غير مأمون » ؛ ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه ، قال : « أرْسِلْه يا عمر . أُدْنُ يا عمير » ، فدنا وقال : « انعموا صباحاً » وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير ، بالسلام تحية أهل الجنة ! ... فما جاء بك يا عمير ؟ » قال : « جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه » . قال : « فما بال السيف في عنقك ؟ » . قال : « قبّحها الله من سيوف ، وهل أغنت عنا شيئاً ؟ ... إنما نسيته حين نزلت ! » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أصدقني ، ما أقدمك ؟ » . فقال : « قدمت في أسيري » ، قال : « فما شرطت لصفوان ابن أمية في الحِجْر ؟! » ، ففزع عمير وقال : « ما شرطت شيئاً ! ! » . « تحمّلت له بقتلي على أن يعول أولادك ويقضي دينك ، والله حائل بينك وبين ذلك » . فقال عمير : « أشهد أنك رسول الله ، وأشهد أن لا إله إلاّ الله » . ففرح به المسلمون ، وقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم : « فقّهوا أخاكم في دينه وأقرئوه القرآن وأطلقوا له أسيره » ؛ ففعلوا (١٢) .

وقال عمير : « يا رسول الله ! إني كنت جاهداً في إطفاء نور الله ، شديد الأذى لمن كان على دين الله عزّ وجل ، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة فأدعوهم الى الله تعالى والى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى الاسلام ، لعل الله يهديهم ، وإلا آذيتهم في دينهم كما كنت أوذي أصحابك في دينهم » ، فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم .

ولحق عمير بمكة ، وكان صفوان بن أمية حين خرج عمير يقول : « أبشروا بواقعة تأتيكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر » ، وكان صفوان يسأل عنه الركبان ، حتى قدم راكب فأخبره عن إسلام عمير ، فحلف ألا يكلّمه

---

(١٢) طبقات ابن سعد (٤/١٩٩ – ٢٠٠) والاصابة (٥/٣٦ – ٣٧) وأسد الغابة (٤/١٤٩) وسيرة ابن هشام (٢/٢٠٧ – ٢٠٨) .

أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً ؛ فلما قدم عمير مكة أقام بها يدعو الى الاسلام ويؤذي مَن خالفه أذىً شديداً ، فأسلم على يديه ناس كثير . (١٣)

ثم هاجر عمير الى المدينة ، فشهد (أُحُداً) وما بعد ذلك من المشاهد (١٤) ، وبعد فتح مكة المكرمة خرج صفوان بن أمية يريد (جُدَّة) ليركب منها الى اليمن ، فقال عمير : « يا نبي الله ، إن صفوان بن أمية سيد قومه ، وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه في البحر » ، فأمّنه الرسول صلى الله عليه وسلم وقال : « هو آمن » ، فقال عمير : « يا رسول الله ! فاعطني آية يعرف بها أمانك » ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التي دخل فيها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه وهو يريد أن يركب في البحر فقال : « يا صفوان ، فداك أبي وأمي ، اللهَ اللهَ في نفسك أن تهلكها ، فهذا أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به » فقال صفوان : « ويحك ! ! أغْرُب عني فلا تكلّمني » ، فقال : « أيْ صفوان ، فِداك أبي وأمي ، أفضل الناس وأبر الناس وأحلم الناس وخير الناس ... ابن عمك : عزّه عزك وشرفه شرفك وملكه ملكك » . قال : « إني أخافه على نفسي » ، فقال : « هو أحلم من ذاك وأكرم » ، فرجع معه حتى حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صفوان : « إن هذا يزعم أنك قد أمنتني » ، قال : « صدق ! » ، قال : « فاجعلني فيه بالخيار شهرين » ، قال : « أنت بالخيار فيه أربعة أشهر » (١٥) .

وبعد غزوتي (حنين) و (الطائف) ، أعطى النبي صلى الله عليه وسلم بعض المؤلفة قلوبهم وبعض رجالات قريش من فيىء هوازن بعض المال

---

(١٣) سيرة ابن هشام (٣٠٨/٢ – ٣٠٩) والاصابة (٣٧/٥) وأسد الغابة (١٤٩/٤ – ١٥٠)
(١٤) طبقات ابن سعد (٢٩٠/٤) .
(١٥) انظر سيرة ابن هشام (٣٨/٤) وجوامع السيرة لا بن حزم (٢٣٥) وهذا هو المعنى العملي لقوله تعالى : (لا إكراه في الدين) .

والأبل ، فأعطى لعمير أقل من مائة بعير مع من أعطاه من رجالات قريش [١٦] كما شهد غزوة (تبوك) [١٧] وهي آخر غزوة قادها النبي القائد بنفسه .

لقد حسن إسلام عمير [١٨] ، وبذل قصارى جهده لنشر الاسلام بالدعوة لاعتناقه ، وجاهد حق الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

جهاده :

شهد عمير (أُحُداً) وما بعدها من المشاهد تحت لواء الرسول صلى الله عليه وسلم ، كما جاهد المرتدين في أيام أبي بكر ؛ فلما عادت الوحدة الى شبه الجزيرة العربية وعادت رايات الاسلام ترفرف في ربوعها ، وابتدأ الفتح الاسلامي ، كان عمير مع الفاتحين في ساحات أرض الشام .

وقصد عمرو بن العاص مصر لفتحها ، فأمده عمر بن الخطاب بالرجال وعلى رأسهم بعض أبطال المسلمين المعروفين ـ وكان عمير أحد هؤلاء الأبطال الذين أمد بهم عمر بن الخطاب عمرو بن العاص [١٩] ؛ فكان لعمير وأصحابه الأبطال أثر كبير على انتصار المسلمين على الروم في معركة فتح حصن بابليون .

وبعد ان فتح عمرو الفسطاط وجّه عمير الى (تِنِّيس) و (دِمْيَاط) و (تُونْة) و (دَمِيرْة) و (شَطَا) و (دَقَهْلَة) و (بنام) و (بُوصِير) فغلب على أرضها وصالح أهل قراها على مثل صلح الفسطاط [٢٠] . وشهد بعد ذلك تحت لواء عمرو بن العاص معركة فتح الاسكندرية ، حيث أكمل المسلمون فتح مصر كلها .

---

(١٦) انظر سيرة ابن هشام (٤/١٤٠) و (٤/١٤٣) .
(١٧) سيرة ابن هشام (٤/١٧٥) .
(١٨) طبقات ابن سعد (٤/٢٠٠) .
(١٩) الاستيعاب (٣/١٢٢٢) .
(٢٠) البلاذري (٢١٨) .

الانسان :

كان عمير سيد قومه في الجاهلية على الرغم من فقره المدقع ، مما يدل على أنه تبوأ هذا المركز المرموق بين قومه بمزاياه الانسانية : شجاعته وكرمه ونخوته وشهامته .

وكان مخلصاً لعقيدته غاية الاخلاص : أخلص لعقيدته واندفع للدفاع عنها يوم كان مشركاً ، فلما أسلم وحسن اسلامه اندفع للدفاع عن عقيدته الجديدة باخلاص وحماس شديدين .

وقد عاش كل حياته فقيراً ، وكان بامكانه أن يصبح غنياً بعد الفتح ، ولكن كرمه وبذله ما يملك في سبيل عقيدته لم يبق له شيئاً من المال .

لقد بقي عمير بعد عمر بن الخطاب (٢١) وعاش الى صدر خلافة عثمان ابن عفان (٢٢) ، وتوفي حوالي سنة أربع وعشرين للهجرة (٦٤٤ م) .

القائد :

من دراسة حياة عمير العسكرية ، يتّضح لنا أنه كان يحسن الاستطلاع ، فقد حزر بالضبط عدد المسلمين في (بدر) ، ولكنه لم يكتف بذلك بل دقّق في استطلاعه ليطمئن الى عدم وجود مدد أو كمين للمسلمين .

وكان يحسن تقدير الموقف ، فقد نصح قريشاً ألا تقاتل المسلمين على الرغم من تفوّق قريش بالقدر والعُدد على المسلمين تفوقاً ساحقاً ، مما يدل على بعد نظره وذكائه الخارق .

وبالاضافة الى ذلك ، كان من أبطال قريش المعدودين : ذهب وحده لاستطلاع عدد المسلمين وعدّتهم في (بدر) على الرغم من خطورة هذا

---

(٢١) طبقات ابن سعد (٤/١٠٢) .

(٢٢) الاستيعاب (٣/١٢٢٢) وفي ابن الاثير (٣/٣٠) انه توفي في أيام عمر بن الخطاب . والظاهر انه توفي بعد عمر بقليل في صدر أيام عثمان بن عفان .

الواجب ، وجازف بالاقدام على اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم وهو في المدينة حصنه الحصين وبين أصحابه الذين يفدونه بأرواحهم وأولادهم وأموالهم ، وأقدم على الذهاب وحده الى مكة معقل المشركين يومذاك ليدعو الناس الى الاسلام... وكان أول من رمى بنفسه عن فرسه بين أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وأنشب الحرب يوم (بدر) .

قال له عمر بن الخطاب يوماً : « أنت الذي حزرتنا يوم بدر ؟ » ، فلم يتردد عمير من القول : « نعم ! وأنا الذي حرّشت بين الناس ، ولكن جاء الله بالاسلام ، وما كنا فيه من الشرك أعظم من ذلك ! ! » ... فقال عمر : « صدقت » (٢٣) .

والقائد الذكي الذي يحسن تقدير الموقف والاستطلاع ، يحسن نتيجة لذلك إعطاء القرارات الصائبة السريعة . كما أن شجاعته الخارقة ومكانته وقدره بين قريش دليلاً على تمتعه بشخصية نافذة وإرادة قوية ، لذلك كان موضع ثقة رجاله وحبهم .

إن مزايا قيادة عمير جعلت مجرد وجوده بين الرجال من عوامل رفع معنوياتهم واطمئنانهم الى النصر .

لقد كان عمير قائداً فذاً بكل مزايا القيادة الفذة .

عمير في التاريخ :

يذكر التاريخ لعمير جهوده المثمرة في سبيل نشر الاسلام في مكة ، ويذكر له شجاعته النادرة وبطولته الفذة وجهاده لاعلاء كلمة الله .

ويذكر له فتحه منطقة واسعة جداً من أرض الكنانة ونشره الاسلام ولغة القرآن في ربوعها .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، البطل المجاهد عمير ابن وهب الجُمَحي القرشي .

---

(٢٣) الاصابة (٥/٣٧) .

عقبة بن عامر الجهني

فاتح اسفل ارض مصر

(جنوبي مصر)

الصحابي :

هو عُقْبَة بن عامر بن عَبْس الجُهَني [1] من قضاعة بن مالك بن حمير [2] ؛ أسلم بعد هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم الى المدينة المنورة ، فقد ذكر عقبة أنه : « قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وأنا في غنم أرعاها ، فتركتها ثم ذهبت اليه فقلت : تبايعني يا رسول الله ؟ فقال : فمن أنت ؟ فأخبرته ! فقال : أيما أحب اليك ، تبايعني بيعة أعرابية أو بيعة هجرة ؟ فقلت : بيعة هجرة ! فبايعني » [3] . وقد صحب النبي صلى الله عليه وسلم [4] وكان من الصحابة المشهورين [5] ؛ ولم يشهد (بدراً) ولكنه شهد (أُحُداً) والمشاهد الأخرى بعد (أُحد) [6] ، وبذلك نال شرف الصحبة وشرف الجهاد تحت لواء الرسول القائد .

---

(١) طبقات ابن سعد (٣٤٣/٤) و (٤٩٨/٧) والاصابة (٢٥٠/٤) وأسد الغابة (٤١٧/٣) والاستيعاب (١٠٧٣/٣) .

(٢) طبقات ابن سعد (٣٤٤/٤) .

(٣) أسد الغابة (٤١٧/٣) وانظر أيضاً الاصابة (٢٥٠/٤ – ٢٥١) وطبقات ابن سعد (٣٤٣/٤ – ٣٤٤) .

(٤) طبقات ابن سعد (٤٩٨/٧) .

(٥) الاصابة (٢٥٠/٤) .

(٦) لم يرد ذكره مع أسماء الصحابة الذين شهدوا (بدراً) وقد ورد ذكره مع الذين شهدوا (احدا) . انظر طبقات ابن سعد (٣٤٣/٤ – ٣٤٤) .

المجاهد :

لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم شهد عقبة فتوح الشام ، وكان على البريد الى عمر بن الخطاب بفتح دمشق ؛ كما شهد فتح مصر [٧] تحت لواء عمرو بن العاص .

ولما فتح عمرو بن العاص الفسطاط ، وجّه عقبة الى سائر قرى أسفل الأرض ، فغلب على أرضها وصالح أهل قراها على مثل صلح الفسطاط [٨] .

وفي خلافة معاوية غزا عقبة البحر على رأس أهل مصر [٩] .

الانسان :

كان عقبه يعمل راعياً قبل إسلامه ، وبقي يعمل راعياً بعد اسلامه أيضاً ؛ وقد بعثه الرسول صلى الله عليه وسلم ساعياً لجمع الصدقات ، قال عقبة : « بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعياً ، فاستأذنته أن نأكل من الصدقات ، فأذن لنا » [١٠] .

وتولى أيام معاوية بن أبي سفيان أمر الخراج والصلاة بمصر ، ثم عزله معاوية وولاه قيادة المسلمين من أهل مصر في البحر [١١] .

لقد تحول الى مصر فنزل بها وبنى بها داراً [١٢] ؛ وتوفي سنة ثمان وخمسين بمصر [١٣] (٦٧٧ م) ، ودفن بالمقطم مقبرة أهل مصر [١٤] .

---

(٧) طبقات ابن سعد (٤٩٨/٧) والاصابة (٢٥١/٤) وأسد الغابة (٤١٧/٣) .
(٨) البلاذري ص (٢١٨) .
(٩) الطبري (١٧٣/٤) وابن الاثير (١٨١/٣) .
(١٠) مسند الامام أحمد بن حنبل (١٤٥/٤) .
(١١) الاصابة (٢٥١/٤) والاستيعاب (١٠٧٣/٣) .
(١٢) طبقات ابن سعد (٣٤٤/٤) وأسد الغابة (٤١٧/٣) .
(١٣) الاصابة (٢٥١/٤) وأسد الغابة (٤١٧/٣) والاستيعاب (١٠٧٣/٣) وابن الاثير (٢٠٤/٣) .
(١٤) طبقات ابن سعد (٤٩٨/٧) .

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم خمسة وخمسين حديثاً[15] ؛ وكان قارئاً من أحسن الناس صوتاً بالقرآن[16] ، عالماً بالفرائض والفقه ، فصيح اللسان شاعراً كاتباً ، وهو أحد مَنْ جمع القرآن[17] ؛ وكان مثالاً رفيعاً للخلق الكريم ، وكان يردد ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ويطبقه على نفسه ، فقد قال له : « يا عقبة بن عامر ! أملك لسانك وابك على خطيئتك ، وليسعك بيتك » ؛ وقال له : « صِلْ مَن قطعك واعط من حرمك واعف عمن ظلمك »[18] .

وكان يخضب بالسواد وكان يقول : « نغيّر أعلاها وتأبى أُصولها »[19] ؛ وقد أنفق ماله في سبيل الله فلما حضرته الوفاة كان له بضع وستون أو بضع وسبعون قوساً مع كل قوس قرن ونبل أوصى بهن في سبيل الله[20] !.

القائد

كان عقبة من هواة الجهاد في سبيل الله ، وكان الجهاد العمود الفقري لحياته كلها ؛ حتى أحاديث الحث على الجهاد ومتطلباته رواها عن الرسول القائد ؛ فقد روى حديث : « إن الله عز وجل يدخل بالسهم الواحد ثلاثة نفر الجنة : صانعه المحتسب في صنعته الخير والرامي به ومنبله » ؛ وقال : ارموا واركبوا ، ولأن ترموا أحب الي من أن تركبوا » . وهو الذي روى حديث : «كل ميت يختم على عمله إلا المرابط في سبيل الله ، فانه

---

(١٥) اسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد لا بن حزم – ملحق بجوامع السيرة ص (٢٧٩) . وانظر تفاصيل حديث عقبة بن عامر الجهني في مسند الامام احمد بن حنبل (١٤٣/٤–١٥٩)

(١٦) أسد الغابة (٤١٧/٣) .

(١٧) الاصابة (٢٥٠/٤) .

(١٨) مسند الامام أحمد بن حنبل (١٥٨/٤) .

(١٩) طبقات ابن سعد (٣٤٤/٤) و (٤٩٨/٧) وأسد الغابة (٤١٧/٣) .

(٢٠) مسند الامام احمد بن حنبل (١٤٨/٤) .

يجري له أجر عمله حتى يبعث » . وهو الذي قال : « سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول وهو على المنبر : وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة... ألا إنّ القوة الرمى ، ألا إن القوّة الرمى ، ألا إنّ القوة الرمى » .

وكان يحبّ الرمي ويروى عن الرسول صلى الله عليه وسلم قوله : « من علم الرمى ثم تركه بعد ما علمه فهي نعمة كفرها » ، وكان يلهو بالرمي ويروى عن النبي الكريم قوله : « ستفتح عليكم أرضون ويكفيكم الله عز وجل ، فلا يعجز أحدكم أن يلهو بأسهمه »(٢١) ، لذلك كان كل رأس ماله الذي تركه بعد وفاته بضع وستون أو بضع وسبعون قوساً مع توابعها !

لقد ذكرنا في مزاياه إنساناً إنه كان عالماً فقيهاً محدّثاً ذا خلق رفيع ؛ وهذا يدل على تمتعه بعقلية راجحة تساعده على إعطاء القرارات الصائبة ، كما تجعله موضع ثقة ومحبة رجاله الذين يبادلهم ثقة بثقة وحباً بحب .

كما أن توليه القيادة والأمارة دليل على تمتعه بشخصية نافذة وإرادة قوية بالاضافة الى ماضيه الناصع المجيد في صحبته وجهاده .

عقبة في التاريخ :

يذكر التاريخ لعقبة فتحه منطقة أسفل أرض مصر – تلك المنطقة الغنية الواسعة العامرة بالخيرات .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، القائد الفاتح ، عقبة بن عامر الجهني .

---

(٢١) انظر مسند احمد بن حنبل (٤/١٤٨ – ١٥٧) .

عُبَادَة بن الصَّامِت الأنصاري الخزرجي

فاتح مدينة إنطرطوس[1] من ارض الشام
والاسكندرية من أرض مصر

(ارجع الى مكانك فقبح الله ارضاً لست فيها ولا امثالك)

(عمر بن الخطاب)

مع النبي :

قدم مكة الحَيْسَر أُنيس بن رافع[2] في مائة من قومه من بني عبد الأشهل يطلبون الحلف مع قريش ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسلام ، فقال اياس بنُ معاذ[3] وكان شاباً حدثاً : « يـا قوم ، هذا والله خير مما جئنا له ! » ، فضربه الحيسر وانتهره ، فسكت ! ولم يتم له الحلف ، فانصرفوا الى المدينة .

ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي عند (العَقَبَة)[4] ستة نفر

---

(١) انطرطوس : بلد من سواحل بحر الشام ، وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص ، وهي مطلة على البحر في شرقي عرقة بينهما ثمانية فراسخ ولها برجان حصينان كالقلعتين. راجع التفاصيل في معجم البلدان (٣٥٩/١) .

(٢) الحيسر أنيس بن رافع أبو الجيش الاوسي : قدم على النبي صلى الله عليه وسلم مكة فأتاهم النبي فأسلموا وفي رواية أنه لم يسلم وله ابن شهد بدراً وابنة تزوجها عبد الرحمن بن عوف . راجع الاصابة (١٣٦/١) .

(٣) اياس بن معاذ **الأنصاري** الاشهلي : مات في عهد النبي صلى الله عليه وسلم فيمن مات من المهاجرين الاولين والانصار . قدم مكة وهو غلام قبل الهجرة **فرجع الى المدينة ومات قبل هجرة** النبي صلى الله عليه وسلم **اليها** ، وقد ذكر قومه أنه مات مسلماً . راجع الاصابة (٩٢/١) وأسد الغابة (١٥٨/١) والاستيعاب (١٢٥/١) .

(٤) العقبة : العقبة هو الجبل الطويل يعرض للطريق . والعقبة : منزل في طريق مكة بعد واقصة=

من الأنصار كلهم من الخزرج ، فدعاهم الى الاسلام فآمنوا وأسلموا ، وقالوا : « إنا قد تركنا قومنا وبينهم حروب فننصرف اليهم وندعوهم الى ما دعوتنا اليه ، فعسى الله أن يجمع كلمتهم بك ، فان اتبعوك فلا أحد أعز منك » .

وانصرفوا الى المدينة فدعوا الى الاسلام حتى فشا فيهم ، ولم يبق دار من دور الانصار الا وفيها ذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ حتى اذا كان العام القادم ، قدم الانصار اثنا عشر رجلاً ، منهم خمسة من الستة الذين ذكرنا وحضرها سبعة آخرون كان أحدهم عُبَادة بن الصامت ابن قيس الانصاري الخزرجي (٥) .

وشهد عبادة العقبة الثانية ، وبايع مع من بايع من الانصار على أن يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم وأزرهم ، وأن يرحل اليهم وأصحابه (٦) .

لقد كان عبادة أحد النقباء الاثني عشر ، وقد آخى رسول الله صلى الله

وقبل القاع لمن يريد مكة . وهو ماء لبني عكرمة بن بكر بن وائل . راجع التفاصيل في معجم البلدان (١٩١/٦) .

(٥) أ . النفر الستة الذين لقيهم الرسول صلى الله عليه وسلم هم ا . أبو أمامة أسعد بن زرارة . ٢ . عوف بن الحارث . ٣ . رافع بن مالك . ٤ . قطبة بن عامر . ٥ . عقبة بن عامر . ٦ . جابر ابن عبد الله .

ب . لم يحضر جابر بن عبد الله في العام القادم ، وحضرها خمسة فقط ممن ذكرنا أعلاه كما حضرها سبعة آخرون هم : ١ . معاذ بن الحارث . ٢ . ذكوان بن عبد قيس . ٣ . عبادة بن الصامت . ٤ . يزيد بن ثعلبة . ٥ . العباس بن عبادة . وهؤلاء الخمسة من الخزرج ، وحضرها اثنان من الاوس هما : ١ . مالك بن تيهان ٢ . عويم بن ساعدة .

جـ . راجع التفاصيل في طبقات ابن سعد (٢١٧/١ — ٢٢٠) وسيرة ابن هشام (٣٦/٢ — ٤٠) وجوامع السيرة (٦٩ — ٧٢) .

(٦) ا . الازر : جمع ازار ، وهو كناية عن المرأة والنفس ، والثانية هي المقصودة منها .

ب . سيرة ابن هشام (٥٠/٢ — ٥٢) وطبقات ابن سعد (٢٢١/١ — ٢٢٣) وجوامع السيرة (٧٤ — ٧٦) وانظر تهذيب ابن عساكر (٢٠٨/٧) .

عليه وسلم بينه وبين أبي مَرْثَد الغنوي (٧) . وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (٨) فكان عَقَبياً نقيباً بدرياً أنصارياً (٩) ؛ وقد استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعض الصدقات وقال له : « اتق الله ! لا تأتي يوم القيامة ببعير تحمله له رغاء ، أو بقرة لها خوار ، أو شاة لها ثؤاج » ، قال : « فوالذي بعثك بالحق ، لا أعمل على اثنين » ، وكان قد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على ألا يخاف في الله لومة لائم (١٠) .

وكان بنو قَيْنُقَاع حلفاء عبدالله بن أُبيّ بن سَلُول (١١) ، كما كانوا حلفاء عبادة ، فلما حاربت بنو قنينقاع رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عبد الله بن أبي دونهم فقال : « يا محمد ! أحسن في موالي » ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى رأوا لوجهه ظُلَلاً (١٢) ؛ أما عبادة فقد مشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فخلعهم وتبرأ من حلفهم ، وقال : « يا رسول الله ! أتولى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم » ؛ ففيه وفي عبد الله بن أُبيّ نزل قول الله : (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ، بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فانه منهم ، ان الله لا يهدي القوم الظالمين)(١٣)

---

(٧) أبو مرثد الغنوي : اسمه كناز بن الحصين ، شهدا بدراً وكان حليفا لبني هاشم ، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثاً واحداً ، وقد سكن الشام . راجع طبقات ابن سعد (٣/٤٧) والاصابة (٧/١٧٤) وأسد الغابة (٤/٢٥٤) والاستيعاب (٤/١٧٥٤) .

(٨) طبقات ابن سعد (٣/٥٤٦) والاصابة (٤/٢٧) وأسد الغابة (٣/١٠٦) والاستيعاب (٢/٨٠٨) وتهذيب ابن عساكر (٧/٢٠٨) والمعارف (٢٥٥) .

(٩) طبقات ابن سعد (٣/٥٤٦) وأسد الغابة (٣/١٠٧) وتهذيب ابن عساكر (٧/٢٠٨) .

(١٠) أسد الغابة (٣/١٠٦ — ١٠٧) وتهذيب ابن عساكر (٧/٢٠٧) .

(١١) عبد الله بن أبي بن سلول : هو زعيم المنافقين بالمدينة .

(١٢) الظلل : جمع ظلة وهي في الاصل السحابة. فاستعارها هنا لتغير وجه النبي صلى الله عليه وسلم.

(١٣) الآية الكريمة من سورة المائدة (٥ — ٥١) ، وانظر القصة في سيرة ابن هشام (٢/٤٢٨ — ٤٢٩) والاصابة (٤/٢٨) وتهذيب ابن عساكر (٧/٢٠٨ — ٢٠٩) .

وقد أمر الرسول القائد أن يُجلوا من المدينة وولى اخراجهم منها عبادة [١٤].

لقد كان عبادة مثالاً للامانة والاخلاص والايمان العميق.

جهاده :

كتب يزيد بن أبي سفيان الى عمر بن الخطاب: «قد احتاج أهل الشام الى من يعلمهم القرآن ويفقههم»، فأرسل عمر معاذ بن جبل وعبادة وأبا الدرداء [١٥]، فأقام عبادة بحمص [١٦] فاستخلفه عليها أبو عبيدة ابن الجراح عندما سار لفتح (اللاذقية) ثم صرفه لفتح (انْطَرْطوس) ففتحها [١٧].

وشهد فتح مصر وكان أمير ربع المدد [١٨]؛ فقد أشفق عمر بن الخطاب على عمرو بن العاص فأرسل الزبير بن العوام في أثره في اثني عشر ألفاً، وفي رواية أن عمراً مدَّ عمراً بأربعة آلاف رجل، على كل ألف رجل منهم رجل مقام ألف: الزبير بن العوام والمقداد بن الأسود وعبادة بن الصامت وخارجة ابن حذافة [١٩] وقال عمر: «إني قد أمددتك بأربعة آلاف رجل على كل

---

(١٤) طبقات ابن سعد (٢/٢٩). وفي تهذيب ابن عساكر (٧/٢٠٩): «أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبادة بتخلية بني قينقاع فجعلوا يقولون: يا أبا الوليد بين الاوس والخزرج ونحن مواليك، فعلت هذا بنا ؟! » فقال لهم: لما حاربتم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت له: إني أبرأ اليك منهم ومن حلفهم» ... الخ.

(١٥) الاصابة (٤/٢٨) وتهذيب ابن عساكر (٧/٢١٠).

(١٦) أسد الغابة (٣/١٠٦) وفي الاصابة (٤/٢٨) انه اقام بفلسطين، ونرجح انه اقام بحمص لانه يتسق مع سير الحوادث. انظر تهذيب ابن عساكر (٧/٢١٠).

(١٧) البلاذري (١٣٩) ومعجم البلدان (١/٣٥٩) وفي البلاذري (١٣٨) انه فتح اللاذقية ايضاً، وهذا مرجوح في نظرنا اذ ان فتحها كان على يدي أبي عبيدة بن الجراح.

(١٨) الاصابة (٤/٢٨) وتهذيب ابن عساكر (٧/٢٠٨).

(١٩) خارجة بن حذافة: كان يعد بألف فارس وهو من مسلمة الفتح وأمد به عمر عمرو بن العاص فشهد معه فتح مصر، وكان على شرطة عمرو، فيقال ان عمرو بن العاص استخلفه على الصلاة ليلة قتل علي بن ابي طالب، فقتله الخارجي الذي انتدب لقتل عمرو بن العاص وقال: «أردت عمراً وأراد الله خارجة». راجع طبقات ابن سعد (٧/٤٩٦) والاصابة (٢/٨٤): وأسد الغابة (٢/٧١) والاستيعاب (٢/٤١٨).

الف رجل منهم مقام الف » [٢٠] .

وأرسل المقوقس يقول : « ابعثوا الينا رسلاً منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم الى ما عساه يكون فيه صلاح لنا ولكم » ؛ فبعث عمرو عشرة نفر أحدهم عبادة ، وكان أسود اللون [٢١] ضخماً طويلاً ، وأمره أن يكلم القوم وألا يجيبهم الى شيء دعوه اليه إلا إحدى هذه الخصال الثلاث [٢٢] ودخل القوم على المقوقس وأراد عبادة مخاطبته ، فلما رآه قال : « نحوا عني هذا الأسود وقدموا غيره يكلمني » ، فأجابوه جميعاً : بأنهم يرجعون الى قول عبـــادة ورأيه . وتكلم عبادة وذكر ما أمر الله ورسوله المسلمين به من الزهد في الدنيا والرغبة في الآخرة ، والجهاد في الله وحب الاستشهاد في سبيله . فقال المقوقس لعبادة : « لقد توجه الينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده ، قوم معروفون بالنجدة والشدة ممن لا يبالي أحدهم من لقى ولا من قاتل ؛ وانا لنعلم أنكم لن تقدروا عليهم لضعفكم وقلتكم ، وقد أقمتم بين أظهرنا شهراً وأنتم في ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ، ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بأيديكم ، وتطيب أنفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين ولاميركم مائة دينار ولخليفتكم ألف دينار ، فتقبضونها وتنصرفون الى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوة لكم به » ، فأجاب عبادة مزدرياً جمع الروم وعددهم ، ذاكراً قوله تعالى : (كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، والله مع الصابرين) ، وأن كل رجل من المسلمين يدعو ربه صباحَ مساءَ أن يرزقه الشهادة ، وأنهم الى ذلك في

---

(٢٠) معجم البلدان (٣٧٨/٦) وفتوح مصر والمغرب (٩١) .

(٢١) في الاصابة (٢٨/٤) انه كان جميلا ، وهذا بالنسبة للعرب ، وهو أسود بالنسبة للروم فلا تناقض بين ما جاء في الاصابة وما جاء في أعلاه .

(٢٢) هي : ١ . الاسلام . ٢ . الجزية ٣ . القتال : اذا اسلموا كانوا كالمسلمين سواء ، والا الجزية ، فاذا لم يسلموا ولم يدفعوا الجزية ، فليس لهم الا السيف .

أوسع السعة من معاشهم وحالهم ، ثم قال : « فانظر الذي تريد فبيّنه لنا ، فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك أو نجيبك اليها الا خصْلَة من ثلاث ، فاختر أيّها شئت ولا تطع نفسك في الباطل . بذلك أمرني الأمير ، وبها أمره أمير المؤمنين ، وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل الينا » . ثم ذكر له انهم إن أسلموا انصرف العرب عنهم ، وان أبوا الاسلام وأدوا الجزية أدخلهم المسلمون في حمايتهم ودافعوا عنهم ، وان أبوا الاسلام والجزية جميعاً ، فليس الا الحرب .

وحاول المقوقس عبثاً أن يصرف عُبادة الى خصلة غير هذه الخصال الثلاث ، والتفت الى مَن معه يستطلع رأيهم فأبوا اجابة المسلمين الى شيء مما طلبوا ؛ فانصرف عبادة وأصحابه لم يغيّروا مما قالوه حرفاً .

ونشب القتال بين الطرفين حول حصن (بابليون) فأحرز المسلمون النصر بعد أيام معدودة من مفاوضة عبادة والمقوقس (٢٢أ) .

وشهد عبادة معارك فتح مصر تحت لواء عمرو بن العاص ، وهو الذي فتح الاسكندرية ، فقد كتب عمر بن الخطاب الى عمرو : « أما بعد فقد عجبت لابطائكم عن فتح مصر . انكم تقاتلونهم منذ سنتين ، وما ذلك الا لِمَ أحدثتم وأحببتم من الدنيا ما أحب عدوكم . وان الله تبارك وتعالى لا ينصر قوماً الا بصدق نياتهم . وقد كنت وجهت اليك أربعة نفر وأعلنتك أن الرجل منهم مقام ألف رجل على ما كنت أعرف الا أن يكونوا قد غيرهم ما غير غيرهم . فاذا أتاك كتابي هذا فاخطب الناس وحضهم على قتال عدوهم ورغبهم في الصبر والنية ، وقدّمْ أولئك الاربعة في صدر الناس ، ومُر الناس جميعاً أن يكون لهم صدمة كصدمة رجل واحد ، وليكن ذلك عند زوال يوم الجمعة ، فانها ساعة تنزل الرحمة ووقت الاجابة ، وليعج الناس الى الله ويسألونه النصر على عدوهم » ..

(٢٢أ) الفاروق عمر للدكتور هيكل (٢/١١٤–١١٦) وفتوح مصر والمغرب ص (٩٨ –١٠٣)

وتلا عمرو كتاب أمير المؤمنين وأخذ يفكر في خطة يفتح بها الاسكندرية ، ثم دعا عبادة فعقد له ففتح الله على يديه الاسكندرية [٢٣] .

وعاد الى أرض الشام فشهد مع معاوية بن أبي سفيان فتح جزيرة قُبْرُس [٢٤] ، وكان له أثر حاسم في فتح هذه الجزيرة .

الانسان :

كان عبادة من المسلمين الأولين وكان نقيباً وشهد العقبة الأولى والثانية والثالثة [٢٥] ، وكان يقول : « أنا من النقباء الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة » [٢٦] وكان ممن جمع القرآن الكريم في عهد النبي صلى الله عليه وسلم [٢٧] ، وقد بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم على ألا يخاف في الله لومة لائم [٢٨] ، فكان في كل عمره يعمل بذلك . كان معاوية قد خالفه في شيء أنكره عليه عبادة في الصرف ، فاغلظ له معاوية في القول ، فقال له عبادة : « لا أساكنك بأرض واحدة أبداً » ، ورحل الى المدينة ، فقال له عمر : « ما أقدمك ؟ » فأخبره ، فقال عمر : « ارجع الى مكانك ، فقبح الله أرضاً لست فيها ولا أمثالك » . وكتب الى معاوية : « لا إمرة لك على عبادة ! » [٢٩] . وقد ذكر معاوية الفرار من الطاعون ، فأنكر ذلك عليه عبادة ، فقام معاوية عند المنبر بعد صلاة العصر ، فقال : « الحديث كما حدثني عبادة ، فاقتبسوا منه ، فهو أفقه

---

(٢٣) الفاروق عمر للدكتور هيكل (٢/١٤٢ - ١٤٣) وفتوح مصر والمغرب ص (١١٦ - ١١٧) .

(٢٤) البلاذري ص (١٥٨ - ١٥٩) وابن خلدون (٢/١٣٠) ملحق .

(٢٥) الاستيعاب (٢/٨٠٨) .

(٢٦) الاصابة (٤/٢٧) .

(٢٧) الاصابة (٤/٢٨) وأسد الغابة (٣/١٠٦) .

(٢٨) أسد الغابة (٣/١٠٦) وتهذيب ابن عساكر (٧/٢٠٨) .

(٢٩) الاستيعاب (٢/٨٠٨) وأسد الغابة (٣/١٠٦) وتهذيب ابن عساكر (٧/٢١١) .

مني » . ولعبادة قصص متعددة مع معاوية وانكاره عليه أشياء ، وفي بعضها رجوع معاوية له ، وفي بعضها شكواه الى عثمان منه ، وكل ذلك يدل على قوته في دين الله وقيامه في الأمر بالمعروف [٣٠] .

ولماذا نعجب من ذلك ، وقد كان عبادة يعاتب حتى عمر بن الخطاب ، فقد قال عمر لجبلة بن الأيهم : « إن أقمت على دينك فأدِ الجزية » فأنف منها جبلة ، فقال له عمر : « ما عندنا لك الا واحدة من ثلاث : اما الاسلام ، وأما أداء الجزية ، وأما الذهاب الى حيث شئت » ، فدخل بلاد الروم ؛ فلما بلغ ذلك عمر ندم وعاتبه عبادة فقال : « لو قبلت منه الصدقة ثم تألفته لأسلم » [٣١] .

لقد أرسله عمر الى الشام يعلمهم القرآن ويفقههم [٣٢] ، وكان قبل ذلك يعلم أهل الصفة القرآن في زمن النبي صلى الله عليه وسلم [٣٣] ، وكان أول من ولي قضاء فلسطين [٣٤] ، وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم مائة حديث وأحد وثمانين حديثاً [٣٥] ، وكان أحد أصحاب الفتيا من الصحابة [٣٦] وكان قد تفقه في دين الله [٣٧] .

ولاه أبو عبيدة امرة حمص ثم صرفه الى الجهاد [٣٨] ، ولما توفي

---

(٣٠) الاصابة (٤/٢٨) وتهذيب ابن عساكر (٧/٢١٠ – ٢١١) .

(٣١) البلاذري ص (١٤٢) . وفي رواية اخرى ان جبله فر الى الروم لانه لطم رجلا من مزينة فأمره عمر بالاقتصاص ، فأنف جبلة من ذلك !

(٣٢) الاصابة (٤/٢٨) .

(٣٣) أسد الغابة (٣/١٠٦) وكان أهل الصفة من فقراء المسلمين .

(٣٤) الاصابة (٤/٢٨) وتهذيب ابن عساكر (٧/٢٠٨) .

(٣٥) أسماء الصحابة وما لكل واحد من العدد – لا بن حزم – ملحق بجوامع السيرة ص (٣٧٧)

(٣٦) أصحاب الفتيا من الصحابة ومن بعدهم على مراتبهم في كثرة الفتيا – لا بن حزم – ملحق بجوامع السيرة ص (٣٢٠) .

(٣٧) الاصابة (٤/٢٨) .

(٣٨) الاصابة (٤/٢٨) .

أبو عبيدة ولاه عمر حمص[٣٩] ثم صرفه الى الجهاد في مصر ، ولكنه عاد الى أرض الشام فلم يزل بالشام حتى توفي بالرملة وقيل ببيت المقدس سنة أربع وثلاثين (٦٥٤ م) وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ، أي أنه ولد سنة ثمان وثلاثين قبل الهجرة (٥٨٦ م) ، وكان رجلاً طويلاً جسيماً جميلاً ، وله عقب[٤٠] .

لقد كان عبادة من سادات الصحابة ، وكان محدّثاً فقيهاً عالماً ورعاً غاية الورع ، يعمل لعقيدته أكثر مما يعمل لنفسه ، بل قد نسي نفسه من أجل عقيدته .

القائـــد :

كا عبادة رجلاً معدوداً بألف رجل ، وقيمته المرموقة هذه لها سببان : شجاعته الشخصية واقدامه أولاً ، وعقيدته الراسخة وايمانه العميق ثانياً .

كان وجوده – مجرد وجوده – في جيش من جيوش المسلمين كافياً لرفع معنويات ذلك الجيش واقدامه على تحمل أشق أعباء القتال ... اذ كان يثير في نفوسهم النخوة والنجدة بمثاله الشخصي في التضحية والاقدام ، كما كان يفجر في نفوسهم ينابيع الايمان بالقضاء والقدر والتطلع الى الشهادة في سبيل الله .

لم يكن عبادة يكترث بالموت ، بل كان يسعى اليه سعياً حثيثاً ، وكان شعوره هذا ينتقل الى نفوس من يحيط بهم فيعمل في نفوسهم عمل السحر الحلال .

---

(٣٩) البلاذري (١٤٥) .

(٤٠) طبقات ابن سعد (٥٤٦/٣) و (٣٨٦/٧) والاصابة (٢٨/٤) وأسد الغابة (١٠٦/٣) والاستيعاب (٨٠٨/٢) والمعارف (٢٥٥) وتهذيب ابن عساكر (٢١٤/٧) وفي شذرات الذهب (٤٠/١) : انه توفي سنة خمس وثلاثين هجرية .

لقد كان بالاضافة الى تمسكه الشديد بعقيدته وتفانيه في خدمتها ، راجح العقل ألمعي الذكاء ، يبذل قصارى جهده للحصول على معلومات كافية عن عدوه ، لذلك كانت خططه صائبة دائماً . كما كان لماضيه المجيد في خدمة الاسلام أثر كبير في حب رجاله له وثقتهم الكاملة به ، وكان بدوره يبادلهم حباً بحب وثقة بثقة .

وكان يدقق كثيراً (في اختيار مقصده وادامته) ويبذل كل جهده لانجاز (تحشيد قوته) ويحرص غاية الحرص على عدم اعطاء خسائر لا مبرر لها بالارواح وذلك باتخاذ تدابير (الامن) ، وكان (يديم معنويات) رجاله ويؤمن لهم احتياجاتهم (الادارية) .

ان عبادة قائد عقائدي من الطراز النادر .

عبادة في التاريخ :

يذكر التاريخ لعبادة أنه كان أحد اثني عشر نقيباً كان لهم الأثر البعيد في نشر الاسلام بين الاوس والخزرج من أهل المدينة المنورة ، فمهدوا بذلك لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه اليها وجعلها القاعدة الامينة لنشر الاسلام بعد الهجرة .

ويذكر له جهاده المتواصل تحت لواء الرسول القائد لحماية حرية نشر الدعوة الاسلامية .

ويذكر له جمعه القرآن الكريم ، وروايته لكثير من السنة النبوية ، وعمله الدائب في تفقيه الناس بالمدينة وأرض الشام .

ويذكر له أنه كان من أوائل قضاة المسلمين الذين كانوا بأقوالهم وأعمالهم أسوة حسنة لقضاة المسلمين في كل زمان ومكان .

ويذكر له صلابته الفذة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تجاه أمير المؤمنين وأمراء الامصار وقادة الجيوش .

ويذكر له فتحه بلداً في أرض الشام و مدينة في مصر ، واثارته ينابيع التضحية والفداء في جيوش المسلمين المجاهدة لفتح الشام ومصر .

إنه أمة في رجل ... انه مدرسة كاملة ... انه نسيج وحده .

رضي الله عن الصحابي الجليل ، النقيب الأمين ، المحدث الفقيه ، القاضي العادل ، القائد الفاتح ، عبادة بن الصامت الانصاري .

الخاتمة

أثر الإسلام في العرب

« واذكروا نعمة الله عليكم ، إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم ، فأصبحتم بنعمته إخوانا ، وكنتم على شفا حفرة من النار ، فأنقذكم منها » .

(القرآن الكريم)

أثر الإسلام في العرب

- ١ -

هناك إفراط وتفريط في وصف العربي ، فللشعوبيين رأيهم الخاص في وصف العربي يتّسم بالتجني ، وللعرب المتطرفين رأيهم الخاص أيضاً يتّسم بالتحيّز ؛ ومن مناقشة تلك الآراء وآراء المحدثين من العرب والمستشرقين بروح علمية منصفة ، نستطيع ان نصف العربي الجاهلي [١] بأنه : عصبي المزاج ، سريع الغضب ، وهو أشد هياجاً إذا جرحت كرامته أو انتهكت حرمة قبيلته ؛ وإذا اهتاج أسرع الى السيف واحتكم اليه . والعربي ذكي يظهر ذكاؤه في لغته ، وكثيراً ما يعتمد على اللمحة الدالة والاشارة البعيدة ، كما يظهر في حضور بديهته .

والعربي ميال الى الحرية الشخصية ، فلا يدين بالطاعة لرئيس ولا حاكم ، وهو يحب المساواة في حدود القبيلة ، يعتد بقبيلته ثم بجنسه ويشعر في أعماق نفسه بأنه من دم ممتاز [٢] .

وكان أكثر العرب يعبدون الأصنام والأوثان ، فكانت الوثنية هي الدين السائد في جزيرة العرب .

وكان العرب في الجزيرة العربية قسمين : بدواً وحضراً ، وكان البدو هم القسم الغالب .

---

(١) الجاهلية ليست من الجهل الذي هو ضد العلم ، ولكن من الجهل الذي هو السفه والغضب والانفة . انظر فجر الاسلام (٨٦/١) .

(٢) فجر الاسلام (٤٦/١ - ٤٧) .

وكان البدو ولا يزالون يحتقرون الصناعة والزراعة والتجارة والملاحة ، إنما يعيشون على ما تنتجه ماشيتهم : يأكلون لحومها بعد علاج بسيط ، ويشربون ألبانها ، ويلبسون أصوافها ، ويتخذون منها مساكنهم ؛ وهم يعتمدون في تغذية ماشيتهم على الكلأ ، واذا احتاجوا الى غير ما تنتجه ماشيتهم تعاملوا من طريق البدل ، فكانوا يستبدلون بالماشية ونتاجها ما يتطلبون من تمر ولباس .

ونوع آخر اتخذوه أيضاً وسيلة من وسائل العيش ، وهو الغارة والسلب ، فيغيرون على قبيلة معادية فيأخذون جمالهم ويسبْون نساءهم وأولادهم . وتتربّص بهم القبيلة الأخرى لتفعل بهم مثل ما فعلوا بها ، بل هم إذا لم يجدوا عدواً من غيرهم قاتلوا أنفسهم ، ولعل خير ما يمثل ذلك هو قول القطامي :

ومن تكن الحضارة أعجبته
فأي رجال بادية ترانا

ومن ربط الجَحاش فإن فينا
قَناً سُلُبا (٣) وأفراساً حسانا

وكُنَّ إذا أغرن على قَبيل
فأعوزهُن نهبٌ حيث كانا (٤)

أغرن على الضباب على حلال
وضبّة ، إنه من حان حانا (٥)

---

(٣) قناً : جمع قناة ، وسلباً : أي طوال .

(٤) القبيل : الجمع من الناس .

(٥) الضباب : اسم قبيلة . والحلال : المجاور ، يقال : حي حلال ، أي مجاور مقيم بالقرب منه . يقول : أغرن على الحي المجاور لحيهم من قبيلتي ضباب وضبة . وقوله : من حان حانا ، أي من جاء أجله ، فهو لا بد هالك .

وأحياناً علـى بكر أخينـا

إذا ما لم نجـد إلاّ أخـانا

ومن أجل ذلك ، كثيراً ما تضطر القبيلة التي ضعفت الى الاحتماء بقبيلة قوية تذود عنها ، ولكن قلّ أن يدوم حلفهم أو يطول ، بل سرعان ما ينتقض اجتماعهم وتنفصم وحدتهم ؛ فينقلب المتحالفون أعداء متحاربين . أفراد القبيلة متضامنون أشد ما يكون من تضامن ، ينصرون أخاهم ظالماً أو مظلوما ، يسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم .

لا يسألون أخاهم حين يندبهم

في النائبات على ما قال برهانا

والممعن في البداوة منهم ضعيف الايمان بدين ، قلّ أن يؤمن إلا بتقاليد قبيلته وما ورثه عن آبائه : (الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله ، والله عليم حكيم) [٦] .

مثله الأعلى في الأخلاق ، يرتكز على ما سماه : (المروءة) ، تغنى بها في شعره وأدبه ؛ ومن الصعب أن تحدّها حداً دقيقاً ، ولكن يصح أن تقول : إنها تعتمد على الشجاعة والكرم ؛ أما شجاعته فتتجلى في كثرة من نازله وقاتله ، وفي مواقف دفاعه عن قبيلته ، وأكثر من هذا في نجدته . وأما كرمه فيتجلى في نحر الجزور للضيف ، واغاثة البائس والفقير ، وفوق هذا أن يعطي أكثر مما يأخذ ، وأن يغشى الوغى ويعف عند المغنم .

لقد كانت الحروب عندهم أساساً لحياتهم .

أما الحضر من العرب فهم أرقى من ذلك كثيراً ، يسكنون المدن ويقرّون فيها ، ويعيشون على التجارة أو الزراعة ، وقد أسسوا قبل الاسلام ممالك

---

(٦) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٩٧) .

ذات مدنية كاليمن ، والغساسنة في الشام ، والمناذرة في العراق [٧] .

لقد كان في العرب مواد أولية ممتازة : الذكاء الفطري ، وحب الحرية والمساواة ، والشجاعة والاقدام ، والكرم والسخاء ؛ فعمل الاسلام على تطويرها وصقلها والافادة منها ، ونجح في مسعاه أعظم النجاح .

كما كان في العرب مواد أولية رديئة : تفرق كلمتهم ، وفقدان الضبط والنظام بينهم ، وعبادة الأوثان والأصنام ، وسيطرة روح القبيلة عليهم ؛ فعمل الاسلام على محاربتها والقضاء عليها ، وانتصر عليها انتصاراً باهراً .

— ٣ —

جاء الاسلام الذي عماده الخضوع لله والانقياد له ، فكان في تعاليمه الدواء الناجع لعقلية الجاهلية : عقلية الأنفة والحمية .

إن تعاليم الاسلام هي قسمان : عقائد وأعمال .

أما (العقائد) ، فان أهم أصل من أصول الاسلام ، هو الاعتقاد بالله ؛ والاسلام يصف الله تعالى بأوصاف – كما ورد في القرآن الكريم – بأنه ليس إله قبيلة ولا إله أمة وحدها ، ولا إله الناس وحدهم ، بل هو إله كل شيء : (رب العالمين) [٨] ، وكل شيء في الوجود مخلوق له وخاضع لأمره : (لله ما في السموات وما في الأرض) [٩] .

وكل شيء من مظاهر الكون خلقه الله ، وقد أحاط علمه بكل شيء ، وأحاطت قدرته بكل شيء ، وهو إله واحد ، وليس هناك من يشاركه في ألوهيته .

وليس لأي مخلوق ولا لأية طائفة سلطان على الناس في عقائدهم ولا

---

(٧) فجر الاسلام (١/١١ – ١٣) .
(٨) الآية الكريمة من سورة الفاتحة (١ : ١) .
(٩) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢٨٤) .

في أية صفة من صفات الربوبية : (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله) [١٠] ، وليس يرضى الاسلام عن أي نوع من التعدّد ولا أي رمز يُشعر بالتعدّد .

وقد اختار الله أفراداً من خلقه واتصل بهم بالوحي ، ومن هؤلاء : ابراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وتسليمه عليهم جميعاً .

وأصول الأديان السماوية كلها واحدة ، وكلها تدعو الى توحيد الله وعدم الشرك به ، ثم دخل بعض تعاليمها التغيير والتبديل .

وهناك وراء هذه الحياة حياة أخرى : يوم القيامة واليوم الآخر ويوم الحساب ويوم الدين ، وهذا اليوم هو يوم المثوبة على العمل الصالح ، والعقوبة على العمل السيء ، وكل عمل أتاه الانسان يسجل عليه ؛ وقد جعل للمثوبة والعقوبة دارين : دار المثوبة وهي الجنة ، ودار العقوبة وهي النار .

ثم إن وراء هذا العالم المادي عالم آخر روحي فيه نوعان من الأرواح : نوع خيّر يطيع الله ما أمره ويجذب الناس الى الخير ويسمى : الملائكة ؛ ونوع شرير يستغوي النفوس الى الشر ويسمى : الشياطين .

أما (الأعمال) ، فهناك على المسلم أعمال يجب عليه أداؤها ، وهي أساسية (كالعقائد) ، وهي : الصلاة ، ويقصد بهاأن تكون مظهراً من مظاهر الاخلاص لله وتعبيراً دينياً يشرح عاطفة الاجلال له : (وأقم الصلاة ، إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ، ولذكر الله أكبر) [١١] .

والزكاة ، وهي أن تؤخذ من مال الغني للفقير وللصالح العام . ثم صوم رمضان وحج البيت من استطاع اليه سبيلا .

ولم يقتصر الاسلام على غرس تلك العقائد وهذه الاعمال ، بل أمر بالتمسك

---

(١٠) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ٣١) .

(١١) الآية الكريمة من سورة العنكبوت (٢٩ : ٤٥) .

بالخلق الكريم : آداب اللياقة : (واذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها)[١٢] ، (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على أهلها)[١٣] ؛ ووفاء بالوعد ، وصبر في الشدائد ، وعدل بين الناس ، وعفو عند المقدرة .

لقد هدم الاسلام الوحدة القبلية والوحدة الجنسية ، وعلّم أن معتنقي الاسلام كلهم كتلة واحدة لا تفاضل بين أفرادها إلا بطاعة الله وتنفيذ أوامره ، وحتّم الطاعة لله والطاعة للرسول والطاعة لأولي الأمر في الأمة ما أطاع ولي الأمر أوامر الله[١٤] .

وكان العرب قبل الاسلام ماهرين في حروب العصابات ، وكانوا ماهرين في استخدام السلاح وفي الفروسية ، وكانت لهم قابلية ممتازة على الحركة من مكان الى آخر بسهولة ويسر وبأقل وقت ممكن وأقل تكاليف إدارية ؛ ولكنهم كانوا متفرقين ، لهذا كانت خبرتهم الحربية وشجاعتهم الفطرية تذهب عبثاً في الغارات والمناوشات المحلية بين القبائل !

فلما جاء الاسلام ، وحّد عقائدهم ، ووحّد أعمالهم ، ووحّد صفوفهم ، ونظمهم وغرس فيهم روح الضبط والطاعة ، وطهّر نفوسهم ، ونقّى أرواحهم ، وخلق فيهم انسجاماً مادياً ومعنوياً ؛ فأصبحت لذلك كله وبذلك كله قوتهم المبعثرة وجهودهم المضاعة تعمل بنظام وضبط بقيادة واحدة لهدف واحد ، وأصبح المؤمنون في مشارق الأرض ومغاربها أخوة يتحابون بنور الله بينهم ، وهم أمة واحدة تحيتها السلام وغايتها السلام ودينها الاسلام .

لقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم يؤم ألفين في عمرة القضاء ومائة

---

(١٢) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٨٦) .
(١٣) الآية الكريمة من سورة النور (٢٤ : ٢٧) .
(١٤) فجر الاسلام (١/٨٨ – ٩٢) .

ألف في حجة الوداع ، يسيرون كلهم في نظام أدق نظام هرولةً ومشياً واستلاماً للركن أو للحجر الأسود ـ هذا النظام المتصل بروح الاسلام ، سبب من أسباب القوة ، بل هو مصدرها وملاكها ؛ وهذه الامامة يقوم بها رجل مطهّر يؤمن أصحابه بصدقه ، هي روح هذه القوة وقوامها (١٥) .

لقد بدأت منذ ظهور الاسلام الصلاة العامة ، ثم قامت صلاة الجماعة التي أداها المسلمون وراء إمام واحد . ومن يرى المسلمين وهم مجتمعون صفوفاً للصلاة ، يؤدون ركعاتها وسجداتها في تناسق مدهش وفي نظام ووقار ، لا يمكن أن يغفل لما لهذه الصلاة المنظمة من قيمة تربوية في نفوس المسلمين في الصدر الأول للاسلام . إن العرب أُباة لا يخضعون لمشيئة خارجية ، ولكنهم كانوا يفتقرون الى الشعور التام بالطاعة والنظام ؛ فكانت لهذه الصلاة أهمية بالغة في (ايقاظ) روح النظام في نفوس العرب المسلمين ، لذلك غدا مكان الصلاة أول ميدان حقيقي للتدريب العسكري عند المسلمين .

ثم إن انتظام المسلمين في الصلاة ، شجّع روح الوحدة بينهم ، وخلق بينهم شعوراً بالمساواة التي كانت أفكاراً جديدة على بلاد العرب ؛ إذ كانت الوحدة الموجودة حتى ذلك الوقت هي رابطة الدم ، كما أن المظاهر الرئيسة التي سادت حياة العرب إذ ذاك ، هي الافتخار بالاسرة والحسب والثراء وامتهان شأن الفقير وعديم الجاه ؛ لذلك فان الرسول القائد مهّد السبيل لوحدة بلاد العرب المتنافرة عندما نجح في تدعيم الاتحاد الذي احتضن الفقير والغني على اساس المساواة ، وعندما نجح كذلك في توجيه ضربة عنيفة الى العصبية القبلية والعائلية .

والى جانب الصلاة ، كانت فكرة المساواة الاجتماعية تجديداً تاماً أحدثه الاسلام ، فأصبحت مساعدة الفقير والقيام بأمره واجباً مقدساً ؛ ولم يعد من شأن الافراد أن يعطوا كيفما شاءوا ، وإنما غدت الزكاة فرضاً تجبى

---

(١٥) في منزل الوحي ص (١٠٥) الطبعة الثانية .

الى بيت المال ويُنفق منها على الفقراء[١٦].

والحق أن الزكاة كانت وما تزال طفرة حاسمة الى الأمام ، وحتى اليوم نجد أن الضرائب بمختلف أنواعها وأشكالها وغاياتها وأهدافها ، تُوضع على الأرباح وتَعفي رأس المال ؛ أما الزكاة فلا تعفي حتى رأس المال مع شمولها الأرباح أيضاً، فأين قوانين الأرض (التقدمية !) من قوانين السماء ؟!.

لقد وجد الاسلام بتعاليمه التي تغرس الضبط والنظام في النفوس ، وتدعو الى توحيد الله وتوحيد الصفوف ، أرضاً خصبة في العرب الذين كانت لهم خبرة طويلة في الحروب ، والذين لا يهابون الموت ويتعشّقون الحرية ؛ فكان من فضل الاسلام على العرب ، أنه جمع شملهم ووحّد قلوبهم وأشاع فيهم النظام والضبط ؛ وبذلك أصبحوا قوة هائلة وجدت لها (متنفساً) في توحيد الجزيرة العربية أولاً وفي الفتح الاسلامي ثانياً ، فحملوا رايات الاسلام شرقاً الى أقاصي الشرق ، وغرباً الى أقاصي الغرب ، وحملوا أعباء الفتح وحدهم ، فكان لهم بتوفيق الله وتسديده فضل نشر الاسلام في البلاد المفتوحة في عهد الشيخين أبي بكر الصديق وعمر الفاروق والنصف الأول من حكم عثمان بن عفان رضي الله عنهم جميعاً .

لقد كانت العقيدة الاسلامية عقيدة بناءة ، وكان العرب هم الرواد الاولين لهذه العقيدة ، ولله وحده الفضل والمنة .

- ٣ -

فما أثر تعاليم الاسلام على العرب ؟

لا شك أن هذه التعاليم رفعت المستوى العقلي للعرب الى درجة كبرى ، فهذه الصفات التي وصف الاسلام بها الله ، نقلتهم من عبادة أصنام وأوثان وما يقتضيه ذلك من انحطاط في النظر وإسفاف في الفكر – إلى عبادة إله

---

(١٦) الحضارة العربية للاستاذ : ى. هل . ترجمة ابراهيم العدوي ص (٢٣ – ٢٤) .

وراء المادة : (لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار)[١٧] .

كان الاله عند أكثرهم إله قبيلة ، وإن اتسع سلطانه فإله قبائل أو إله العرب ؛ فأبانه الاسلام إله العالمين ومدبّر الكون وبيده كل شيء وعالماً بكل شيء ؛ فاستطاع العربي بهذه التعاليم أن يرقى الى فهم إله لا مادة له ، واسع السلطان ، واسع العلم ، وأفهمهم الاسلام أن دينهم خير الأديان ، وأن العالم حولهم في ضلال ، وأن نبيهم نبي الناس جميعاً وأنهم ورثته في حمل دعوته الى الأمم ؛ فكان ذلك من البواعث على غزو هذه الامم يدعونهم الى دينهم ويبشرونهم به ، فمن دخل فيه كان كأحدهم له ما لهم وعليه ما عليهم .

وكان لعقيدة اليوم الآخر ودار الجزاء والجنة والنار ، أثر عظيم في بيع كثير منهم نفوسهم في سبيل نشر الدعوة : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيَقتُلُون ويُقتَلُون ، وعداً عليه حقاً في التوراة والانجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله ، فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به ، وذلك هو الفوز العظيم)[١٨] .

وكان للإسلام أثر كبير في تغيير قيمة الأشياء والأخلاق في نظر العرب ، فارتفعت قيمة أشياء وانخفضت قيمة أخرى ، وأصبحت مقومات الحياة في نظرهم غيرها بالأمس .

إن الاسلام رسم للحياة مثلاً أعلى غير المثل الأعلى للحياة في الجاهلية ، وهذان المثلان لا يتشابهان وكثيراً ما يتناقضان ؛ فالشجاعة الشخصية ، والشهامة التي لا حدّ لها ، والكرم الى حد الاسراف ، والاخلاص التام للقبيلة ، والقسوة في الانتقام ، والأخذ بالثأر ممن اعتدى عليه أو على قريب له أو على قبيلته بقول أو فعل ــ هذه التي كانت أصول الفضائل عند العرب

(١٧) الآية الكريمة من سورة الانعام (٦ : ١٠٣) .
(١٨) الآية الكريمة من سورة التوبة (٩ : ١١١) .

الوثنيين ، أصبحت في الاسلام الخضوع لله والانقياد لأمره والصبر واخضاع منافع الشخص ومنافع قبيلته لأوامر الدين ، والقناعة وعدم التفاخر والتكاثر ، وتجنب الكبر والعظمة – هي المثل الأعلى للمسلم في الحياة (١٩) .

إن الاسلام – عقيدةً وعملاً – صهر نفسية العربي ونفى عنها الخبَث ، فأصبح العربي المسلم لا يكذب ولا يسرق ولا يزني ولا يخون ولا يغش ولا يتجسس ، يخلص لعقيدته أكثر مما يخلص لنفسه ، ويطيع أوامر الله ورسوله وأولي الأمر ، وبذلك أصبح فرداً مفيداً باع نفسه لله إخلاصاً لعقيدته .

هذا العربي المسلم ، بهذه المزايا النادرة ، أصبح بدون شك عنصراً مفيداً كل الفائدة لتكوين أمة صالحة : تعبد رباً واحداً ، وتعمل بانسجام وتعاون ونكران ذات لتحقيق هدف واحد ، هو أن تكون كلمة الله هي العايا .

لقد تصرّف العربي المسلم – كفرد – تصرفاً لا يزال يعتبر من الاعمال الفذة النادرة في حياة الرجال : تحمّل التعذيب والموت راضياً مطمئناً ، وترك أهله وماله مهاجراً الى الله ورسوله ، وضرب بمصلحة أهله الاقربين وعشيرته وقبيلته عرض الحائط حين رآها تعارض مصلحة عقيدته العليا .

وتصرّف العربي المسلم ضمن المجموع من أمته تصرفاً لا يزال يعتبر حتى اليوم مفخرة من المفاخر : اندفع يجاهد في سبيل نشر عقيدته وحمايتها ، فخرجت القوة المؤمنة التي اختزنتها الصحراء عبر الأجيال ، تحمل راية الله سبحانه وتعالى وتبلغ عن أمره ، فتتابعت انتصاراتها الباهرة ، فلم يشهد التاريخ في أحقابه المديدة انتصارات مظفرة وفتحاً (مستديماً) مثلما شهد انتصارات الفتح الاسلامي .

(١٩) انظر فجر الاسلام (١/٩٣ – ٩٥) .

- ٤ -

كيف فهم العرب الأولون الاسلام ، وكيف طبقوه عملياً ؛ كيف ترجموا نظريات الاسلام الى حقائق عملية ، وكيف طبقوا أقوال الاسلام فأصبحت أعمالاً حيّة لها كيان ولها أثر ؟!

لقد كان نبي الاسلام صلى الله عليه وسلم هو القدوة الحسنة لمن آمن برسالته ، وكان هو المثال الشخصي لأتباعه : يقتفون آثاره ، ويتأسون بأعماله ؛ إذ لا موعظة في كلام لم يمتلىء من نفس قائله ليكون عملاً ، فيتحول في النفوس الأخرى عملاً ولا يبقى كلاماً . إنه ليس الوعظ تأليف القول للسامع يسمعه ، ولكنه تأليف النفس لنفس أخرى تراها في كلامها ، فيكون هذا الكلام قرابة بين النفسين ، حتّى لكأن الدم المتجاذب يجري فيه ويدور في ألفاظه (٢٠) .

ولسنا بصدد تطبيق النبي الكريم صلوات الله وتسليمه عليه للاسلام عقيدة وأعمالاً ، اذ أن أمر ذلك معروف مشهور كما أن التحدث عنه استغرق كل كتب الحديث وكل كتب السيرة المطهرة دون أن يستنفذ كل أعمال وأقوال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا يزال للقائلين في هذا الميدان وفي كل زمان مجال فسيح للقول والبحث : لذلك سأقتصر على أمثلة من جهاده بالمال والنفس في سبيل الله وتضحياته التي تحملها صابراً محتسباً من أجل إعلاء كلمة الله .

كان النبي صلى الله عليه وسلم من أشرف بيوتات قريش أشرف قبائل العرب على الاطلاق (٢١) ، وقد تزوج بخديجة بنت خويلد أم المؤمنين

(٢٠) وحي القلم (١٧٦/٢) الطبعة الرابعة .

(٢١) أنظر نسبه الشريف في ابن هشام (١/١) وجوامع السيرة ص (٢) وطبقات ابن سعد (٥٥/١) وعيون الأثر (٢١/١) وجمهرة أنساب العرب ص (١٤ - ١٦) .

وكانت امرأة تاجرة ذات شرف ومال ، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم [٢٢] ، وقد عرضت خديجة نفسها عليه ، فبعثت اليه قائلة : « إني قد رغبت فيك ، لقرابتك وسِطَتك [٢٣] في قومك ، وأمانتك ، وحسن خلقك ، وصدق حديثك » ، وكانت خديجة يومئذ أوسط قريش نسباً وأعظمهن شرفاً وأكثرهن مالاً ، كل قومها كان حريصاً على ذلك منها لو يقدر عليه [٢٤] .

وكان رجال قريش يطلقون عليه لقب : الأمين قبل أن ينزل عليه الوحي [٢٥] .

كان شريفاً في قمة الشرف ، وكان موضع ثقة قومه وحبهم ، وكانت حالته المادية على احسن ما يرام قبل بعثته ، فكيف استهان بكل ذلك في سبيل الاسلام ؟

بُعث النبي صلى الله عليه وسلم ، فبدأ يدعو الى الله سرّاً ، ثم جهر بالدعوة الى دين الله ، فمشى رجال من أشراف قريش الى أبي طالب فقالوا : « إن ابن أخيك قد سبّ آلهتنا ، وعاب ديننا ، وسفّه أحلامنا ، وضلّل آباءنا ؛ فإمّا أن تكفّه عنا ، وإما أن تخلي بيننا وبينه ، فانك على مثل ما نحن عليه من خلافه ، فنكفيكه » .. ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم مضى على ما هو عليه : يظهر دين الله ، ويدعو اليه [٢٦] .

ومشى أشراف قريش الى أبي طالب مرة أخرى ، فقالوا له : « يا أبا طالب ! إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا ، وإنّا قد استنهيناك من ابن أخيك

---

(٢٢) سيرة ابن هشام (٢٠٢/١) .
(٢٣) سطتك : بكسر السين وفتح الطاء ، أي شرفك وسامي منزلتك .
(٢٤) سيرة ابن هشام (٢٠٤/١ — ٢٠٥) .
(٢٥) سيرة ابن هشام (٢١٤/١) .
(٢٦) سيرة ابن هشام (٢٧٦/١ — ٢٧٧) .

فلم تنهه عنا ، وإنّا والله لا نصبر على هذا : من شتم آبائنا ، وتسفيه أحلامنا ، وعيب آلهتنا ، حتّى تكفه عنا أو ننازله وإياك [٢٧] في ذلك حتّى يهلك أحد الفريقين » ، فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ، ولم يطب نفساً باسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم ولا خذلانه [٢٨] ، ولكنه قال له : « يا ابن أخي ! إن قومك قد جاءوني ، فقالوا لي كذا وكذا ، فابق عليّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا عم ! والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتّى يظهره الله أو أهلك فيه ، ما تركته [٢٩]

وجعل رجال قريش يجلسون بسبل [٣٠] الناس حين قدموا الموسم ، لا يمر بهم أحد الا حذروه إياه وذكروا لهم أمره [٣١] .

وأغرى رجال قريش برسول الله صلى الله عليه وسلم سفهاءهم ، فكذبوه وآذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مظهر لأمر الله لا يستخفي به ، مُبادٍ لهم بما يكرهون من عيب دينهم واعتزال أوثانهم وفراقه إياهم على كفرهم . وطلع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، فوثبوا عليه وثبة رجل واحد ، وأحاطوا به يقولون : « أنت الذي تقول كذا وكذا ؟! » ، لما كان يقول من عيب آلهتهم ودينهم ، فيقول : « نعم ، أنا الذي أقول ذلك » ، فأخذ رجل منهم بمجمع ردائه ، فقام أبو بكر رضي الله عنه دونه وهو يبكي ويقول : « أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله ؟! » [٣٢] .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً ، فلم يلقه أحد من الناس

---

(٢٧) ننازله وإياك : أي نحاربكما . تقول : تنازل القوم ، أي تحاربوا .
(٢٨) خذلانه : تركه . تقول : خذلت الرجل ، اذا تركته ولم تنصره .
(٢٩) سيرة ابن هشام (٢٧٨/١) .
(٣٠) السبل : الطرق .
(٣١) ابن هشام (٢٨٤/١) .
(٣٢) سيرة ابن هشام (٣٠٩/١ - ٣١١) .

إلا كذّبه وآذاه ، فرجع الى منزله وتدثّر من شدة ما أصابه ، فأنزل الله تعالى : (يا أيها المدثر ، قم فأنذر) (٣٣) .

وذكر عبد الله بن مسعود ، قال : «كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في المسجد الحرام ، فقال أبو جهل : ألا رجل يقوم الى هذا القذر يلقيه على محمد ؟ » ، فانبعث رجل فألقاها عليه ، فجاءت فاطمة رضي الله عنها فألقته عنه (٣٤) » .

ومرّ أبو جهل برسول الله صلى الله عليه وسلم عند (الصفا) ، فأذاه وشتمه ، ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره (٣٥) .

ولما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نزلوا بلداً أصابوا به أمناً وقراراً ، وأن النجاشي قد منع من لجأ اليه منهم ، وأن الاسلام جعل يفشو في القبائل ، اجتمعوا وائتمروا أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب ، على ألا ينكحوا اليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم ، فكتبوا ذلك في الصحيفة وتواعدوا وتواثقوا على ذلك أيضاً ، ثم علقوا الصحيفة في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم ؛ فاجتمع بنو هاشم وبنو المطلب الى أبي طالب ودخلوا معه في شعبه وأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً حتى جهدوا : لا يصل اليهم شيء إلا سراً (٣٦) .

وكان نفر من قريش يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته ، فكان أحدهم يطرح عليه صلى الله عليه وسلم رحم الشاة وهو يصلي ، وكان

---

(٣٣) سيرة ابن هشام (٣١١/١) والآية الكريمة من سورة المدثر (٧٤ : ١ — ٢) .
(٣٤) عيون الأثر (١٠٣/١) .
(٣٥) عيون الأثر (١٠٤/١) .
(٣٦) سيرة ابن هشام (٣٧١/١ — ٣٧٦) وجوامع السيرة ص (٦٤) .

أحدهم يطرحها في بُرْمته [٣٧] إذا نصبت له ، حتى اتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجراً يستتر به منهم إذا صلى ، فكان إذا طرحوا عليه ذلك الأذى يخرج به على العود ، فيقف به على بابه ثم يقول : « يا بني عبد مناف ! أيّ جوار هذا ؟! » ، ثم يلقيه في الطريق [٣٨] .

ومات أبو طالب وماتت خديجة أم المؤمنين في عام واحد ، فتتابعت على رسول الله صلى الله عليه وسلم المصائب : بموت خديجة ، وكانت له وزير صدق على الاسلام : يشكو اليها ؛ وبموت عمه أبي طالب ، وكان له عضداً وحرزاً وَمَنَعَةً وناصراً على قومه ، وكان موتهما قبل مهاجره الى المدينة بثلاث سنين ؟ فلما هلك أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عايه وسلم من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب ، حتى اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً ، فدخل رسول الله صلى الله عايه وسلم بيته والتراب على رأسه ، فقامت اليه إحدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها : « لا تبكي يا بنيّة ، فان الله مانع أباك » [٣٩] .

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده الى (الطائف) يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه ، ورجاء أن يقبلوا منه ما جاءهم به من الله عز وجل .

وانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الطائف ، فعمد الى نفر من ثقيف وأشرافهم ، وجلس اليهم ودعاهم الى الله ، وكلّمهم بما جاءهم له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه ؛ فلم يفعلوا

---

(٣٧) البرمة : بضم فسكون – القدر مطلقاً ، وهي في الاصل التي تتخذ من الحجر المعروف بالحجاز واليمن .
(٣٨) سيرة ابن هشام (٢/٢٥) .
(٣٩) سيرة ابن هشام (٢/٢٥ – ٢٦) .

وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبّونه ويصيحون به ، حتى اجتمع عليه الناس وألجؤوه الى حائط لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وهما فيه ، فعمد الى ظل شجر العنب فجاس فيه يقول : « اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ؛ يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربي ، الى من تكلُني ؟ الى بعيد يتجهمني ، أم الى عدو ملّكته أمري ؟ إنْ لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي ، ولكن عافيتك هي أوسع لي ، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيـا والآخرة ، من أن تُنزل بي غضبك أو يحلّ عليّ سخطك ، لك العُتْبى (٤٠) حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة الا بك »... ثم انصرف من الطائف راجعاً الى مكة حين يئس من خير ثقيف (٤١) .

وكانت بيعة العقبة الأولى وبيعة العقبة الكبرى ، ثم أمر أصحابه بالهجرة الى المدينة وقال : « إن الله عز وجلّ قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها » ، فخرجوا إرسالاً ، وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر بمكة أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة الى المدينة (٤٢) .

ولما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كانت له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم ، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين اليهم ، وعرفوا أنهم قد نزلوا داراً وأصابوا منهم منَعة ؛ فحذروا خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم وعرفوا أنه قد اجمع لحربهم ؛ فاجتمعوا في دار (الندْوَة) يتشاورون فيما يصنعون من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال أحدهم : « احبسوه في الحديد وأغلقوا عليه باباً ، ثم تربصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله » ، وقال

---

(٤٠) العتبى : الرضى .

(٤١) سيرة ابن هشام (٢/٢٨ — ٣١) وعيون الأثر (١/١٣٤) وجوامع السيرة ص (٦٧) وطبقات ابن سعد (١/٢١٠ — ٢١٢) .

(٤٢) سيرة ابن هشام (٢/٧٦) .

آخر : « نخرجه من بين أظهرنا فننفيه من بلادنا ، فاذا أُخرج عنا ، فوالله لا نبالي أين ذهب ولا حيث وقع اذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وأُلْفَتَنا كما كانت » . وقال أبو جهل بن هشام : « والله إن لي لرأياً ما أراكم وقعتم عليه بعد . أرى أن نأخذ من كل قبيلة شاباً فتىً جليداً نسيباً وسيطاً فينا ، ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ، ثم يعمدوا اليه فيضربوه بها ضربة رجل واحد ، فيقتلوه فنستريح منه ؛ فانهم اذا فعلوا ذلك تفرّق دمه في القبائل جميعاً ، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً ، فرضوا منا بالعَقْل[٤٣] فعقلناه لهم » ؛ فتفرق القوم على ذلك وهم مجمعون له[٤٤] .

واجتمع الشباب الذين اختارهم أشراف قريش من القبائل لقتل النبي صلى الله عليه وسلم على بابه ليلاً يرصدونه متى نام ليثبوا عليه ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مكانهم قال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه : « نم على فراشي وتَسَجَّ ببُرْدِي هذا الحضرمي الأخضر ، فنم فيه فانه لن يَخْلُص اليك شيء تكرهه منهم »[٤٥] .

هنا تبدأ قصة من أجَلّ ما عرف تاريخ المغامرة في سبيل الحق والعقيدة والايمان قوةً وروعة ! كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه قد أعدّ راحلتيه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر وخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته ، ثم عمدا الى غار بجبل (ثَوْر) أسفل مكة فدخلاه ليلاً وأقاما فيه ثلاثاً ؛ وجعلت قريش فيه حين فقدوه مائة ناقة لمن يردّه عليهم[٤٦] . وطلبت قريش رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد الطلب حتى انتهوا الى

---

(٤٣) العقل : الدية .

(٤٤) سيرة ابن هشام (٢/٩٢ — ٩٥) .

(٤٥) سيرة ابن هشام (٢/٩٥) وطبقات ابن سعد (١/٢٢٧) .

(٤٦) سيرة ابن هشام (٢/٩٨ — ٩٩) .

باب الغار ، فقال بعضهم : « إن عليه العنكبوت قبل ميلاد محمد » [٤٧] .

وفي الغار كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي ، وكان ابو بكر خائفاً على النبي صلى الله عليه وسلم فكان يقترب منه ويلصق نفسه به ، فيهمس النبي صلى الله عليه وسلم بأُذن أبي بكر الصديق : « لا تحزن ! إن الله معنا » . وحين شعر أبو بكر الصديق بدنو الباحثين عنهما قال هامساً : « لو نظر أحدهم تحت قدميه لأبصرنا » . فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بكر ! ما ظنّك باثنين الله ثالثهما ! » [٤٨] .

وخرجا بعد ثلاثة أيام من الغار حين عرفا أن قد سكن الناس عنهما ، ولكن سُرَاقة بن مالك بن جُعْشَم علم بمكانهما ، فركب في أثرهما ، فلما اقترب منهما عثر به فرسه و ذهبت يداه في الارض وسقط عنه ، فعرف سراقة حين رأى ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مُنع منه [٤٩] .

مات أبو طالب وماتت خديجة ، ولكن الله حي لا يموت .

وخذله جاره ، وخذله قومه ، وخذله الناس ، ولكن الله ناصره ومانعه .

إنها معركة بين ارادة الله وارادة الناس ؛ (ويمكرون ويمكر الله ، والله خير الماكرين) [٥٠] .

لقد كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم بمكة بعد بعثته حتى هجرته الى المدينة – كلها جهاداً متواصلاً عنيفاً من أجل التوحيد : توحيد الله ، وجمع كلمة الناس ؛ وكانت هجرته الى المدينة تهدف الى اجتماع الرسول القائد بجنوده : رهبان الليل ، فرسان النهار ، لمواصلة جهادهم لتكون كلمة

---

(٤٧) طبقات ابن سعد (١/٢٢٨) .
(٤٨) طبقات ابن سعد (٣/١٧٣ – ١٧٤) .
(٤٩) سيرة ابن هشام (٢/١٠٣) .
(٥٠) الآية الكريمة من سورة الانفال (٨ : ٣٠) .

الله هي العليا ، فماذا لاقى عليه الصلاة والسلام بالمدينة المنورة حتى التحق بالرفيق الأعلى ؟؟.

- ٥ -

قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهو لا يملك ديناراً ولا داراً فيها ، فنزل ضيفاً على أبي أيوب الانصاري ستة أشهر [٥١] حتى أنجز بناء مسجده ومساكنه ، وعمل في المسجد ليرغب المسلمين في العمل [٥٢] ، وجعل ينقل الحجارة بنفسه [٥٣] ، فتم ببناء هذا المسجد بناء (الثكنة) الاولى في الاسلام .

ولكي يتفرغ لقتال قريش دون أن تقلقه الجبهة الداخلية بالمدينة ، كتب كتاباً بين المهاجرين والانصار من جهة وبين يهود من جهة ثانية : وادع فيه يهود وعاهدهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم [٥٤] ، وقد نصت تلك المعاهدة بصراحة : « انه لا يجوز لمشرك من أهل المدينة أن يجير مالاً لقريش ولا نفساً ولا يحول دونه على مؤمن » [٥٥] ؛ فاستطاع الرسول القائد بهذه المعاهدة أن يجعل أهل المدينة جميعاً على اختلاف أديانهم يداً واحدة على أعدائهم [٥٦] — وخاصة على (قومه) قريش .

ولم يكد يستقر بالمدينة الا ونصبت أحبار يهود له العداوة بغياً وحسداً وضغنا ، وأضاف [٥٧] اليهم رجال من الاوس والخزرج كانوا أهل

---

(٥١) عيون الاثر (١/١٩٥) .
(٥٢) سيرة ابن هشام (٢/١١٤) والسيرة الحلبية (٢/٧٦) .
(٥٣) طبقات ابن سعد (١/٢٤٠) .
(٥٤) انظر نص تلك المعاهدة في سيرة ابن هشام (٢/١١٩ — ١٢٣) وشرح العيون (١٩٧ — ١٩٨) .
(٥٥) سيرة ابن هشام (٢/١٢١) .
(٥٦) الرسول القائد ص (٤٤) الطبعة الثانية .
(٥٧) أضاف اليهم : يريد أنه أخذ بما أخذوا به من الحسد والبغض والعداوة .

نفاق فظهروا بالاسلام واتخذوه جُنّة [٥٨] من القتل ونافقوا في السر ، وكان هواهم مع يهود لتكذيبهم النبي صلى الله عليه وسلم وجحودهم الاسلام [٥٩] وذهب يهود الى ابعد من ذلك ، فحاولوا الوقيعة بين أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقد جمع الأوس والخزرج مجلسٌ واحد يتحدثون ، فغاظ أحد يهود ما رآه من الفتهم وجماعتهم وصلاح ذات بينهم على الاسلام بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فأمر هذا اليهودي شاباً يهودياً فقال : « اعمد اليهم فاجلس معهم ، ثم اذكر يوم (بُعاث) وما كان قبله ، وأنشدهم بعض ما تقاولوا فيه من الأشعار » ، وكان يوم (بعاث) يوماً اقتتلت فيه الأوس والخزرج ؛ فتكلم القوم عند ذاك وتنازعوا وتفاخروا حتى تواثب رجلان من الحيَّين على الرُكَب ، وغضب الفريقان جميعاً وقالوا : « موعدكم الظاهرة [٦٠] .. السلاح .. السلاح » ، وخرجوا اليها ؛ فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج اليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال : « يا معشر المسلمين ! الله الله ! أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للاسلام ، وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألَّف به بين قلوبكم ؟! » ، فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان وكيد من عدوهم ؛ فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا ، فأنزل الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا ، إن تطيعوا فريقاً من الذين أُوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين . وكيف تكفرون وأنتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ، ومن يعتصم بالله فقد هدي الى

(٥٨) جنة : وقاية يجتنون بها ، أي يستترون .
(٥٩) سيرة ابن هشام (١٣٥/٢) .
(٦٠) الظاهرة : الحرة – حرة المدينة المنورة .

صراط مستقيم) [٦١] .

بل ذهبت يهود الى أبعد من ذلك كثيراً ، فقد حاولوا اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم حين خرج الى بني (النضير) يستعينهم في دية رجلين قتلهما خطأً أحد المسلمين ، فاختلى بعضهم ببعض وقالوا : « لن تجدوا محمداً أقرب منه الآن ، فمن رجل يظهر على هذا البيت فيطرح عليه صخرة فيريحنا منه ؟؟ » ، فقال أحدهم : « أنا » ؛ ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم انصرف عنهم [٦٢] ، ففوّت عليهم فرصة اغتياله .

– ٦ –

وبدأ الصراع بين قوات النور القليلة من المسلمين وبين قوات الظلام الكثيرة من المشركين ، وكانت قوات النور ضعيفة بعددها وعددها قوية بايمانها وقيادتها ؛ فكان الرسول القائد هو الاسوة الحسنة للمؤمنين من أتباعه في القتال كما كان هو الاسوة الحسنة لهم في السلم .

كان عدد الذين شهدوا (بدراً) من المسلمين بضعة عشر وثلاثمائة رجلاً [٦٣] ، وكان عدد الذين شهدوها من المشركين تسعمائة وخمسين رجلاً [٦٤] ؛ وكان مع المسلمين سبعون بعيراً وفرسان [٦٥] ، وكان مع المشركين مائة فرس وعدد ضخم من الابل ؛ وكان المسلمون حين خرجوا الى (بدر) تنقصهم الضروريات الادارية فدعا لهم النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : « اللهم انهم حفاة فاحملهم ، اللهم انهم عراة

(٦١) سيرة ابن هشام (١٨٣/٢ – ١٨٥) . والآيتان الكريمتان من سورة آل عمران (٣ : ١٠٠ – ١٠١) ، وأنظر تفسيرهما في البغوي (١٩٨/٢ – ١٩٩) والكشاف للزمخشري (٣١٧/١) وتفسير البيضاوي (٣٢/٢) .

(٦٢) سيرة ابن هشام (١٩٢/٢) .

(٦٣) فتح الباري بشرح البخاري (٢٢٨/٧) وطبقات ابن سعد (١٩/٢) .

(٦٤) طبقات ابن سعد (١٥/٢) .

(٦٥) طبقات ابن سعد (١٤/٢) .

فاكسهم ، اللهم انهم جياع فأشبعهم »[٦٦] ، وكان المشركون في وضع اداري ممتاز ؛ ولكن الرسول القائد قرر أن يخوض هذه المعركة الحاسمة على الرغم من تفوق المشركين على المسلمين بالعدد والعدد وبالقضايا الادارية .

لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدر تمام التقدير ويعرف تمام المعرفة ، ماذا يعنيه اندحار المسلمين في هذه المعركة الحاسمة ... في هذا الصراع الحاسم بين عقيدتين ؛ لذلك دأب على مناشدة ربه ما وعده من النصر فيقول فيما كان يقول : « اللهم ان تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » ، وأبو بكر الصديق يقول : « يا نبي الله ! بعض مناشدتك ربك ؛ فان الله منجز لك ما وعدك »[٦٧] .

وخرج شيبة وعتبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ودعوا الى البراز ، فخرج اليهم ثلاثة من الانصار بنو عفراء : معاذ ومعوذ وعوف بنو الحارث ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون أول قتال لقي فيه المسلمون المشركين في الانصار ، وأحب أن تكون الشوكة ببني عمه وقومه ، فقال : « يا بني هاشم ! قوموا قاتلوا بحقكم الذي بعث الله به نبيكم ، اذ جاءوا بباطلهم ليطفئوا نور الله » ، فقام حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب وعبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف[٦٨] ، وقاتلوا أولئك المشركين الثلاثة ؛ وبذلك استأثر النبي صلى الله عليه وسلم لأهله الاقربين بالخطر[٦٩] ، فاستشهد يومئذ بسبب هذه المبارزة عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب[٧٠] .

ونزل الرسول القائد بنفسه الى المعركة ليضرب لأصحابه أروع الامثال

---

(٦٦) طبقات ابن سعد (٢/٢٠) .
(٦٧) سيرة ابن هشام (٢/٢٦٧) .
(٦٨) طبقات ابن سعد (٢/١٧) وانظر عيون الاثر (١/٢٥٤) وسيرة ابن هشام (٢/ ٢٦٥)
(٦٩) الرسول القائد (٧٧) .
(٧٠) طبقات ابن سعد (٣/ ٥١) والاصابة (٤/٢١٠) وأسد الغابة (٣/٣٥٧) .

في التضحية والفداء، فقد شوهد في أثر المشركين مصلتاً للسيف يتلو هذه الآية: (سيهزم الجمع ويولون الدبر)(٧١). قال علي بن أبي طالب: «لما كان يوم (بدر) وحضر البأس، اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من أشد الناس بأساً يومئذ، وما كان أحد أقرب الى المشركين منه»(٧٢).

وفي غزوة (أُحُد) جرح وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكسرت رباعيته وهشمت البيضة على رأسه(٧٣) واستشهد عمه حمزة بن عبد المطلب رضي الله عنه(٧٤) واستشهد سبعون من أصحابه(٧٥). وفي غزوة (ذات الرقاع)(٧٦) حاول رجل من غطفان ان يفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد قال هذا الرجل لقومه «ألا أقتل لكم محمداً؟»، قالوا: «بلى، وكيف تقتله؟» قال: «أفتك به»؟ فأقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس وسيفه في حجره فقال: «يا محمد! أنظر الى سيفك هذا؟» قال: «نعم»، فأخذه فاستله وجعل يهزه، ثم قال: «يا محمد! أما تخافني؟»، قال: «لا، وما أخاف منك؟!»، قال: «أما تخافني وفي يدي السيف؟!»، قال: «لا، يمنعني الله منك»(٧٧).

وفي غزوة (الخندق) عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع المسلمين بيده في حفر الخندق لينشط المسلمين، وكان ينقل التراب حتى اغبر بطنه،

---

(٧١) طبقات ابن سعد (٢/١٧) والآية الكريمة من سورة القمر (٥٤ : ٤٥).
(٧٢) طبقات ابن سعد (٢/٢٣).
(٧٣) شرح النووي على مسلم (٤/٢٣٩ – ٢٤٠) وفتح الباري بشرح البخاري (٧/٢٨٦).
(٧٤) فتح الباري بشرح البخاري (٧/٢٨٣) وسيرة ابن هشام (٣/١٥).
(٧٥) فتح الباري بشرح البخاري (٧/٨٨).
(٧٦) قيل لها غزوة ذات الرقاع، لانهم رقعوا فيها راياتهم. وقد غزا النبي صلى الله عليه وسلم نجداً يريد بني محارب وبني ثعلبة من غطفان. انظر سيرة ابن هشام (٣/٢١٤).
(٧٧) سيرة ابن هشام (٣/٢١٦). وفي طبقات ابن سعد (٢/٦١): أن سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم كان معلقاً بشجرة فأخذه المشرك واخترطه.

وكان المشركون عشرة آلاف وكان المسلمون ثلاثة آلاف [٧٨] . وازداد موقف المسلمين بالمدينة خطراً بعد أن نقض بنو قريظة من اليهود العهد ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض الانصار فقال : « انطلقوا حتّى تنظروا أحق ما بلغنا عن هؤلاء القوم أم لا ؟؟ فان كان حقاً فالحنوا لي لحناً [٧٩] أعرفه ولا تفتّوا في أعضاد [٨٠] الناس ، وان كانوا على الوفاء فيما بيننا وبينهم فاجهروا بـــه للناس » ؛ فخرجوا حتّى أتوهم ، فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم ، نالوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا : من رسول الله ؟! لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد » [٨١] .

ونجم النفاق وفشل الناس وعظم البلاء واشتد الخوف وخيف على الذراري والنساء ، وكان المسلمون كما قال الله تبارك وتعالى : (اذا جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم ، واذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر) [٨٢] وكانت القضايا الادارية للمسلمين سيئة للغاية ، اذ لبثوا ثلاثة أيام لا يذوقون ذواقا ، وكان بطن النبي صلى الله عليه وسلم معصوباً بحجر [٨٣] مـــن الجوع ، ومع ذلك صبر الرسول القائد صبراً لا مثيل له في التاريخ كله حتّى انسحب المشركون يجرون أذيال الخزي والعار ؛ وحينذاك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، ونحن نسير اليهم » [٨٤] .

وفي غزوة بني (المصطلق) من خزاعة ، حاول مشرك اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد أدركته القائلة فنزل تحت شجرة واستظل بها وعلّق

---

(٧٨) طبقات ابن سعد (٦٦/٢) وسيرة ابن هشام (٢٣٥/٣) .

(٧٩) فالحنوا لي لحنا : أن يخالف ظاهر الكلام معناه .

(٨٠) يقال : فت في عضده ، اذا ضعفه وأوهنه .

(٨١) سيرة ابن هشام (٢٣٧/٣) وانظر فتح الباري بشرح البخاري (٣٠٨/٣) حول نقله التراب .

(٨٢) طبقات ابن سعد (٦٧/٢) والآية الكريمة من سورة الاحزاب (٣٣ : ١٠) .

(٨٣) فتح الباري بشرح البخاري (٣٠٤/٧) .

(٨٤) فتح الباري بشرح البخاري (٣١١/٣) .

سيفه ، وتفرق الناس في الشجر يستظلون ؛ فأتاه أعرابي وهو نائم واخترط سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاستيقظ والاعرابي على رأسه صلى الله عليه وسلم مخترطاً سيفه صلتا ، فقال : « من يمنعك مني ؟ » ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « الله ! » (٨٥) .

وفي هذه الغزوة ازدحم أحد الانصار بأحد المهاجرين على الماء ، فنادى الانصاري : « يا للانصار » ، ونادى القرشي : « يا لقريش ! يا لكنانة » ، فأقبلت قريش سراعاً وأقبلت الأوس والخزرج ، وشهروا السلاح ، فقال عبد الله بن أُبيّ رأس المنافقين : « لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعزّ منها الأذل » ، ثم أقبل على من حضر من قومه فقال : « هذا ما فعلتم بأنفسكم » وسمع ذلك زيد بن أرقم فأبلغ النبي صلى الله عليه وسلم قوله ، فأمر بالرحيل . وخرج من ساعته وتبعه الناس ، فتقدم عبد الله بن عبدالله بن أبي الناس حتى وقف لأبيه على الطريق وقال : « لا أفارقك حتى تزعم أنك الذليل ومحمد العزيز » ، فمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « دعه ، فلعمري لنحسنن صحبته ما دام بين أظهرنا ! » (٨٦) .

وفي هذه الغزوة أيضاً أثار المنافقون وبعض المغفلين من المسلمين شائعة الإفك حول عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها ، فأنزل الله تعالى براءتها (٨٧) .

وحاول أبو سفيان بن حرب قبل اسلامه اغتيال النبي صلى الله عليه وسلم ، فقد قال لنفر من قريش : « ألا أحد يغتال محمداً ، فإنه يمشي في الأسواق ؟ » ، فأتاه رجل من الأعراب فقال : « قد وجدتَ أجمع الرجال قلباً وأشده بطشاً وأسرعه شداً ؛ فان أنت قويتني خرجت اليه

(٨٥) فتح الباري بشرح البخاري (٣٣٣/٧) .

(٨٦) طبقات ابن سعد (٦٥/٢) وانظر سيرة ابن هشام (٣٣٤/٣ – ٣٣٦) .

(٨٧) طبقات ابن سعد (٦٥/٢) وانظر سيرة ابن هشام (٣٤١/٣ – ٣٤٨) وفتح الباري بشرح البخاري (٣٣٣/٧ – ٣٣٨) .

حتى أغتاله ؛ ومعي خنجر مثل خافية النسر فأسوره ، ثم آخذ في عيرٍ وأسبق القوم عدواً ، فانني هادٍ بالطريق خريت » ، قال : « أنت صاحبنا » ؛ فأعطاه بعيراً ونفقة وقال : « اطو أمرك » ؛ فخرج ليلاً وسار على راحلته خمساً وصبّح المدينة صبح سادسة . وأقبل يسأل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دل عليه ؛ فعقل راحلته ثم أقبل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مسجد بني عبد الأشهل ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن هذا ليريد غدراً ! » . وذهب الرجل ليحني على رسول الله صلى الله عليه وسلم فجذبه أحد الانصار فاذا بالخنجر ؛ فسقط من يديه وقال : « دمي ! دمي ! » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أصدقني . ما أنت ؟ » ، قال : « وأنا آمن ؟ » ، قال : « نعم ! » ، فأخبره بأمره وما جعل له أبو سفيان بن حرب ؛ فخلى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأسلم الرجل[٨٨] .

وفي غزوة (الحديبية) حين أراد الرسول القائد ابرام الهدنة بين المسلمين وبين قريش ، ضاق بعض المسلمين بأمر الهدنة ومنهم عمر بن الخطاب ، فقد أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله ! الست برسول الله ؟ » ، فقال : « بلى ! » ؛ قال : « أولسنا بالمسلمين ؟ » ، قال : « بلى ! » قال : « أوليسوا بالمشركين ؟ » ، قال : « بلى ! » ، قال : « فعلام نعطي الدنية[٨٩] في ديننا ؟! » فقال : « أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ولن يضيعني »[٩٠] ؛ وكان مما أثار حفيظة عمر بن الخطاب وغيره من المسلمين صبر النبي صلى الله عليه وسلم على سهيل بن عمرو أثناء كتابة العهد ، يقول : « اكتب بسم الله الرحمن الرحيم » ، فيقول سهيل : « أمسك ، لا أعرف الرحمن الرحيم ، بل اكتب باسمك اللهم » . ويقول النبي صلى

---

(٨٨) طبقات ابن سعد (٢/٩٣ – ٩٤) .

(٨٩) الدنية : الذل والصغار . يريد : لماذا تقبل من المشركين ما يعتبر هوانا لنا ومذلة ؟!

(٩٠) سيرة ابن هشام (٣/٣٦٥ – ٣٦٦) .

الله عليه وسلم : « اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو » ، فيقول سهيل : « أمسك ، لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك »[٩١] .

وفي غزوة (الفتح) ، رأى المسلمون رسو ل الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة المكرمة ، ورأسه قد انحنى على رحله ، وبدا عايه التواضع الجم ، حتى كادت لحيته تمس واسطة راحلته خشوعاً ، وترقرقت في عينيه الدموع تواضعاً وشكراً لله[٩٢] .

وقام رسول الله صلى الله عليه وسلم على باب الكعبة خطيباً ، فكان مما قاله : « لا اله الا الله وحده ، لا شريك له ، صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده . ألا كل مأثرة أو دم أو ما يُدّعى فهو تحت قدمي هاتين ، إلا سدَانة البيت وسِقَاية الحاج ... يا معشر قريش ! ان الله قد أذهب عنكم نَخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء : الناس من آدم وآدم من تراب : (يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)[٩٣] . يا معشر قريش ! ما ترون أني فاعل بكم ؟ » ، قالوا : « خيراً . أخ كريم ، وابن أخ كريم » ، فقال : « اذهبوا فأنتم الطلقاء »[٩٤] . قال عمر بن الخطاب : « لما كان يوم الفتح ورسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، أرسل الى صفوان بن أمية بن خلف والى أبي سفيان بن حرب والى الحارث بن هشام ، فقلت : قد أمكن الله منهم أعرِّفهم بما صنعوا !!!.. فقال النبي صلى الله عليه وسلم لهم : مثلي ومثلكم كما قال يوسف لاخوته : لا تثريب عليكم ، اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم

---

(٩١) سيرة ابن هشام (٣/٣٦٦) .

(٩٢) الرسول القائد ص (٢٤١) الطبعة الثانية .

(٩٣) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ١٣) .

(٩٤) سيرة ابن هشام (٤/٣١ – ٣٢) .

الراحمين »[٩٥] .

وحين كان يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبيت ، أراد فضالة ابن عمير بن الملّوح الليثي قتله ، فلما دنا منه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أفضالة ؟! » ، قال : « نعم فضالة يا رسول الله » ، قال : « ماذا كنت تحدث به نفسك ؟! » ، قال : « لا شيء ، كنت أذكر الله عز وجل » ، فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : « استغفر الله » ثم وضع يده على صدر فضالة فكان فضالة يقول : « والله ما رفع يده عن صدري ، حتّى ما من خلق الله شيء أحب اليّ منه »[٩٦] .

وفي غزوة (حنين) انهزم المسلمون لا يلوي أحد على أحد ، فانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ثم قال : « أين أيها الناس ؟؟ هلموا اليّ ، أنا رسول الله ، أنا محمد بن عبد الله » ، وقد بقي معه نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته[٩٧] ، فأمر عمه العباس أن ينادي : « يا معشر الأنصار ، يا أصحاب السّمرة ، يا أصحاب سورة البقرة » ، فأقبلوا كأنهم الابل اذا حنّت على أولادها يقولون : « يا لبيك ! يا لبيك » ، وحملوا على المشركين[٩٨] ...

في ذلك الموقف الحرج للغاية أراد شيبة بن عثمان بن أبي طلحة أن يغتال النبي صلى الله عليه وسلم ! ... قال شيبة : « قلت : اليوم أدرك ثأري ... اليوم أقتل محمداً ! فأدرت برسول الله صلى الله عليه وسلم لأقتله ، فأقبل شيء حتى تغشّى فؤادي ، فلم أطق ذلك ، فعلمت أنه ممنوع مني » ، وكان أبو شيبة قتل يوم (أحد)[٩٩] .

---

(٩٥) طبقات ابن سعد (٣/١٤١ – ١٤٢) .
(٩٦) سيرة ابن هشام (٤/٢٧) .
(٩٧) سيرة ابن هشام (٣/٧١ – ٧٢) .
(٩٨) طبقات ابن سعد (٣/١٥١) وسيرة ابن هشام (٣/٧٤) .
(٩٩) سيرة ابن هشام (٣/٧٣) .

وبعد (حنين) أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم من غنائم (حنين) في قريش وفي قبائل العرب ولم يكن في الأنصار منها شيء، فوجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة (١٠٠)، وحتى قال قائلهم: «لقي والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه!!» فدخل عليه سعد بن عبادة فقال: يا رسول الله! إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت: قسمت في قومك وأعطيت عطايا عظاما في قبائل العرب، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء». قال: «فأين أنت من ذلك يا سعد؟»، قال: «يا رسول الله! ما أنا إلا من قومي»؛ قال: «فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة» (١٠١). وخرج سعد فجمع الأنصار في تلك الحظيرة، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: «يا معشر الأنصار! ما قالة بلغتني عنكم وجدة (١٠٢) وجدتموها عليّ في أنفسكم؟ ألم آتكم ضُلالاً فهداكم الله، وعالة (١٠٣) فأغناكم الله، وأعداء فألّف الله بين قلوبكم؟!» قالوا: «بلى، الله ورسوله أمنّ (١٠٤) وأفضل!»؛ ثم قال: «ألا تجيبوني يا معشر الأنصار؟»، قالوا: «بماذا نجيبك يا رسول الله؟ لله ورسوله المنّ والفضل»، فقال: «أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدّقتم! أتيتنا مكذباً فصدّقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فآويناك، وعائلاً فآسيناك (١٠٥)! أوجدتم يا معشر الأنصار في أنفسكم لعاعة (١٠٦)

(١٠٠) القالة: الكلام الرديء.
(١٠١) الحظيرة: هي في الاصل، مكان يتخذ للابل والغنم يمنعها الانفلات ويمنعها هجمات اللصوص والوحوش.
(١٠٢) الجدة: أراد بها الموجود، وهي العقاب، وأكثر ما تستعمل الجدة في المال.
(١٠٣) عالة: الفقراء.
(١٠٤) أمن: هو أفعل تفضيل من المنة، وهي النعمة.
(١٠٥) آسيناك: أعطيناك حتى جعلناك كأحدنا.
(١٠٦) اللعاعة: بقلة حمراء ناعمة، شبّه بها زهرة الدنيا ونعيمها.

من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ووكلتكم إلى اسلامكم ؟! ألا ترضون يا معشر الأنصار ، أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعون برسول الله الى رحالكم ؟ فوالذي نفس محمد بيده ، لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعبا (١٠٧) وسلكت الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار . اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار ؛ فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم (١٠٨) وقالوا : « رضينا برسول الله قسماً وحظاً » (١٠٩) .

بل ذهب أبو الخويصرة التميمي الى أبعد من ذلك ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : « يا محمد ! قد رأيت ما صنعت اليوم ! » ، فقال : « أجل ، فكيف رأيت ؟ » ، فقال : « لم أرك عدلت !!! » ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال : « ويحك ! اذا لم يكن العدل عندي ، فعند من يكون ؟؟! » (١١٠) . وكان قبل قسمة فيء هوازن قد أتبعه الناس يقولون : « يا رسول الله ! اقسم علينا فيأنا من الابل والغنم » ، حتى ألجؤوه الى شجرة فاختطفت عنه رداءه ، فقال : « ردوا عليّ ردائي أيها الناس ، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعماً لقسمته عليكم ثم ما ألفيتموني بخيلاً ولا جباناً ولا كذوباً » ، ثم قام الى جنب بعير فأخذ وبرة من سنامه (١١١) بين اصبعيه ثم رفعها وقال : « أيها الناس ! والله مالي من فيئكم ولا هذه الوبرة الا الخمس والخمس مردود عليكم ؛ فأدوا الخياط (١١٢) والمخيط فان الغلول يكون على أهله عاراً

---

(١٠٧) الشعب : الطريق بين جبلين .

(١٠٨) أخضلوا لحاهم : بلوها بالدموع ، والغصن الخضل : هو الذي بله المطر .

(١٠٩) سيرة ابن هشام (١٤٧/٤ — ١٤٨) وعيون الاثر (١٩٤/٢ — ١٩٥) والسيرة الحلبية (١٤١/٣ — ١٤٢) وفتح الباري بشرح البخاري (٣٨/٨ — ٤٤) .

(١١٠) سيرة ابن هشام (١٤٤/٤) والسيرة الحلبية (١٤٠/٣) .

(١١١) السنام : أعلى ظهر البعير .

(١١٢) الخياط : هو الخيط .

ونارآً وشنارآً(١١٣) يوم القيامة »(١١٤) .

لقد كانت غنائم (حنين) أربعة وعشرين ألف بعير ، وأربعين ألف شاة ، وأربعة آلاف أوقية من الفضة وستة آلاف نسمة من السبي (١١٥) ، وقد أعاد السبايا الى هوازن(١١٦) ، فهل أبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه شيئاً من هذا المال أو من غيره ، بل هل أبقى لنفسه شيئاً من ماله الخاص ؟؟

كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة طاوياً وأهله لا يجدون عشاء ، وكان عامة خبزهم الشعير . وفي يوم من الأيام جاءت فاطمة ابنة النبي صلى الله عليه وسلم اليه بكسرة خبز ، فقال : ما هذه الكسرة يا فاطمة ؟ » ، قالت : « قرص خبزته فلم تطب نفسي حتى آتيك بهذه الكسرة » ، فقال : « أما انه أول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاثة أيام » . وقالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : « ما شبع آل محمد غداء وعشاء من خبز الشعير ثلاثة أيام متتابعات حتى لحق بالله » . وخطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « والله ما أمسى في آل محمد صاع من طعام ، وانها لتسعة أبيات » ، وما قالها استقلالاً لرزق الله ، ولكن أراد أن تتأسى به أمته . وقال ابن عباس : « والله لقد كان يأتي على آل محمد صلى الله عليه وسلم الليالي ما يجدون فيها عشاء » . وقالت عائشة أم المؤمنين : « ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم مرتين حتى لحق بالله ، ولا رفعنا له فضل طعام عن شبع حتى لحق بالله ، إلا أن نرفعه لغائب . وقالت : «كان لنا جيران من الأنصار لهم ربائب يسقوننا من لبنها جزاهم الله خيراً » . وقالت : « ان آل محمد

---

(١١٣) الشنار : اقبح العار .

(١١٤) سيرة ابن هشام (٤/١٣٨ - ١٣٩) .

(١١٥) الرسول القائد ص (٢٥٢) .

(١١٦) سيرة ابن هشام (٤/١٣٥) .

لم يشبعوا ثلاثة أيام متوالية من طعام بر حتى مضى النبي صلى الله عليه وسلم لسبيله » . وقالت : « والله لقد كان يأتي على آل محمد صلى الله عليه وسلم شهر لا نخبز فيه » . وقالت : « لقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وما شبع من خبز وزيت في يوم مرتين » . وقد توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونة عند رجل من يهود بوسقٍ من شعير . وقال أبو هريرة : « ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يجوع » ، فقيل له : « وكيف ذلك الجوع ؟! » ، فقال : « لكثرة من يغشاه وأضيافه ، وقومٍ يلزمونه لذلك ، فلا يأكل طعاماً ابداً الا ومعه أصحابه وأهل الحاجة يتتبعون من المسجد » . وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه : حسب ابن آدم أكلات يقمن صلبه ، فإن كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه »(١١٧) .

إنه لم يستقر في قلبه العظيم ما يجعل للدينار معنى الدينار ولا للدرهم معنى الدرهم . إن فقره صلى الله عليه وسلم كان من أنه كان يتسع في الكون لا في المال !

إنه يفهم من فقر النبي صلى الله عليه وسلم ، أن الشهوات خلقت مع الانسان تتحكم فيه ، ولكنه كان يتحكم فيها ولا تتحكم فيه ، وان الانسان العاقل يجب أن يكون ذا روح يمتد فيفيض عن غايات جسمه الى ما هو أعلى فأعلى حتى يصبح من حكم النور وانطلاقه وحريته . ان الفقر وما اليه والزهد وما هو بسبيل منه ، والانصراف عن الشهوات والرذائل ، كل ذلك ان هو الا تراجع النفس العالية الى ذاتها النورانية .

هذا هو سيد الأمة ، يمسكه في الحياة نبياً عظيماً ما يخرج غيره منها

---

(١١٧) انظر التفاصيل في طبقات ابن سعد (١/٤٠٠ — ٤٠١) .

ذليلاً محتقراً ، وكأنما أشرق وصفاء نفسه على تراب الارض فرده أشعة نور[118] .

لم يفكر أبداً بنفسه كما لم يفكر أبداً بأهله يسبغ عليهم هذا الترف الذي يشيع بين ذوي الجاه والسلطان ، وحين نصره الله تعالى وردّ عنه الاحزاب وفتح عليه قريظة والنضير ظن أزواجه أنه اختص بنفائس يهود وذخائرهم ، وكن تسع نسوة قعدن حوله وقلن : « يا رسول الله ! بنات كسرى وقيصر في الحلي والحلل والاماء والخول ، ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق ! » ، وآلمن قلبه بمطالبتهن له بتوسعة الحال ، وأن يعاملهن بما تعامل به الملوك وأبناء الدنيا أزواجهم ، فأمره الله تعالى أن يتلو عليهن ما نزل في أمرهن من تخييرهن في فراقه ، وذلك قوله : (يا أيها النبي قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلا[119] . وان كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فـان الله أعدّ للمحسنات منكن أجراً عظيما)[120] ، فبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة فقال لها : « إني ذاكر لك أمراً ما أحب أن تعجلي فيه حتى تستأمري أبويك » فقالت : « ما هو ؟ » ، فتلا عليها الآية ، فقالت : « أفيك أستأمر أبويَ ؟! بل أختار الله تعالى ورسوله » ... ثم تتابعن كلهن على ذلك ، فسماهن الله : أمهات المؤمنين ، تعظيماً لحقهن وتأكيداً لحرمتهن وتفضيلاً لهنّ على سائر النساء .

لقد أمره ربه أن يخيِّرهن جميعاً في سراحهن فيكن كالنساء ويجدن ما شئن من دنيا المرأة ؛ وبين إمساكهن فلا يكن معه إلا في بيعة أخرى تبدأ من

---

(١١٨) انظر مقال : سمو الفقر في المصلح الاجتماعي الاعظم في وحي القلم للاستاذ مصطفى صادق الرافعي (٢/٤٨ — ٦٢) .

(١١٩) السراح : الطلاق . ومتعة الطلاق : ما تعطاه المطلقة ، وهو يختلف حسب السعة والاقتار .

(١٢٠) الآية الكريمة من سورة الاحزاب (٣٣ : ٢٩) ، وانظر تفسيرها في تفسير ابن كثير (٦/٥٣٨ – ٥٤٢) وتفسير البغوي (٦/٥٣٨ — ٥٤٢) وتفسير الكشاف للزمخشري (٢/٤٢٩).

حيث تنتهي الدنيا وزينتها ؛ ولا تقتصر الآية الكريمة عن نفي الدنيا وزينة الدنيا عنهن ، بل نفت الامل في ذلك أيضاً الى آخر الدهر ، وأماتت معناه في نفوسهن بقصر الارادة منهن على هذه الثلاثة : الله في أمره ونهيه ، والرسول في شدائده ومكابدته ، والدار الآخرة في تكاليفها ومكارهها ؛ فليس هناك ظرف ولا رقة ولا عاطفة ولا سياسة لطبيعة المرأة ولا اعتبار لمزاجها ولا زلفى لانوثتها ، بل هو تخيير بين ضدين لا تتلوّن بينهما حالة تكون منهما معاً (١٢١) .

وأخيراً مات النبي صلى الله عليه وسلم متأثراً بالسم ذي المفعول البطيء ؛ فقد أهدت امرأة من يهود خيبر شاة مسمومة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منها وأكل بعض من كان معه من أصحابه ، وفيهم بشر بن البراء ابن معرور ، فمات بشر ، واحتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم على كاهله من أجل الذي أكل وأمر أصحابه فاحتجموا أوساط رؤوسهم ، وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ذلك ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي قبض فيه جعل يقول في مرضه : « ما زلت أجد من الاكلة التي أكلتها يوم خيبر عِداداً حتى كان هذا أوان انقطاع أبهري » (١٢٢) ؛ فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً صلوات الله عليه ورحمته وبركاته ورضوانه (١٢٣) .

لقد تحمل الأذى والتعذيب والتكذيب والمقاطعة والاضطهاد والمطاردة ، وهو الشريف الصادق الامين الذي كان بامكانه أن يعيش عزيزاً كريما .

واستهان بالوعد والوعيد وبالمال والمجد ، وصبر على شظف العيش والجوع والعري والمشقة ؛ وهو القوي الامين ، السيد الثري الذي كان

---

(١٢١) أنظر مقال درس من النبوة للاستاذ مصطفى الرافعي (٢/٦٤ — ٦٥) .
(١٢٢) الابهر : عرق في الظهر .
(١٢٣) طبقات ابن سعد (٢/٢٠٢ —٢٠٣) .

بامكانه أن يعيش مصاناً مترفا .

وقاتل قومه وقبيلته ، وعادى من عادى الاسلام وسالم من سالمه ، وعرض نفسه للموت في ساحات القتال مجاهداً ، وخارج ميادين الوغى داعياً ، وضحى بالاقربين من أهله وبنفسه ، وتحمل المسؤوليات التي تنوء بحملها العصبة أولي القوة من أفذاذ الرجال ، واستأثر لنفسه بالخطر ؟ وهو البر الرحيم الذي كان بامكانه أن يعيش مرفهاً مصاناً بعيداً عن الخطر .

إنه كان تجسيداً حياً لتعاليم الاسلام عقيدةً وعملاً وتضحيةً وجهاداً ، فهو الاسوة الحسنة الخالدة للمسلمين في كل زمان ومكان : (لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجوالله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا)[١٢٤]

إنه كان مثالاً حياً وبشراً سوياً للخلق العظيم : (وانك لعلى خلق عظيم)[١٢٥] والاسلام في حقيقته وروحه عقيدة وعمل وتضحية وجهاد — وكلها في جملتها وتفصيلها معنى من معاني الخلق العظيم .

يا لله ... ! أيبذل بشر من ذات نفسه ووقته وجهده مثل هذا البذل ؟.. أيضحي انسان بماله ونفسه وأهله وقومه مثل هذه التضحية ؟؟ أيجاهد رجل بما يملك من مال ونفس وغالٍ ورخيص مثل هذا الجهاد ؟؟ أيستطيع أحد أن يتحمل كل هذا البذل والتضحية والجهاد ؟؟ ..

ولكن مهلاً ، انه الرسول القائد ، انه سيد القادات وقائد السادات ، انه بطل الأبطال ورجل الرجال ، انه رسول الله صلوات الله وتسليمه عليه : (الله أعلم حيث يجعل رسالته)[١٢٦] .

ان المرء حين يستمع الى هذه (الامثلة) من بذله وتضحيته وجهاده يسمعها وهو مبهور الانفاس يكاد يصعق بروعتها وبهائها وجلالها ، فكيف

---

(١٢٤) الآية الكريمة من سورة الاحزاب (٣٣ : ٢١) .
(١٢٥) الآية الكريمة من سورة القلم (٦٨ : ٤) .
(١٢٦) الآية الكريمة من سورة الانعام (٦ : ١٢٤) .

به لو استمع الى تفاصيل كل بذله وتضحيته وجهاده في سبيل الله ؟؟ ...

لقد تأسى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم به في حياته وبعد التحاقه بالرفيق الاعلى ، فكيف كان ذلك ؟

- ٧ -

تحمل العربي المسلم التعذيب في سبيل عقيدته ؛ فعدت كل قبيلة على من فيها من المسلمين ، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة اذا اشتد الحر ، يفتنونهم عن دينهم : كان بلال بن رَبَاح يخرجه أمية بن خلف اذا حميت الظهيرة ، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة ، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ، ثم يقول له : « لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللاّت والعُزّى » ، فيقول وهو في ذلك البلاء : « أحَدٌ .. أحد .. » [١٢٧] .

وكان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة ، فيمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول : « صبراً آل ياسر ، موعدكم الجنة » ؛ فأما أمه فقتلوهـــا وهي تأبى إلا الاسلام [١٢٨] .

وعندما أسلم عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أخذه عمه الحكم بن أبي العاص بن أمية فأوثقه كتافاً وقال : « ترغب عن ملّة آبائك الى دين محمد ؟! والله لا أحلّك أبداً حتى تدع ما أنت عليه » ؛ فقال عثمان : « والله لا أدعه أبداً ولا أفارقه » ؛ وقيل : عذّبه عمه بالدخان ليرجع ، فما رجع [١٢٩] .

وعندما أسلم الزبير بن العوام رضي الله عنه علّقه عمه في حصير ودخّن

---

(١٢٧) سيرة ابن هشام (١/٣٣٩ — ٣٤٠) والاصابة (١/١٧١) .
(١٢٨) سيرة ابن هشام (١/٣٤٢) وأسد الغابة (٤/٤٢) .
(١٢٩) السيرة الحلبية (١/٣١٢) .

عليه ليرجع الى الكفر ، فكان يقول « لا أكفر أبداً »(١٣٠) .

ولاقى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه معارضة شديدة لإسلامه حتى من أمه ! قال سعد : «كنت رجلاً براً بأمي ، فلما أسلمت قالت : يا سعد ! ما هذا الذي أحدثت ! لتدعنّ دينك أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت ، فتعيّر بي ! فقلت لها : لا تفعلي يا أماه ، فاني لا أدع ديني ! فمكثت يوماً وليلة لا تأكل ولا تشرب ، فأصبحت وقد جهدت ، فقلت لها : والله لو كان لك ألف نفس ، فخرجت نفساً نفساً ، ما تركت هذا الشيء ! فلما رأت ذلك مني ، أكلت وشربت ، فأنزل الله : (وان جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم ، فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا)(١٣١) .

ولما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيب أصحابه من البلاء ، قال لهم : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة ، فان بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد ، وهي أرض صدق ، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه » ؛ فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أرض الحبشة مخافة الفتنة ، وفروا الى الله بدينهم ، فكانت أول هجرة في الاسلام(١٣٢) ؛ وهكذا ترك المسلمون المهاجرون ديارهم وأموالهم وأهليهم حرصاً على دينهم .

وقدم المسلمون مكة من الهجرة الأولى الى الحبشة ، لأنهم سمعوا باسلام قريش ، ولكن ظهر لهم أن قريشاً لا تزال على دينها — فاشتدّ عليهم قومهم وسطت بهم عشائرهم ولقوا منهم أذى شديداً ؛ لذلك أذن لهم رسول الله

---

(١٣٠) الاصابة (٥/٣) وحلية الاولياء (٨٩/١) وصفة الصفوة (١٣٢/١) .

(١٣١) أسد الغابة (٢٩٢/٢) وطبقات ابن سعد (١٢٤/٤) ، وانظر تفسير ابن كثير (٤٥٨/٦) وتفسير البغوي (٤٥٨/٦) وتفسير الكشاف (٤١٣/٢) وشرح النووي على مسلم (١٥٩/٥) والآية الكريمة من سورة لقمان (٣١ : ١٥) .

(١٣٢) سيرة ابن هشام (٣٤٣/١) ، وانظر طبقات ابن سعد (٢٠٣/١ — ٢٠٤) وعيون الأثر (١١٥/١) .

صلى الله عليه وسلم في الخروج الى الحبشة مرة ثانية ؛ فكانت خرجتهم الثانية أعظمها مشقة ولقوا من قريش تعنيفاً شديداً ونالوهم بالأذى (١٣٣) .

وفي الحبشة سأل النجاشي المهاجرين من المسلمين فقال لهم : « ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا ديني ولا دين أحد من هذه الملل ؟! » ، فقال له جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه : « أيها الملك ! كنا قوماً أهل جاهلية ؛ نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ؛ ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بعث الله الينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا الى الله لنوحده ونعبده ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنة ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام — وعدّد عليه أمور الاسلام — فصدّقناه وآمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ؛ فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً ، وحرّمنا ما حرّم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا ؛ فعدا علينا قومنا فعذّبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا الى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى ، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ؛ فلما قهرونا وظلمونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا الى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا نُظلم عندك أيها الملك » (١٣٤) .

وبلغ أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الذين خرجوا الى الحبشة اسلام أهل مكة ، فأقبلوا لما بلغهم من ذلك ؛ حتى اذا دنوا من مكة بلغهم أن ما كانوا تحدّثوا به من اسلام أهل مكة كان باطلاً ؛ فلم يدخل منهم أحد

---

(١٣٣) طبقات ابن سعد (٢٠٧/١) .
(١٣٤) سيرة ابن هشام (٣٨٨/١) .

الا بجوار أو مستخفياً [١٣٥] .

ودخل عثمان بن مظعون بن حبيب الجمحي بجوار من الوليد بن المغيرة ؛ فلما رأى ما فيه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من البلاء وهو يغدو ويروح في أمان قال : « والله إن غدوي ورواحي آمناً بجوار رجل من أهل الشرك ، وأصحابي وأهل ديني يلقون البلاء والأذى في الله ما لا يصيبني ، لنقص كبير في نفسي ! » فمشى الى الوليد بن المغيرة وقال له : « يا أبا عبد شمس ! وفت ذمتك ، وقد رددت اليك جوارك » ، فقال له : « يا ابن أخي ! لعله آذاك أحد من قومي ؟! » ، قال : « لا ، ولكني أرضى بجوار الله ، ولا أريد أن أستجير بغيره » ، فانطلقا الى المسجد وردّ عثمان جوار الوليد علانية [١٣٦] .

وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه حين ضاقت عليه مكة وأصابه الأذى ورأى من تظاهر قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة ، فأذن له ؛ فخرج أبو بكر مهاجراً حتى إذا سار من مكة يوماً أو يومين لقيه ابن الدّغُنّة فقال : « أين يا أبا بكر ؟ » ؛ قال : « أخرجني قومي وآذوني وضيقوا علي ! » ، فقال : « ولم ؟! فوالله إنك لتزيّن العشيرة ، وتعين على النوائب وتفعل المعروف وتكسِب المعدوم [١٣٧] ! ارجع وأنت في جواري ؟ » ؛ فرجع معه — حتى اذا دخل مكة قام ابن الدغنة فقال : « يا معشر قريش ! إني قد أجَرتُ ابن أبي قُحافة ، فلا يعرضنّ له أحد إلا بخير » . وكان لأبي بكر مسجد عند باب داره في بني جُمَح ، فكان يصلي فيه ؛ وكان

---

(١٣٥) سيرة ابن هشام (٣٨٨/١) .

(١٣٦) سيرة ابن هشام (٣٩١/١ — ٣٩٢) .

(١٣٧) يقال : كسبت الرجل مالا ، فتعديه الى مفعولين . ويقال : اكسبته مالا . ومعنى : تكسب المعدوم ، أي تكسب غيرك ما هو معدوم عنده .

رجلاً رقيقاً اذا قرأ القرآن استبكى ، فيقف عليه الصبيان والعبيد والنساء يعجبون لما يرون من هيئته ؛ فمشى رجال من قريش الى ابن الدغنة فقالوا : « يا ابن الدغنة ! إنك لم تُجِرْ هذا الرجل ليؤذينا . إنه رجل إذا صلى وقرأ ما جاء به محمد ، يرقّ ويبكي ، وكانت له هيئة ونحو ، فنحن نتخوّف عليه صبياننا ونساءنا وضعفتنا أن يفتنهم ؛ فأته فمره أن يدخل بيته فليصنع فيه ما شاء » . ومشى ابن الدغنة اليه فقال له : « يا أبا بكر ! إني لم أجرك لتؤذي قومك . إنهم قد كرهوا مكانك الذي أنت به وتأذوا بذلك منك ، فادخل بيتك فاصنع فيه ما أحببت » ؛ فقال أبو بكر : « أو أرد عليك جوارك وأرضى بجوار الله » ، فقال : « اردد عليّ جواري » ، فرد أبو بكر على ابن الدغنة جواره (١٣٨) .

— ٨ —

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه بالخروج من مكة الى المدينة والهجرة اليها واللحوق باخوانهم من الأنصار ، وقال : « إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً تأمنون بها » ، فخرجوا إرسالاً (١٣٩) .

وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هجرته الى المدينة بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، فقال : « تآخوا في الله أخوين أخوين » (١٤٠) ؛ فقال سعد بن الربيع لعبد الرحمن بن عوف : « إني من أكثر الأنصار مالاً ، وأنا مقاسمك ، وعندي امرأتان ، فأنا مطلق أحداهما ، فاذا انقضت عدتها فتزوجها » ؛ فقال له عبد الرحمن : « بارك الله لك في أهلك ومالك » (١٤١) ، وقد وصف عبد الله بن عمر بن الخطاب هذه المؤاخاة بقوله : « لقد رأيتنا

---

(١٣٨) سيرة ابن هشام (١/٣٩٤ — ٣٩٦) .
(١٣٩) سيرة ابن هشام (٢/٨٦) .
(١٤٠) سيرة ابن هشام (٢/١٢٤) .
(١٤١) أسد الغابة (٢/٢٧٨) وعيون الاثر (١/٢٠٣) .

وما الرجل المسلم بأحق بديناره ودرهمه من أخيه المسلم » . وقال المهاجرون : « يا رسول الله ! ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساة في قليل ولا أحسن بذلاً من كثير : كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله »(١٤٢) .

وفي المدينة أظهر العرب المسلمون الأعاجيب في إخلاصهم لعقيدتهم ، فقد كان عمير بن سعد في حجر جُلاس بن سويد بن الصامت إذ خلف جلاس هذا على أم عمير بعد أبيه ، فسمع عمير كلمة نابية قالها جلاس ضد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « والله يا جلاس ، إنك لأحب الناس اليّ وأحسنه عندي يداً وأعزه أن يصيبه شيء يكرهه ؛ ولقد قلت مقالة لئن رفعتها عليك لأفضحنك ، ولئن صمتّ عليها ليهلكن ديني ، ولأحدهما أيسر عليّ من الأخرى ! » ؛ ثم مشى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر له ما قال جلاس(١٤٣).

واجتمع المنافقون يوماً في المسجد ، فرآهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحدثون خافضي أصواتهم قد لصق بعضهم ببعض ، فأمر بهم فأخرجوا من المسجد إخراجاً عنيفاً : قام أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري الى عمرو ابن قيس من بني النجار ـ وكان صاحب آلهتهم في الجاهلية ، فأخذ برجله فسحبه من المسجد ؛ ثم أقبل أبو أيوب أيضاً الى رافع بن وديعة من بني النجار فلبّبه بردائه ثم نتره نتراً(١٤٤) شديداً ولطم وجهه ثم أخرجه من المسجد(١٤٥) .

وكان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من اليهود لما كان بينهم من

---

(١٤٢) عيون الأثر (١/٢٠٠) .
(١٤٣) سيرة ابن هشام (٢/١٤١) .
(١٤٤) نتره : جذبه .
(١٤٥) سيرة ابن هشام (٢/١٥٠ – ١٥١) .

الجوار والحلف في الجاهلية ، فأنزل الله تعالى فيهم ينهاهم عن مباطنتهم: (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ، ودّوا ما عنتم ؛ قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ، قد بيّنا لكم الآيات إن كنتم تعقلون . ها أنتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله (١٤٦) ، وإذا لقوكم قالوا : آمنا ، وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ، قل : موتوا بغيظكم ، إن الله عليم بذات الصدور) (١٤٧) فقاطع العرب المسلمون حلفاءهم من يهود .

وتحمل المهاجرون من العرب المسلمين في المدينة بصبر وجلد ما أصابهم من وباء الحمى ، قالت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها : «لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة قدمها وهي أوبأ أرض الله من الحُمّى ، فأصاب أصحابه منها بلاء وسقم ، وصرف الله تعالى ذلك عن نبيه صلى الله عليه وسلم ، فكان أبو بكر وعامر بن فُهَيْرة وبلال في بيت واحد ، فأصابتهم الحمى ، فدخلت عليهم أعودهم وذلك قبل أن يضرب علينا الحجاب ، وبهم مالا يعلمه إلا الله من شدة الوعك (١٤٨) ، فدنوت من أبي بكر فقلت له : كيف تجدك يا أبتِ ؟ ، فقال :

كل امرىء مصبّح في أهلـه
والموت أدنى من شِراك نعله

فقلت : والله ما يدري أبي ما يقول . ثم دنوت الى عامر بن فهيرة فقلت له : كيف تجدك يا عامر ؟ فقال :

---

(١٤٦) وتؤمنون بالكتاب كله : أي تؤمنون بكتابهم وكتابكم وبما مضى من الكتب قبل ذلك ، وهم يكفرون بكتابكم ، فأنتم كنتم أحق بالبغضاء لهم منهم لكم .

(١٤٧) الآيتان الكريمتان من سورة آل عمران (٣ : ١١٨ – ١١٩) . وانظر ما جاء حول ذلك في سيرة ابن هشام (٢/١٨٦ – ١٨٧) .

(١٤٨) الوعك : بفتح وسكون – شدة ألم المرض ، يقال : وعكته الحمى : اذا بالغت فيه .

لقد وجدت الموت قبـــل ذوقه
انّ الجبـــان حتفه من فوقـــه

كل امــــرىء مجاهد بطـــوقه
كالثور يحمي جلده بروقه (١٤٩)

فقلت : والله ما يدري ما يقول ! وكان بلال اذا تركته الحمى اضطجع بفناء البيت ، ثم رفع عقيرته (١٥٠) فقال :

ألا ليت شعري هل أبيتَنَ ليلة
بفسخ وحولي اذخـرٌ وجايل (١٥١)

وهل أرِدَنْ يوماً مياه مِجَنّة
وهل يبدون لي شامة وطِفيل (١٥٢)

فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت : انهم ليهذون وما يعقلون من شدة الحمى » (١٥٣).

لقد تحمل العرب المسلمون الفقر والمرض بعد هجرتهم الى المدينة من أجل عقيدتهم .

— ٩ —

وبدأ الصراع الحاسم بين المسلمين وأعدائهم ، فأبدى المسلمون في جهادهم ضروباً من التضحية لا مثيل لها في التاريخ كله .

---

(١٤٩) الطوق : هنا الطاقة والقوة . والروق — بفتح الراء و سكون الواو : القرن .

(١٥٠) عقيرته : صوته .

(١٥١) فسخ : موضع خارج مكة به مويه . الأذخر : نبات يشبه الاسل الذي تعمل منه الحصر . الجليل : الثمام ، وأهل الحجاز يسمون الثمام الجليل .

(١٥٢) مجنة : اسم موضع ، وقيل : بلد على بعد اميال من مكة . وطفيل : اسم جبل وكذلك شامة جبل بمكة .

(١٥٣) سيرة ابن هشام (٢/٢٢٠ — ٢٢١) .

فقد استشار رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه قبل غزوة (بدر) ، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمرو فقال : « يا رسول الله ! امض لما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك كما قالت بنو اسرائيل لموسى : (فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون)[١٥٤] ، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ؛ فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا الى (برْك الغِماد)[١٥٥أ] لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه » ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعا له ؛ ثم قال : « أشيروا عليّ أيها الناس » ، وإنما يريد الأنصار ، وذلك أنهم عدد الناس وأنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : « يا رسول الله ! انا براء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا ، فاذا وصلت الينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا » ؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخوّف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن دهمه[١٥٥] بالمدينة من عدوه ، وأن ليس عليهم أن يسير بهم من بلادهم الى عدو ؛ فلما قال ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له سعد بن معاذ : « والله لكأنك تريدنا يا رسول الله ؟! » ، قال : « أجل ! » . قال : « فقد آمنا بك وصدّقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ، وأعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلّف منا رجل واحد ، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً . انا لصُبر في الحرب ، صُدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينك ، فسر بنا على بركة الله[١٥٦] .

---

(١٥٤) الآية الكريمة من سورة المائدة (٥ : ٢٤) .

(١٥٥ أ) برك الغماد : موضع بناحية اليمن .

(١٥٥) دهمه : فجأه . يقال : دهمتهم الخيل ، اذا فاجأتهم على غير استعداد .

(١٥٦) سيرة ابن هشام (٢/٢٥٣ - ٢٥٤) وعيون الأثر (١/٢٤٧ - ٢٤٨) .

ومرّ الرسول القائد برجاله يعدل صفوفهم يوم بدر ، فمر بسواد بن غزية حليف بني عدي بن النجار ، فطعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقدح الذي كان بيده في بطن سواد وقال : « استو يا سواد » ، فقال : « يا رسول الله ، أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل ، فأقدني ! » ؛ فكشف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بطنه وقال : « استقد » ، فاعتنقه وقبّل بطنه ، فقال : « ما حملك على هذا يا سواد ؟ » قال : « يا رسول الله ! حضر ما ترى ، فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمسّ جلدي جلدك » (١٥٧) .

وحرّض رسول الله صلى الله عليه وسلم على القتال بقوله : « والذي نفس محمد بيده ، لا يقاتلهم اليوم رجل فيقتل صابراً محتسباً مقبلاً غير مدبر ، الا أدخله الله الجنة » ، فقال عمير بن الحمام – وكانت بيده تمرات يأكلهن : « بخ ! بخ ! أفما بيني وبين أن أدخل الجنة الا أن يقتلني هؤلاء » ، ثم قذف التمرات من يده وأخذ سيفه ، فقاتل القوم حتى قتل .

واستصغر النبي صلى الله عليه وسلم عمير بن أبي وقاص الزهري لما أراد المسير الى بدر فبكى عمير فأجازه ! وكان سيفه طويلاً فعقد عليه خمائل سيفه أخوه سعد بن ابي وقاص ، قال سعد : « رأيت أخي عميراً قبل أن يعرضنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوارى ، فقلت : مالك يا أخي ! فقال : أخاف أن يستصغرني رسول الله صلى الله عليه وسلم فيردني وأنا أحب الخروج لعل الله أن يرزقني الشهادة » ؛ فرزق ما تمنى ، اذ مات شهيدا (١٥٨) .

وقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه : « اني لواقف يوم بدر في الصف ، نظرت عن يميني وعن شمالي ، فاذا أنا بين غلامين من الانصار

---

(١٥٧) عيون الأثر (٢٥٥/١) .

(١٥٨) اسد الغابة (١٤٨/٤) .

حديثة أسنانهما تمنيت لو كنت بين أضلع منهما ، فغمزني أحدهما فقال : يا عم هل تعرف أبا جهل بن هشام؟ فقلت : نعم ، وما حاجتك يا ابن أخي ؟! قال : بلغني أنه كان يسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ والذي نفسي بيده ، لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا . وغمزني الآخر فقال مثلها ، فعجبت لذلك . ونظرت الى ابي جهل يزول في الناس ، فقلت ، لهما : الا تريان؟! هذا صاحبكما الذي تسألان عنه ، فابتدراه بسيفهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصرفا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبراه ؛ فقال : أيكما قتله؟ فقال كل واحد منهما : أنا قتلته ، وهما معاذ بن عمرو بن الجموح ومعاذ بن عفراء »(١٥٩) .

في هذه المعركة التقى الآباء والابناء ، والاخوة بالاخوة ! خالفت بينهم المبادىء ، ففصلت بينهم السيوف !

كان أبو بكر مع المسلمين ، وكان ابنه عبد الرحمن مع المشركين ؛ وكان عتبة بن ربيعة مع قريش ، وكان ولده أبو حذيفة مع المسلمين(١٦٠) .

قال عبد الرحمن بن أبي بكر بعد اسلامه لأبيه : « لقد أهدفت لي يوم بدر مراراً ، فصدفت عنك » ، فقال ابو بكر : « لو هدفت لي لم أصدف عنك »(١٦١) .

وفي يوم بدر قتل أبو عبيدة بن الجراح أباه وكان مشركاً(١٦٢) .

— ١٠ —

وفي (أحد) أراد ان يستثير الرسول القائد روح المنافسة الشريفة بين

---

(١٥٩) عيون الأثر (١/٢٦١ – ٢٦٢) .
(١٦٠) الرسول القائد (٨٣) .
(١٦١) السيرة الحلبية (٢/١٧٩) .
(١٦٢) الاصابة (٤/١١) والسيرة الحلبية (٢/١٧٨) .

أصحابه فقال : « من يأخذ هذا السيف بحقه ؟... فقام اليه رجال فأمسكه عنهم — حتى قام اليه أبو دُجَانة سِمَاك بن خَرَشَة أخو بني ساعدة ، فقال : « وما حقّه يا رسول الله ؟ » قال : « ان تضرب به العدو حتى ينحني » ، قال : « أنا آخذه يا رسول الله بحقه » ، فأعطاه اياه ... وكان أبو دجانة رجلاً شجاعاً يختال عند الحرب (١٦٣) اذا كانت ، وكان اذا أعلم بعصابة حمراء فاعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل . ولما أخذ السيف من يد رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه ، ثم جعل يتبختر بين الصفين ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأى ابا دجانة يتبختر : « انها لمشية يبغضها الله الا في مثل هذا الموطن » (١٦٤).

وقال الانصار حين رأوا أبا دجانة يخرج عصابته الحمراء : « أخرج أبو دجانة عصابة الموت » ، وهكذا كانت تقول له اذا تعصب بها ؛ فخرج وهو يقول :

انا الذي عـــاهدني خليلي
ونحن بالسفح لدى النخيل

ان لا أقوم الدهرَ في الكَيول
أضرب بسيف الله والرسول (١٦٥)

فجعل لا يلقى احداً الا قتله ؛ وكان في المشركين رجل لا يدع للمسلمين جريحاً الا ذفّفَ عليه (١٦٦) ، فجعل كل واحد منهما يدنو من صاحبه ، فاختلفا ضربتين فقتله أبو دجانة .

---

(١٦٣) يختال عند الحرب : هو من الخيلاء ، وهو الزهو .

(١٦٤) سيرة ابن هشام (٣/١١ — ١٢) وانظر أسد الغابة (٣٥٢/٢) .

(١٦٥) الكيول : آخر الصفوف في الحرب ، وهو بتشديد الياء ، وقد تخفف ، والكاف مفتوحة على الوجهين .

(١٦٦) ذفف عليه : اجهز عليه وأسرع قتله .

قال أبو دجانة : « رأيت انساناً يَحْمِش [١٦٧] الناس حمشاً شديداً ، فصمدت له [١٦٨] ، فلما حملت عليه السيف ولول [١٦٩] ؛ فاذا امرأة ، فأكرمت سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أضرب به امرأة [١٧٠] .

وفي (أحد) أيضاً نزع أبو عبيدة بن الجراح احدى الحلقتين من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فسقطت ثنيته ، ثم نزع الاخرى فسقطت ثنيته الاخرى [١٧١] .

وقاتلت أم عُمارة نُسَيْبَة بنت كعب المازنية يوم (أُحد) ، قالت نسيبة : « خرجت أول النهار وانا انظر ما يصنع الناس ومعي سِقَاء فيه ماء ، فانتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في اصحابه ، والدولة [١٧٢] والريح للمسلمين ؛ فلما انهزم المسلمون انحزت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقمت أباشر القتال وأذب عنه بالسيف وارمي عن القوس ، حتّى خلصت الجراح اليّ » ، فكان على عاتقها جرح أجوف له غور [١٧٣] .

وترّس دون رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو دجانة بنفسه يقع النّبْلُ في ظهره وهو منحنٍ عليه حتى كثر فيه النبل . ورمى سعد بن أبي وقاص دون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان النبي الكريم يقول له : « ارم فداك أبي وأمي » [١٧٤] .

---

(١٦٧) يحمش : يثير حميتهم وغضبهم .
(١٦٨) صمدت له : قصدت نحوه .
(١٦٩) الولولة : رفع الصوت .
(١٧٠) سيرة ابن هشام (٣/١٣ – ١٤) .
(١٧١) سيرة ابن هشام (٣ ظ ٢٨) وطبقات ابن سعد (٣/٤١٠) وجوامع السيرة ص (١٦١)
(١٧٢) الدولة : بفتح الدال المهملة او ضمها ، والمراد بها هنا الغلبة ، والريح : النصر .
(١٧٣) سيرة ابن هشام (٣/٢٩ – ٣٠) والاصابة (٨/١٩٨ – ١٩٩) .
(١٧٤) سيرة ابن هشام (٣/٣٠) .

ولما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى (أحد)، رُفع حُسَيْل ابن جابر (وهو اليمان أبو حذيفة) وثابت بن وَقَش في الآطام مع النساء والصبيان، فقال أحدهما لصاحبه وهما شيخان كبيران: «لا أبا لك! ما تنتظر؟! فوالله ان بقي لواحد منا من عمره الا ظمْء حمار[175]، انما نحن هامَة اليوم[176] أفلا نأخذ أسيافنا ثم نلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم لعلّ الله يرزقنا شهادةً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم»، فأخذا اسيافهما ثم خرجا حتى دخلا في الناس ولم يُعْلَم بهما[177].

أما ثابت بن وقش، فقتله المشركون[178]. أما حسيل بن جابر فاختلفت عليه أسياف المسلمين فقتلوه لا يعرفونه؛ فقال حذيفة: «أبي... أبي... والله»، فقالوا: «والله ان عرفناه»؛ فقال حذيفة: «يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين»؛ فأراد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يَدِيَه، فتصدّق حذيفة بديته على المسلمين[179].

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد (أحد) رهط من عَضَل والقارة[180]، فقالوا: «يا رسول الله! ان فينا اسلاماً، فابعث معنا نفراً من أصحابك يفقهوننا في الدين، ويقرئوننا القرآن، ويعلموننا شرائع الاسلام»، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم نفراً ستة من أصحابه[181]. وخرج القوم حتى اذا كانوا على الرَّجيع (ماء لهذيل بناحية

---

(١٧٥) الظمء: مقدار ما يكون بين الشربتين، وأقصر الاظماء ظمء الحمار، فضرباه مثلا لقرب الاجل.

(١٧٦) هامة اليوم أو غد: يريد أنهما يموتان اليوم أو غد.

(١٧٧) سيرة ابن هشام (٣/٣٦).

(١٧٨) أسد الغابة (١/٢٣٤) والاصابة (١/٢٠٤).

(١٧٩) الاستيعاب (١/٣٥٢) وسيرة ابن هشام (٣/٣٧).

(١٨٠) عضل والقارة: قبيلتان من الهون بن خزيمة بن مدركة.

(١٨١) سيرة ابن هشام (٣/١٦٠) وفي عيون الاثر (٢/٤٠): انهم كانوا عشرة.

الحجاز) غدروا بهم [١٨٢] ؛ فقتلوا بعضهم وأخذوا خُبيب بن عدي وزيد بن الدثنّة اسيرين وقدموا بهما مكة وباعوهما من قريش بأسيرين من هذيل كانا بمكة [١٨٣] .

وخرج المشركون بخبيب من الحرام الى الحل ليقتلوه ، فقال لهم : « دعوني أركع ركعتين » ، فتركوه فركع ركعتين ثم قال : « والله لولا ان تحسبوا أن ما بي جزع من الموت لزدت ! اللهم احصهم عدداً ، واقتلهم بدداً ، ولا تبق منهم أحدا ... » ...

« فلست أبـالي حين أقتل مسلماً
على أي جنب كان في الله مصرعي
وذلك في ذات الالـه وان يشأ
يبارك على أوصال شلوٍ ممـزّع »

ثم قاموا اليه فقتلوه [١٨٤] .

واما زيد بن الدثنة فابتاعه صفوان بن أمية ليقتله بأبيه أمية بن خلف ، فأخرجه رجاله ليقتلوه . واجتمع رهط من قريش منهم أبو سفيان بن حرب ، فقال أبو سفيان حين قدم زيد ليقتل : « أنشدك الله يا زيد ! أتحبّ أن محمداً عندنا الآن في مكانك نضرب عنقه وانك في أهلك ؟ » فقال زيد : « والله ما أحب أن محمداً الآن في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة تؤذيه واني جالس في أهلي » ، فقال أبو سفيان : « ما رأيت أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد محمداً » ... ثم قتلوه [١٨٥] .

---

(١٨٢) سيرة ابن هشام (٣/١٦٠) .
(١٨٣) سيرة ابن هشام (٣/١٦٤) .
(١٨٤) أسد الغابة (٢/١٠٤) والاصابة (٢/١٠٣) .
(١٨٥) سيرة ابن هشام (٣/١٦٤ — ١٦٥) .

وفي غزوة (الخندق) كانت صفية بنت عبد المطلب مع النساء والصبيان ، قالت : « فمر بنا رجل من يهود ، فجعل يُطيف بالحصن ، وقد حاربت بنو قريظة وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وليس بيننا وبينهم احد يدفع عنا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون في نحور عدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم الينا ان أتانا آت ؛ فقلت : يا حسان [١٨٦] ، ان هذا اليهودي كما ترى يطيف بالحصن ، واني والله ما آمنه أن يدل على عورتنا مَنْ وراءنا من يهود ، وقد شُغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فانزل اليه فاقتله ! قال : يغفر الله لك يا ابنة عبد المطلب ! والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا ! ... فلما قال لي ذلك ولم أر عنده شيئاً احتجزت [١٨٧] ثم أخذت عموداً [١٨٨] ثم نزلت من الحصن اليه ، فضربته بالعمود حتى قتلته ، فلما فرغت منه رجعت الى الحصن [١٨٩] ... » .

ولما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمر الاحزاب في غزوة الخندق ، دعا حذيفة بن اليمان وبعثه اليهم ليلاً لينظر ما فعل القوم . قال حذيفة : « فذهبت ، فدخلت في القوم ، والريح وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقر لهم قِدراً ولا ناراً ولا بناء ، فقام أبو سفيان فقال : يا معشر قريش ! لينظر امروٌ من جليسه ! قال حذيفة : فأخذت بيد الرجل الذي كان الى جنبي ، فقلت : من أنت ؟ قال : فلان بن فلان ! ثم قال

---

(١٨٦) هو حسان بن ثابت شاعر النبي صلى الله عليه وسلم .

(١٨٧) احتجزت : معناه شددت وسطي . تقول : احتجز فلان بازاره ، اذا شد وسطه وربطه فيه .

(١٨٨) العمود هنا : أحد أعمدة البيت التي يقام عليها ، وقد يكون العمود ، المقرعة من الحديد .

(١٨٩) سيرة ابن هشام (٢٤٦/٣) وأسد الغابة (٤٩٣/٥) وطبقات ابن سعد (٤١/٨) والاصابة (١٢٩/٨) .

أبو سفيان : يا معشر قريش ! انكم والله ما أصبحتم بدار مُقام ؛ لقد هلك الكراع والخف [190] وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة الريح ما ترون ؛ ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا بناء ؛ فارتحلوا فإني مرتحل ! ... ثم قام الى جمله وهو معقول فجلس عليه ، ثم ضربه فوثب به على ثلاث ، فوالله ما أطلق عقاله الا وهو قائم ... فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قائم يصلي في مِرْط [191] لبعض نسائه مراجل [192] ؛ فلما رآني ادخلني الى رجليه وطرح علي طرف المرط ، ثم رجع وسجد ؛ فلما سلّم أخبرته الخبر » [193] .

وحاصر النبي صلى الله عليه وسلم بني قُرَيظَة خمساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار [194] ، فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ابعث الينا أبا لُبابة بن عبد المنذر أخا بني عمرو بن عوف لنستشيره في أمرنا ؛ فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم اليهم ، فلما رأوه قام اليه الرجال وجهش [195] اليه النساء والصبيان يبكون في وجهه فرقّ لهم ، وقالوا له : « يا أبا لبابة ، أترى ان ننزل على حكم محمد ؟ » ، قال : « نعم » وأشار بيده الى حلقه : انه الذبح ! ... قال أبو لبابة : « فوالله ما زالت قدماي من مكانهما حتى عرفت أني قد خنت الله ورسوله صلى الله عليه وسلم » . وانطلق أبو لبابة على وجهه ، ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد الى عمود من عُمُده وقال : « لا أبرح من

---

(١٩٠) الكراع : الخيل . والخف : الابل .
(١٩١) مرط : الكساء .
(١٩٢) مراجل : ضرب من وشي اليمن .
(١٩٣) سيرة ابن هشام (٣/٢٥٠ - ٢٥٢) وطبقات ابن سعد (٢/٦٩) .
(١٩٤) سيرة ابن هشام (٣/٢٥٤) .
(١٩٥) تقول : جهش الرجل بالبكاء وأجهش : اذا تهيأ له وبدأ فيه .

مكاني هذا حتى يتوب الله عليّ مما صنعت وأعاهد الله أن لا أطأ بني قُرَيْظة أبداً ولا أُرى في بلد خنت الله ورسوله فيه أبداً » ؛ فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره – وكان قد استبطأه – قال : « أما انه لو جاءني لاستغفرت له ، فأما اذ قد فعل ما فعل فما أنا بالذي أُطلقه من مكانه حتى يتوب الله عليه » . وتاب الله على أبي لبابة فثار الناس اليه ليطلقوه فقال : « لا والله ، حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلقني بيده » فلما مرّ عليه صلى الله عليه وسلم خارجاً الى صلاة الصبح أطلقه (١٩٦) !

ونزل بنو قريظة على حكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتواثبت الاوس فقالوا : « يا رسول الله صلى الله عليك وسلم ! انهم كانوا موالينا دون الخزرج ، وقد فعلت في موالي اخواننا بالامس ما قد علمت ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاصر بني قَيْنُقَاع حلفاء الخزرج قبل بني قريظة فنزلوا على حكمه فسأله اياهم عبد الله بن أبي بن سَلُول ، فوهبهم له ؛ فلما كلمته الاوس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الا ترضون يا معشر الاوس ان يحكم فيهم رجل منكم ؟ »، قالوا : « بلى ! » ، فقال : « فذاك الى سعد بن معاذ » ؛ فأقبل الاوس مع سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون لسعد : « يا أبا عمرو ! أحسن في مواليك ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم انما ولاك ذلك لتحسن فيهم » ، فلما أكثروا عليه قال : « لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم » . وانتهى سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « اني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الاموال وتسبى الذراري والنساء » (١٩٧) .

---

(١٩٦) سيرة ابن هشام (٣/٢٥٥ – ٢٥٦) .

(١٩٧) سيرة ابن هشام (٣/٢٥٧ – ٢٥٩) .

وكان مما صنع الله به لرسوله صلى الله عليه وسلم ، أن هذين الحيين من الأنصار : الأوس والخزرج ، كانا يتصاولان (١٩٨) مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تصاول الفحلين ؛ لا تصنع الأوس شيئاً فيه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غَنَاء (١٩٩) إلا قالت الخزرج : « والله لا تذهبون بهذه فضلاً علينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في الاسلام » ؛ فلا ينتهون حتى يوقعوا مثلها ؛ وإذا فعلت الخزرج شيئاً قالت الأوس مثل ذلك !

ولما أصابت الأوسُ كعبَ بن الأشرف في عداوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت الخزرج : « والله لا تذهبون بها فضلاً علينا أبداً » ؛ فتذاكروا : من رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم في العداوة كابن الأشرف ؟ فذكروا ابن أبي الحُقَيْق — وهو بخيبر ، فاستأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في قتله ، فأذن لهم ؛ فخرج اليه من الخزرج من بني سلمة خمسة نفر ، فأمّر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن عتيك ونهاهم أن يقتلوا وليداً أو امرأة ؛ فخرجوا حتى اذا قدموا خيبر ، أتوا دار ابن أبي الحقيق فلم يدعوا بيتاً في الدار إلا أغلقوه على أهله . وكان ابن أبي الحقيق في علّية له اليها عَجَلَة (٢٠٠) فأسندوا فيها (٢٠١) حتى قاموا على بابه ، فاستأذنوا عليه ، فخرجت اليهم امرأته ، فقالت : « من أنتم ؟! » ،

---

(١٩٨) تصاول : يقال تصاول الفحلان ، اذا حمل هذا على هذا . وأراد : ان كل واحد من الحيين كان يدفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويتفاخران بذلك ، فاذا فعل احدهما شيئاً فعل الآخر مثله .

(١٩٩) غناء : منفعة ودفع مكروه عنه وجلب فائدة .

(٢٠٠) له اليها عجلة : المراد بالعجلة هنا ، جذع النخلة ، كانوا ينقرون في مواضع منه نقراً بعضها فوق بعض ، ثم يجعلونه كالسلم يصعدون عليه الى الغرف والاماكن العالية .

(٢٠١) اسندوا فيها : علوا وارتفعوا ، وتقول : اسند فلان في الجبل ، اذا علا فيه وارتفع .

فقالوا : « ناس من العرب نلتمس الميرة » ، فقالت : ذاكم صاحبكم فادخلوا عليه ! » . ودخلوا على ابن أبي الحقيق وأغلقوا عليه وعليهم الحجرة تخوفاً أن تكون دونه مُجَاوَلَة (٢٠٢) ، وابتدروه وهو على فراشه بأسيافهم وقتلوه (٢٠٣) .

وفي غزوة (المُرَيْسع) تزاحم أحد المهاجرين مع أحد الأنصار على الماء ، فاقتتلا ؛ فصرخ المهاجري : يا معشر المهاجرين ! وصرخ الأنصاري : يا معشر الانصار ! فغضب عبد الله بن أبيّ بن سَلُول وقال : « أو قد فعلوها ؟! قد نافرونا وكاثرونا في بلادنا ، والله ما أعُدّنا وجلابيب قريش (٢٠٤) هذه إلا كما قال الأول : سمّن كلبك يأكلك(٢٠٥) . أما والله لئن رجعنا الى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل » (٢٠٦) .

وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أُبيّ الذي كان من أمر أبيه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : « يا رسول الله ! إنه بلغني أنك تريد قتل عبد الله بن أبي فيما بلغك عنه ، فان كنت لا بد فاعلاً فمرني به فأنا احمل اليك رأسه ؛ فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبرّ بوالده مني ، وإني أخشى أن تأمر به غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر الى قاتل أبي يمشي في الناس ، فأقتله ، فأقتل رجلاً مؤمناً بكافر ، فأدخل النار » ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بل نترفّق به ونُحسن صحبته ما بقي معنا » (٢٠٧) .

---

(٢٠٢) المجاولة : الحركة تكون بينه وبينهم .
(٢٠٣) سيرة ابن هشام (٣/٣١٤ - ٣١٥) .
(٢٠٤) جلابيب قريش : لقب كان المشركون يلقبون به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة .
(٢٠٥) سمن كلبك يأكلك : مثل من أمثال العرب ، وفي ضده تقول جوع كلبك يتبعك .
(٢٠٦) سيرة ابن هشام (٣/٣٣٤) .
(٢٠٧) سيرة ابن هشام (٣/٢٣٦ - ٢٣٧) .

وفي رواية ، أن عبد الله هذا ، تقدّم الناس حتى وقف لأبيه على الطريق ، فلما رآه أناخ به وقال : «لا أفارقك حتى تزعم أنك الذليل ومحمد العزيز » ، فمرّ به رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « دعه ، فلعمري لنحسننّ صحبته ما دام بين أظهرنا ! »[٢٠٨] .

وبعثت قريش عُروَة بن مسعود الثقفي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة (الحُدَيبيّة) ، فجعل يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه . وكان المغيرة بن شعبة الثقفي واقفاً على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد ، فقال لعروة : « أكفف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا تصل اليك » ؛ فقال عروة : « ويحك ! ما أفظك وأغلظك !! » ؛ فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له عروة : « من هذا يا محمد ؟! » فقال : « هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة »[٢٠٩] .

وكان في صلح (الحديبية) نص : « من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم[٢١٠] ؛ فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة أتاه أبو بَصير عُتبة بن أسيد بن جارية ، وكان ممن حبس بمكة ؛ فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب فيه أزهر بن عبد عوف بن عبد الحرث بن زُهرة والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثا رجلاً من بني عامر بن لؤي ومعه مولى لهم ، فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الأزهر والأخنس ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا أبا بصير ! إنّا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر ، وإنّ

---

(٢٠٨) طبقات ابن سعد (٢/٦٥) .

(٢٠٩) سيرة ابن هشام (٣/٣٦٢) .

(٢١٠) سيرة ابن هشام (٣/٣٦٦) وطبقات ابن سعد (٢/٩) .

الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ؛ فانطلق الى قومك » ، فقال أبو بصير : « يا رسول الله ! أتردّني الى المشركين يفتنونني في ديني ؟! » فقال : « يا أبا بصير ! انطلق ، فان الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً » ؛ فانطلق معهما ، حتى إذا كان (بذي الحُلَيْفَة) جلس الى جدار ، وجلس معه صاحباه ، فقال : أبو بصير « أصارم سيفك هذا يا أخا بني عامر ؟ » ؛ فقال : « نعم ! » ؛ فقال : « أنظر اليه ؟ » ؛ فقال : « انظر إن شئت » ؛ فاستله أبو بصير ثم علاه به حتى قتله . وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس في المسجد ، فلما رآه طالعاً قال : « إن هذا الرجل قد رأى فَزَعاً » ، فلما انتهى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ويحك !؟ مالك !؟ » ؛ فقال : « قتل صاحبكم صاحبي » . وطلع أبو بصير متوشحاً بالسيف حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا رسول الله ! وَفَتْ ذمتك ، وأدّى الله عنك . أسلمتني بيد القوم وقد امتنعت بديني أُفْتَن فيه أو يُعْبَث بي » ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويل أمه مَحِشّ حَرب (٢١١) لو كان معه رجال » . وخرج أبو بصير حتى نزل (العِيص) من ناحية (ذي المَرْوَة) على البحر بطريق قريش التي كانوا يأخذون عليها الى الشام ؛ وبلغ المسلمين الذين كانوا حُبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه لأبي بصير : « ويل أمه محش حرب لو كان معه رجال » ؛ فخرجوا الى أبي بصير بالعيص ، فاجتمع اليه منهم قريب من سبعين رجلاً ، فضيّقوا على قريش : لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمرّ بهم عير إلا اقتطعوها ؛ حتى كتبت قريش الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأله بأرحامها إلا آواهم فلا حاجة لهم بهم ، فآواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢١٢) .

---

(٢١١) محش حرب : أي أنه يوقد الحرب ويهيجها ويشعل نارها . تقول : حش فلان النار ، اذا أوقدها وجمع لها الحطب .

(٢١٢) سيرة ابن هشام (٣/٣٧٢ - ٣٧٣) .

وفي غزوة (مُوْتة) التقى المسلمون بجموع (هِرَقْل) من الروم والعرب، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط في رماح القوم[٢١٣]؛ فأخذ الراية جعفر بن أبي طالب وقاتل بها، حتى اذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له[٢١٤] شقراء فعقرها، ثم قاتل القوم حتى قتل وهو يقول:

يا حبذا الجنـة واقترابها
طيبة وبـارداً شـرابهـا
والروم روم قد دنا عذابها
كافـرةٌ بعيـدةٌ أنسابها
عليَّ إذ لاقيتها ضرابُها[٢١٥]

وكان جعفر قد أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت، فاحتضنه بعضُدَيه[٢١٦] حتى قتل رضي الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة[٢١٧]؛ فوجد في جسمه بضع وتسعون من طعنة ورمية كلها فيما أقبل من جسمه[٢١٨].

ولما استشهد جعفر، أخذ عبد الله بن رَوَاحة الراية، فتقدم بها وهو على فرسه وهو يقول:

أقسمتُ يا نفسُ لتنزلنّـه
لـتنزلنّ أو لتُـكرهنّـه

---

(٢١٣) شاط في رماح القوم: أي هلك. تقول: شاط الرجل، اذا سال دمه فهلك.
(٢١٤) اقتحم عن فرس له: أي رمى بنفسه عنها، يريد أنه كان فارساً فترجل.
(٢١٥) سيرة ابن هشام (٣/٤٣٣ - ٤٣٤).
(٢١٦) احتضنه: أخذه في حضنه. وحضن الرجل: ما تحت العضد الى أسفل.
(٢١٧) سيرة ابن هشام (٣/٣٤٣).
(٢١٨) الاصابة (١/٢٤٨).

إن أجْلَبَ الناسُ وشدّوا الـرنّة
مالي أراك تكرهـين الجنة ؟ (٢١٩)
قـد طالما قد كنتِ مـطمئنة
هـل أنت الا نطفة في شَنّة (٢٢٠)

ثم قال أيضـاً :

يا نفسُ إلاّ تُقْتَـلي تموتي
هـذا حِمام المـوت قد صليتِ
ومـا تمنَيت فقـد أُعطيتِ
إن تفعـلي فعلهمـا هديتِ

يريد صاحبيه : زيداً وجعفراً ؛ ثم أخذ سيفه فتقدم وقاتل حتى قتل (٢٢١) .

وأخذ الراية ثابت بن أرقم ، فقال : « يا معشر المسلمين ؟ اصطلحوا على رجل منكم » ، فقالوا : « أنت ! » ، فقال « ما أنا بفاعل ! » ؛ فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ؛ فلما أخذ الراية دافع القوم وحاشى (٢٢٢) بهم ، ثم انحاز وانحيز عنه حتى انصرف بالناس (٢٢٣) .

- ١٣ -

وقاد عكاشة بن مِحْصَن الأسدي سرية من المسلمين الى (الغَمر) غمر مرزوق ، وهو ماء لبني أسد على ليلتين من (فَيد) طريق الأول الى المدينة (٢٢٤) ؛ وعكاشة أسدي ولكنه هاجم قومه بني أسد .

---

(٢١٩) أجلب الناس : صاحوا واجتمعوا . والرنة : صوت فيه ترجيع يشبه البكاء .
(٢٢٠) النطفة : الماء القليل الصافي . والشنة : القربة القديمة .
(٢٢١) سيرة ابن هشام (٣/٤٣٤ - ٤٣٥) .
(٢٢٢) حاشى : من المحاشاة .
(٢٢٣) سيرة ابن هشام (٣/٤٣٥) .
(٢٢٤) طبقات ابن سعد (٢/٨٤) .

وقاد أبو العوجاء السلّمي سرية من المسلمين ليقاتل قومه بني سُليم ، فدعاهم الى الاسلام فلم يستجيبوا لدعوته ، فقاتلهم [٢٢٥] .

وقاد الطفيل بن عمرو الدّوْسي سرية من المسلمين ليهدم (ذا الكفين) صنم عمرو بن حَمَمَة الدوسي ، فخرج الطفيل سريعاً الى قومه وهدم (ذا الكفين) وجعل يحش النار في وجهه ويحرقه ويقول :

يــا ذا الكفين لست من عــبادكا
ميلادنـــا أقدم من ميلادكا

إني حششت النـــار في فؤادكا [٢٢٦]

وقاد الضحاك بن سفيان الكلابي سرية من المسلمين ليقاتل قومه بني كلاب ، فدعاهم الى الاسلام فأبوا ، فقاتلهم وهزمهم [٢٢٧] .

وبعث الرسول صلى الله عليه وسلم المغيرة بن شعبة الثقفي الى (اللاّت) وكان سدنتها من ثقيف ، فهدمها المغيرة وحرّقها بالنار [٢٢٨] .

وكانت قوات المسلمين في غزوة (الفتح) عشرة آلاف رجل [٢٢٩] تتألف من المهاجرين والأنصار ومسلمي أكثر القبائل العربية يومذاك : سبعمائة من بني سليم ، وألف من مزينة ، وأربعمائة من بني غفار ، واربعمائة وألف من بني جهينة ، وعدد من تميم وأسد وقيس وغيرها من القبائـــل الأخرى [٢٣٠] ، فلم يتردد المهاجرون في مهاجمة بلدهم الحبيب : مكة المكرمة ومعهم قوات القبائل العربية الأخرى على الرغم من وجود أهليهم

---

(٢٢٥) طبقات ابن سعد (١٢٣/٢) .
(٢٢٦) طبقات ابن سعد (١٥٧/٢) و سيرة ابن هشام (٤١٠/١) .
(٢٢٧) طبقات ابن سعد (١٦٢/٢ – ١٦٣) .
(٢٢٨) كتاب الاصنام للكلبي ص (١٦ – ١٧) .
(٢٢٩) الرسول القائد ص (٢٢٦) . الطبعة الثانية .
(٢٣٠) الرسول القائد ص (٢٣٦ – ٢٣٧) الطبعة الثانية .

وأموالهم فيها .

وقبل الحركة الى هذه الغزوة ، خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة المنورة ، فدخل على ابنته أم حبيبة بنت أبي سفيان ؛ فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه ، فقال : يا بنيّة ! ما أدري ، أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني ؟! » ، فقالت : « بل هو فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأنت رجل مشرك نجس ، فلم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم » ، فقال : « والله لقد أصابك يا بنيّة بعدي شر » (٢٣١) .

ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم (مرّ الظّهْران) قبل أن يدخل مكة ، ركب أبو سفيان خلف العباس بن عبد المطلب عم النبي صلى الله عليه وسلم ، في عجز بغلة الرسول صلى الله عليه وسلم . قال العباس : « فجئت به كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فاذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها قالوا : عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته ؛ حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال : من هذا ؟ وقام الي ، فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة قال : أبو سفيان عدو الله !! الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد ! ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عايه وسلم . وركضت البغلة ، فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطيء ، فاقتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل عمر ، فقال : يا رسول الله ! هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد ، فدعني فلأضرب عنقه ! فقلت : يا رسول الله ! إني قد أجرته ... ثم جلست الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذت برأسه وقلت : والله لا يناجيه الليلة دوني رجل . فلما أكثر في شأنه قلت : مهلاً يا عمر ! فوالله أن لو كان من رجال بني عدي

---

(٢٣١) سيرة ابن هشام (٤/١٢ – ١٣) .

ابن كعب ما قلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بني عبد مناف ! فقال : مهلاً يا عباس ! فوالله لإسلامك يوم أسلمتَ كان أحب اليّ من إسلام الخطاب لو أسلم ، وما بي ، إلا أني قد عرفت ان إسلامك كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم » (٢٣٢) .

- ١٤ -

لقد قرن الاسلام دائماً الجهاد بالأرواح بالجهاد بالمال : (والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله ، وأولئك هم الفائزون) (٢٣٣) . (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل ، في كل سنبلة مائة حبة ، والله يضاعف لمن يشاء ، والله واسع عليم) (٢٣٤) . (وما لكم ألاّ تنفقوا في سبيل الله ، ولله ميراث السموات والارض) (٢٣٥) . (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم) (٢٣٦) . (لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضّل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة) (٢٣٧) .

بل يلاحظ في تلك الآيات الكريمة ، أن المال يقدّم على الأنفس دائماً ، مما يدل على أهمية الجهاد بالمال .

لقد أنفق المسلمون الأولون من العرب أموالهم في سبيل الله : انفق ابو بكر الصديق جميع ماله ، وكان له أربعون ألفاً أنفقها كلها على رسول الله

---

(٢٣٢) سيرة ابن هشام (٤/٢١ - ٢٢) .
(٢٣٣) الآية الكريمة من سورة الانفال (٨ : ٧٤) .
(٢٣٤) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ٢٦١) .
(٢٣٥) الآية الكريمة من سورة الحديد (٥٧ : ١٠) .
(٢٣٦) الآية الكريمة من سورة الصف (٦١ : ١١) .
(٢٣٧) الآية الكريمة من سورة النساء (٤ : ٩٥) .


وحدة العرب
في عهد النبي صلى الله عليه وسلم
حلب
إنطاكية
حماه
حمص
دمشق
عين التمر
مدائن
أهواز
قادسية
القدس
مؤتة
معان
البصرة
دومة الجندل
أيلة
تبوك
الخليج العربي
صحار
عمان
ثقيف
مكة
الطائف
الأحقاف
حضرموت
اليمن
الحديدة
البحر العربي
بلاد الحبشة

صلى الله عليه وسلم وفي سبيل الله ، وقد اعتق سبعة كانوا يعذبون في الله منهم بلال بن رباح (٢٣٨) ؛ وانفق عمر بن الخطاب نصف ماله (٢٣٩) .

وانفق عثمان بن عفان أموالاً طائلة : جهّز جيش العسرة بتسعمائة وخمسين بعيراً وأتمّ الألف بخمسين فرساً (٢٤٠) ؛ ولما قدم المهاجرون المدينة استذكروا الماء ، وكان لرجل من بني غفار عين يقال لها : (رومة) وكان يبيع منها القربة بمَدّ ، فاشتراها عثمان بخمسين وثلاثين ألف درهم وجعلها للمسلمين (٢٤١) .

وكان للزبير بن العوام ألف مملوك يؤدون اليه الخراج ، فما كان يدخل منها بيته درهم واحد : كان يتصدّق بذلك كله . وباع داراً له بستمائة ألف ، فقيل له : « يا أبا عبد الله ! غُبنت ! » ، فقال : « كلا ! والله لتعلمنّ لم أُغبن ... هي في سبيل الله » (٢٤٢) .

وباع عبد الرحمن بن عوف أرضاً من عثمان بن عفان بأربعين ألف دينار ، فقسّم ذلك المال في بني زهرة وفقراء المسلمين وأمهات المؤمنين . وتصدّق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بشطر ماله : أربعة آلاف ؛ ثم تصدّق بأربعين ألف دينار ، ثم حمل على خمسمائة فرس في سبيل الله ؛ ثم حمل على ألف وخمسمائة راحلة في سبيل الله ؛ وقد وردت له قافلة من تجارة الشام فحملها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٤٣) .

وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم سعد بن ابي وقاص عام حجة الوداع ، فقال سعد : يا رسول الله ! إني قد بلغ بي من الوجع ما ترى ، ولا يرثني

---

(٢٣٨) الرياض النضرة (١١٦/١) .
(٢٣٩) الرسول القائد (٣٢٢) الطبعة الثانية .
(٢٤٠) الرياض النضرة (١١٨/٢) .
(٢٤١) الرياض النضرة (١٢٢/٢) .
(٢٤٢) الرياض النضرة (٣٦٤/٢) .
(٢٤٣) الرياض النضرة (٣٨٥/٢) .

الا ابنة ، أفأتصدّق بكل مالي ؟ » فقال : « لا ! » ، فقال : « فالشطر يا رسول الله ! » ، قال : « لا ! » ، فقال له : « فالثلث ؟ » ، فقال : « الثلث ، والثلث كثير . إنك إن تذر ورثتك أغنياء ، خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس » (٢٤٤) .

لقد أتعب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه من يريد التأسي بهم من المسلمين ، فأين تضحياتهم – حتى بأبسط ضرورات الحياة وايثار عقيدتهم بكل جهودهم وبأموالهم وأرواحهم – من دعاوى المصلحين وأصحاب المثل العليا في القرن العشرين ؟ ... أين ...

لقد تأسى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم به في حياته : ببذله السخي وتضحياته الفذة وجهاده الرائع ، فكيف كانت أعمالهم بعد التحاقه صلوات الله وتسليمه عليه بالرفيق الاعلى ؟؟

– ١٤ –

ومات النبي صل الله عليه وسلم ، فارتد أكثر العرب إلا أهل المدينة ومكة والطائف (٢٤٥) . واستخلف أبو بكر رضي الله عنه ، فقال عمر ابن الخطاب لأبي بكر : «كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ؛ فمن قال لا إله إلا الله ، عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله ؟ » ؛ فقال أبو بكر : « والله لأقاتلن من فرّق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ؛ والله لو منعوني عقالاً كانوا يؤدونها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعها » (٢٤٦) .

---

(٢٤٤) الرياض النضرة (٢/٤٠٦) .
(٢٤٥) تاريخ أبي الفدا (١/١٥٢) وابن الاثير (٢/١٢٣) .
(٢٤٦) الرياض النضرة (١/١٢٩) .

وخرج أبو بكر بنفسه شاهراً سيفه راكباً راحلته لقتال أهل الردة ، فجاء علي بن أبي طالب وأخذ بزمام راحلته وقال : « أين يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟! أقول لك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم (أُحد) : شم [٢٤٧] سيفك لا تفجعنا بنفسك وارجع الى المدينة ؛ والله لئن أُصبنا بك لا يكون بعدك نظام أبداً » [٢٤٨] .

لقد صمد أبو بكر الصديق صموداً عجيباً أمام تيار المرتدين الجارف ، وقاوم بصبر وعناد وايمان كل فكرة لمهادنتهم ، فعَزَم الله لأبي بكر على قتالهم ، ما رضي منهم إلا بالخطة المخزية أو الحرب المجلية ، فأما الخطة المخزية فأن يقرّوا بأن من قتل منهم في النار ومن قتل من المسلمين في الجنة ؛ وأما الحرب المجلية فأن يخرجوا من ديارهم ... لقد تضرّمت الأرض ناراً بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ، وارتدت كل قبيلة عامة أو خاصة إلا قريشاً وثقيفاً [٢٤٩] ... ونجم النفاق ، واشرأبّت اليهود والنصارى ، وأصبح المسلمون كالغنم في الليلة المطيرة الشاتية [٢٥٠] ؛ فنجح أبو بكر في صموده العنيد في إعادة وحدة العرب تحت راية الاسلام ، تلك الوحدة التي جاهد الرسول القائد كل حياته من أجلها ، فكانت حياته كلها جهاداً من أجل الوحدة وتوحيداً من أجل الجهاد .

وفي معركة اليمامة ، كانت راية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة ، فقالوا : « نخشى علينا من نفسك شيئاً ! » ، فقال : « بئس حامل القرآن أنا إذاً ! » [٢٥١]

واحتدم القتال في هذه المعركة بين المسلمين من جهة وبين المرتدين من

---

(٢٤٧) شم سيفك : أي اغمده . ويقال : سله ، وهو من الأضداد .
(٢٤٨) الرياض النضرة (١/١٣٠) .
(٢٤٩) انظر ابن الاثير (٢/١٣٠) .
(٢٥٠) انظر الطبري (٢/٤٦١) .
(٢٥١) الطبري (٢/٥٠٩) .

أصحاب مسيلمة الكذاب من جهة أخرى فقال ثابت بن قيس : « بئسما عوّدتم أنفسكم يا معشر المسلمين ! اللهم إني أبرأ اليك مما يعبد هؤلاء ـ يعني أهل اليمامة ـ وأبرأ اليك مما يصنع هؤلاء ـ يعني المسلمين » ؛ ثم جالد بسيفه حتّى قتل .

وقال زيد بن الخطاب حين انكشف الناس عن رحالهم : « لا تحوز بعد الرحال » ، ثم قاتل حتى قتل .

وقام البراء بن مالك أخو أنس بن مالك ، وكان إذا حضر الحرب أخذته العُروَاء (٢٥٢) حتّى يقعد عليه الرجال وهو ينتفض تحتهم حتى يبول في سراويله ، فاذا بال يثور كما يثور الأسد ؛ فلما رأى ما صنع الناس أخذه الذي كان يأخذه حتّى قعد عليه الرجال ، فلما بال وثب وقال : « أين يا معشر المسلمين ! أنا البراء بن مالك ... هلمّ اليّ » ... وزحف المسلمون حتى ألجئوا المرتدين إلى حديقة الموت وفيها مسيلمة الكذاب ، فقال البراء : « يا معشر المسلمين ألقوني عليهم في الحديقة ! » ، فقال الناس : « لا نفعل يا براء ! » ، فقال : « والله لتطرحُنّي عليهم فيها » ، فاحتمل حتى إذا أشرف على الحديقة من الجدار ، اقتحم فقاتلهم عن باب الحديقة حتى فتحها للمسلمين (٢٥٣) .

وقال زيد بن الخطاب قبل استشهاده : « لا والله لا أتكلم اليوم حتى نهزمهم أو ألقى الله فأكلمه بحجّتي ! عَضّوا على أضراسكم أيها الناس واضربوا في عدوكم وامضوا قدماً » .

وقال ثابت بن قيس : « يا معشر المسلمين أنتم حزب الله وهم أحزاب الشيطان ، والعزة لله ولرسوله ولأحزابه ... أروني كما أريكم ! » .

وقال أبو حذيفة : « يا أهل القرآن ! زينوا القرآن بالفعال » . وحمل

---

(٢٥٢) العرواء : اعتراه أي غشيه ، اي يقع مغشياً عليه .

(٢٥٣) الطبري (٢/٥١١) .

خالد بن الوليد وقال لحماته : « لا أوتين من خلفي » حتى كان بحيال مسيلمة يطلب الفرصة ويرقب مسيلمة [٢٥٤] .

وفي معركة اليرموك ، قاتلت النساء في جولة ، فخرجت جويرة بنت أبي سفيان في جولة وكانت مع زوجها ، فقاتلت قتالاً شديداً [٢٥٥] .

وفي معركة (الجسر) بين العرب المسلمين وبين الفرس ، جعلت الفيلة لا تحمل على جماعة من المسلمين إلا دفعتهم ، فنادى أبو عبيد بن مسعود الثقفي قائد جيش المسلمين : « احتوشوا الفيلة وقطّعوا بطنها واقلبوا عنها أهلها » ؛ ثم واثب هو الفيل الأبيض وتعلّق ببطانه فقطعه ووقع الذين عليه ، ولكن الفيل أهوى لأبي عبيد فنفح مشفره بالسيف فاتقاه الفيل بيده ، فوقع أبو عبيد فخبطه الفيل وقام عليه [٢٥٦] ، فمات أبو عبيد شهيداً .

وتتابع بعد أبي عبيد سبعة من ثقيف كلهم يأخذ اللواء فيقاتل حتى يموت .. ثم أخذ المثنى بن حارثة الشيباني اللواء ، فحمى الناس ونادى : « يا أيها الناس ! أنا دونكم فاعبروا على هينتكم ولا تدهشوا ، فإنا لن نزايل حتى نراكم من ذلك الجانب ، ولا تغرقوا أنفسكم » ، فعبر الناس [٢٥٧] .

وفي معركة (القادسية) قالت امرأة من النخع لبنيها الأربعة الذين شهدوا (القادسية) : « إنكم أسلمتم فلم تبدّلوا ، وهاجرتم فلم تثربوا ، ولم تَنْبُ بكم البلاد ، ولم تقحمكم ألسنة ؛ ثم جئتم بأمكم عجوز كبيرة فوضعتموها بين يدي أهل فارس ... والله إنكم لبنو رجل واحد ، كما إنكم بنو إمرأة واحدة : ما خنت أباكم ، ولا فضحت حالكم ... إنطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره » ، فأقبلوا يشتدون [٢٥٨] .

---

(٢٥٤) الطبري (٥١٣/٢) .
(٢٥٥) الطبري (٥٩٧/٢) .
(٢٥٦) الطبري (٦٤١/٢) .
(٢٥٧) الطبري (٦٤٢/٢) .
(٢٥٨) الطبري (٥٣/٣) .

وفي هذه المعركة أيضاً ، كان أبو مِحْجَن الثقفي [٢٥٩] في السجن قد قيد وحبس في مقر سعد بن أبي وقاص ، فصعد الى سعد حين أمسى يستعفيه ، فرده سعد ، فأتى سلمى بنت خَصَفَة زوج سعد ، فقال : « يا سلمى ! يا بنت آل خصفة ! هل لك الى خير ؟! » ؛ فقالت : « وماذاك ؟! » فقال : « تخلين عني وتعيرينني البلقاء [٢٦٠] ، فلله عليّ إن سلّمني الله أن أرجع اليك حتى أضع رجلي في قيدي ! » ، فقالت : « وما أنا وذاك »! ، فرجع يرسف في قيوده ويقول :

كفى حزَناً أن تردّى الخيل بالقَنا   وأُترك مشدوداً عليّ وثاقيا
إذا قمت عناني الحديد وأُغلقت   مصاريع دوني قد تصمّ المناديا
وقد كنت ذا مال كثير وإخوة   فقد تركوني واحداً لا أخا ليا
ولله عهد لا أخيس بعهده   لئن فرجت ألاّ أزور الحوانيا [٢٦١] .

فلمت سمعت سلمى ذلك رقّت له فخلّت سبيله وأعطته الفرس ، فقاتل قتالاً عظيماً ، وكان يكبّر ويحمل فلا يقف بين يديه أحد ، وكان يقصف الناس قصفاً منكراً ؛ فعجب الناس منه وهم لا يعرفونه . ورآه سعد وهو فوق القصر ينظر الى القتال ، فقال : « لولا أن أبا محجن محبوس ، لقلت : هذا أبو محجن وهذه البلقاء تحته » ؛ فلما تراجع الناس عن القتال عاد الى القصر وأدخل رجليه في القيد ، فأعلمت سلمى سعداً خبر أبي محجن ، فأطلقه وقال : « اذهب ... لا أحدّك أبداً » ؛ فتاب أبو محجن حينئذ وقال : « كنت آنف أن أتركها ـ يريد الخمرة ـ من أجل الحد [٢٦٢] ، فوالله لا أشربها أبدا » [٢٦٣] .

---

(٢٥٩) اسمه عمرو بن حبيب بن عمرو الثقفي .
(٢٦٠) البلقاء : اسم فرس سعد بن أبي وقاص .
(٢٦١) الطبري (٥٦/٣) .
(٢٦٢) اسد الغابة (٢٩١/٥) .
(٢٦٣) الاصابة (١٧٠/٧) والاستيعاب (١٧٤٨/٤) .

وفي (القادسية) أيضاً ، تكبد المسلمون خسائر فادحة بالأرواح من جراء هجوم الفيلة عليهم ، فأرسل سعد الى المسلمين من الفرس وسألهم عن الفيلة : « هل لها مقاتل ؟ » ، فقالوا : « نعم . المشافر والعيون ، لا ينتفع بها بعدها » ، فأرسل الى القعقاع بن عمرو التميمي وأخيه عاصم بن عمرو التميمي . وقال لهما : « اكفياني الفيل الأبيض » ، وكانت الفيلة كلها آلفة له ، وكان بازائهما ؛ فأخذ القعقاع وعاصم رمحين أصمّين ليّنين ، ودبا في خيل ورجل ، فقالا : « اكتنفوه لتحيّروه » ؛ ثم وضعا رمحيهما معاً في عيني الفيل الأبيض ، فنفض الفيل رأسه وطرح سائسه ودلّى مشفره ، فنفحه القعقاع فرمى به ووقع لجنبه ، فقتلوا من كان عليه (٢٦٤) .

وحين عزم سعد بن أبي وقاص على فتح (المدائن) عاصمة كسرى ، جمع الناس فحمد الله وأثنى عليه وقال : « إن عدوكم قد اعتصم منكم بهذا البحر ، فلا تخلصون اليه معه وهم يخلصون اليكم إذا شاءوا ، فيناوشونكم في سفنهم ، وليس وراءكم شيء تخافون ان تؤتوا منه ، فقد كفاكموهم أهل الأيام ، وعطلوا ثغورهم ، وأفنوا ذادتهم ؛ وقد رأيت من الرأي أن تبادروا جهاد العدو بنياتكم قبل ان تحصركم الدنيا . ألا اني قد عزمت على قطع هذا البحر اليهم » ؛ فقالوا جميعاً : « عزم الله لنا ولك على الرشد ، فافعل » ؛ فندب سعد الناس الى العبور قائلاً : « من يبدأ ويحمي لنا الفراض (٢٦٥) حتى تتلاحق به الناس لكيلا يمنعوهم من الخروج ؟ » ، فانتدب له عاصم بن عمرو التميمي ذو البأس وانتدب بعده ستمائة من أهل النجدات ، فاستعمل عليهم عاصماً (٢٦٦) .

وسار عاصم فيهم حتى وقف على شاطىء دجلة وقال : « من ينتدب

---

(٢٦٤) الطبري (٣/٦٢) .

(٢٦٥) الفراض : جمع فرضة . والفرضة المكان الذي يحتله الجنود في الضفة الثانية من النهر لحماية عبور الجنود الآخرين الى تلك الضفة .

(٢٦٦) الطبري (٣/١١٩ - ١٢٠) .

معي لنمنع الفراض من عدوكم ولنحميكم حتى تعبروا ؟ » ، فانتدب له ستون جعلهم نصفين على خيول إناث وذكور ليكون أساس العوم الخيل ، ثم اقتحموا دجلة واقتحم بقية الستمائة على أثرهم ؛ فلما رآهم الأعاجم وما صنعوا أعدوا للخيل التي تقدّمت سعداً مثلها ، فاقتحموا عليهم دجلة وأعاموها اليهم ، فلقوا عاصماً في الخيل متقدمة وقد دنا من الفراض ، فقال عاصم : « الرماح .. الرماح ! أشرعوها وتوخّوا العيون ، فالتقوا ، فاطعنوا ... » ، فقتل المسلمون عامتهم ونجا من نجا منهم عوراناً (٢٦٧) .

ولما رأى سعد عاصماً على الفراض قد منعها ، أذن للناس في الاقتحام ، وقال : « قولوا : نستعين بالله ونتوكل عليه ... حسبنا الله ونعم الوكيل . والله لينصرن الله وليّه وليظهرنّ دينه وليهزمنّ عدوه ، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » . وتلاحق الناس في دجلة ، وإنهم يتحدثون كما يتحدّثون في البر ... ثم خرجوا منه ولم يفقدوا شيئاً ، إلا ان مالك بن عامر العنبري سقط منه قدح ، فقال : « والله ؛ إني لعلى حالة ما كان الله ليسلبني قدحي من بين العسكرين » ؛ فلما عبروا ألقته الريح الى الشاطىء ، فتناوله بعض الناس وعرفه صاحبه فأخذه (٢٦٨) .

وكان أول من دخل المدائن كتيبة الأهوال وهي كتيبة عاصم ثم الكتيبة الخرساء وهي كتيبة أخيه القعقاع بن عمرو التميمي ، فأخذوا في سككها لا يلقون فيها أحداً يخشونه . ونزل سعد القصر الأبيض ثلاثاً واتخذ إيوان كسرى مصلى دون أن يغيّر ما فيها من تماثيل ، وقرأ في صلاة الفتح حين صلى في ايوان كسرى : (كم تركوا من جنات وعيون ، وزروع ومقام كريم ، ونعمة كانوا فيها فاكهين ؛ كذلك وأورثناها قوماً آخرين) (٢٦٩)

---

(٢٦٧) الطبري (٣/١٢٠) .

(٢٦٨) ابن الاثير (٢/١٩٨) والطبري (٣/١٢٢) .

(٢٦٩) الآيات الكريمات من سورة الدخان (٤٤ : ٢٥ — ٢٨) .

وصلى فيه صلاة الفتح ثماني ركعات لا يفصل بينهن (٢٧٠).

وزحف البراء بن مالك أخو انس بن مالك في معركة فتح (تُسْتَر) (٢٧١) بين العرب وبين الفرس ، مائة زحفاً استشهد في آخرها بعد أن دعا ربه قائلاً : « اللهم اهزمهم لنا واستشهدني » (٢٧٢).

وفي معركة (نهاوند) قاتل النعمان بن مقرّن المزني قائد المسلمين حتى استشهد ، فتناول الراية أخوه نُعيم بن مقرن المزني قبل أن تقع وسجّى النعمان بثوب وكتم مصاب أخيه (٢٧٣) ، حتى لا يؤثر موته على معنويات رجاله .

وقاتل عبد الرحمن بن ربيعة الباهلي الترك في (بلنجر) (٢٧٤) حتى استشهد فأخذ الراية أخوه سلمان بن ربيعة الباهلي ، فنادى المنادي : « صبراً آل سلمان بن ربيعة » ، فقال سلمان : « أوترى جزعاً ؟! » (٢٧٥)

وأعاد الكرة سلمان على الترك في منطقة (بلنجر) أيضاً ، فاستشهد هناك (٢٧٦).

وفي (قَالِيقَلا) (٢٧٧) حشد الروم حشوداً هائلة لقتال المسلمين وعلى رأس الروم قائدهم الكبير (الموريان) ، فأجمع حبيب بن مَسْلَمَة الفهري أن يبيّت (الموريان) قائد الروم ! وسمعته امرأته يذكر ذلك ، فقالت له : « وأين موعدك ؟ » ، فقال : « سرادق موريان أو الجنة ! » ؛

---

(٢٧٠) ابن الاثير (١٩٩/٢) .

(٢٧١) تستر : أعظم مدينة بخوزستان من أرض ايران . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٣٨٦/٢) .

(٢٧٢) الطبري (١٨١/٣) .

(٢٧٣) الطبري (٢١٧/٣) .

(٢٧٤) بلنجر : مدينة ببلاد الخزر خلف مدينة الباب . انظر التفاصيل في معجم البلدان (٢٧٨/٢) .

(٢٧٥) الطبري (٢٣٨/٣) و (٣٥٠/٣) وابن الاثير (٥٠/٣) .

(٢٧٦) البلاذري ص (٢٠٦) والاستيعاب (٦٣٣/٢) .

(٢٧٧) قاليقلا : مدينة بأرمينية من نواحي خلاط . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١٧/٧) .

ثم بيّتهم وقتل من صادفه في طريقه . وأتى حبيب السرادق فوجد امرأته قد سبقته اليها (٢٧٨) .

واستعمل معاوية بن أبي سفيان على البحر حين كان على الشام أيام عثمان ابن عفان عبد الله بن قيس الحارثي حليف بني فزارة ، فغزا خمسين غزاة بين شاتية وصائفة في البحر ولم يغرق فيه أحد ولم ينكب ، وكان يدعو الله ان لا يبتليه بمصاب أحد من (جنده) ؛ وقد استشهد وحده بعد أن هجم عليه العدو فقاتلوه وقاتلهم (٢٧٩) .

وحاصر مَسْلَمة بن عبد الملك حصناً من حصون الروم ، فندب الناس الى نقب فيه فما دخله أحد ؛ فجاء رجل من عرض الجيش فدخله ففتح الله عليهم ، فنادى مسلمة : « أين صاحب النقب ؟ » ، فما جاءه أحد ! فنادى : « إني أمرت الآذن بادخاله ساعة يأتي ، فعزمت إلاّ جاء ! .. » ؛ فجاء رجل فقال : « استأذن لي على الأمير » ، فقال له : « أنت صاحب النقب ؟ » ، فقال : « أنا أخبركم عنه » ، فأذن له .

وقال الرجل للأمير : « إن صاحب النقب يأخذ عليكم ثلاثاً : ألاّ تسوّدوا اسمه في صحيفة الى الخليفة ، ولا تأمروا له بشيء ، ولا تسألوه ممن هو ! » ، فقال مسلمة : « ذلك له » ؛ فقال الرجل : « أنا هو ! » ؛ فكان مسلمة لا يصلي بعدها صلاة إلا قال : « اللهم اجعلني مع صاحب النقب » (٢٨٠)

- ١٥ -

وليس من شك ، أن العرب أيام النبي صلى الله عليه وسلم وفي أيام

---

(٢٧٨) الطبري (٣/٣٠٩) والبلاذري ص (٢٠١) واسم امرأة حبيب أم عبد الله بنت يزيد الكلبية .

(٢٧٩) الطبري (٣/٣١٧) .

(٢٨٠) انظر مقال : الحرب الاجماعية في الاسلام في مجلة ذكرى ميلاد الرسول صلى الله عليه وسلم الصادر سنة ١٩٥١ .

الفتح على عهد الشيخين : أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، لم يكونوا في مدنيتهم وحضارتهم مثل الفرس والروم ، وحتى العرب المناذرة الذين كانوا يسكنون العراق والعرب الغساسنة الذين كانوا يسكنون أرض الشام كانوا أرقى مدنية وأعرق حضارة من العرب المسلمين الذين جاءوا من الجنوب : من نجد والحجاز واليمن .

لقد كان أولئك العرب المسلمون من أهل شبه الجزيرة العربية بعيدين غاية البعد عن أبسط مظاهر الحضارة والمدنية ؛ ولكنهم انتصروا على أصحاب المدنيات العريقة والحضارات التليدة بايمانهم العميق ... إيمانهم بما جاء به الاسلام عقيدة وعملا .

ففي معركة (أُلَّيْس) (٢٨١) بين الفرس بقيادة جابان وبين العرب بقيادة خالد بن الوليد ، أعجل خالد الفرس عن طعامهم الذين كانوا قد بسطوه ، فلما انهزم الفرس وقف خالد على الطعام وقال لرجاله : « قد نفلتكموه ، فهو لكم » ، فجلس المسلمون الى الموائد يتناولون عشاءً شهياً رأى الكثيرون منهم فيه عجباً : رأوا الرقاق (٢٨٢) ولم يكونوا يعرفونه ، فجعلوا يقولون : « ما هذه الرقاع البيض ؟! » وجعل من عرفها يجيبهم مازحاً : « هل سمعتم برقيق العيش ! فهذا هو » ، لذلك سمي : الرقاق ، وكانت العرب تسميها : القِرى (٢٨٣) .

وفي معركة (القادسية) أصاب العرب المسلمون جراباً من كافور فحسبوه ملحاً لا يشكّون أنه ملح ! فلما طبخوا جعلوا يلقونه في القِدر فلا يجدون له طعماً ؛ فمر بهم احد العرب المستوطنين في العراق فقال : « يا معشر المُعربين ! لا تفسدوا طعامكم فان ملح هذه الأرض لا خير فيه ! هل لكم أن تأخذوا هذا القميص به ! » ؛ فأخذوه منه وأعطوا القميص رجلاً

(٢٨١) أليس : قرية من قرى الأنبار . انظر التفاصيل في معجم البلدان (١/٣٢٨) .
(٢٨٢) نوع رقيق من الخبز .
(٢٨٣) الطبري (٢/٥٦٢) وابن الأثير (٢/١٤٩) .

منهم ، فلما لبسه جعلوا يطيفون به ويعجبون منه (٢٨٤) ... من القميص .

أما أسلحتهم فكانت على غاية البساطة أيضاً : رماحهم من مُرّان (٢٨٥) وأسنتهم من قرون البقر ، يركبون الخيل في الحرب أعراء ، فان كان الفرس ذا سرج فسرجه رحالة من أدَم (٢٨٦) ، ولم يكن ذا ركاب ، والركاب من أجود آلات الطاعن برمحه والضارب بسيفه ، وكان فارسهم يطعن بالقَناة الصّماء بينما الجوفاء أخفّ حملاً وأشد طعنة ، وكانوا يفخرون بطول القناة ولا يعرفون الطعن بالمطارد (٢٨٧) . وانما القنا الطوال للرجّالة والقصار للفرسان ؛ وكانوا في ابتداء الفتح لا يعرفون الميمنة ولا الميسرة ولا القلب ولا الجناح ولا الساقة ولا الطليعة ولا النفيضة (٢٨٨) ولا الدرّاجة (٢٨٩) ؛ ولا يعرفون من آلات الحرب الرُتيلة (٢٩٠) ولا العَرّادة (٢٩١) ولا المجانيق ولا الدبابات ولا الخنادق ولا الحَسَك (٢٩٢) ؛ ولا يعرفون الأقبية (٢٩٣) ولا السراويلات ولا تعليق السيوف ولا الطبول ولا البنود (٢٩٤) ولا التجافيف (٢٩٥) ولا الجواشن (٢٩٦) ولا الرمي بالمنجنيقات ولا الزرق

---

(٢٨٤) الطبري (٣/١٥ - ١٦) .

(٢٨٥) المران : شجر تتخذ من فروعه رماح فيها صلابة ولدونة .

(٢٨٦) الأدم : الجلد غير المدبوغ ، وقد يطلق على المدبوغ أيضاً .

(٢٨٧) المطارد : جمع مطرد ، وهو الرمح القصير .

(٢٨٨) النفيضة : الجماعة المتقدمة التي تستطلع وجود العدو أو عدمه ، وتكون عادة من الفرسان.

(٢٨٩) الدراجة : آلة كالدبابة تعمل لحصار المدن .

(٢٩٠) الرتيلة : آلة تقذف الحصيات على العدو .

(٢٩١) العرادة : آلة حربية تشبه المنجنيق .

(٢٩٢) الحسك : خناجر تصنع من الحديد الصلب لها شعب تغرز أنصبتها في الأرض حول العسكر حتى إذا دب العدو اليه أنشبت في أرجل الخيل أو الرجالة فتمنعهم من الدنو .

(٢٩٣) الأقبية : ضرب من الثياب أخذتها العرب عن الفرس ، واحدها : قباء .

(٢٩٤) البنود : جمع بند ، العلم الكبير .

(٢٩٥) التجافيف : جمع التجفاف - بكسر التاء - آلة يغطى بها الفارس والفرس في الحرب للوقاية .

(٢٩٦) الجواشن : صدور الدروع ، وقد تطلق على الدرع كله .

بالنفط والنيران [٢٩٧] .

حقاً ، لقد كان العرب المسلمون متخلّفين بمدنيتهم متأخرين بحضارتهم ، ضعفاء بحالتهم الاقتصادية ، جهلاء بأساليب القتال المتطورة ، بعيدين عن الكمال في التسليح والتنظيم والتجهيز ، ولكنهم كانوا شجعاناً بالفطرة يحملون عقيدة سامية نذروا أنفسهم لخدمتها وإعلاء شأنها ونشرها بين الناس .

إن الأسباب التي قضت على الفرس والروم بالهزيمة امام العرب المسلمين –كائنة ما كانت– ليست هي الأسباب التي قضت للعرب المسلمين بقيام دولة وانتشار عقيدة ، لأن استحقاق أناس للزوال لا ينشىء لغيرهم حق الظهور والبقاء !

كذلك لم يكن انتصار العرب المسلمين على الفرس والروم لأنهم عرب وكفى ، ولم تكن المسألة في لبابها كفاحاً بين الأجناس والعناصر بما لها من المزايا وما فيها من العيوب ؛ فقد كان في أرض الدولتين عرب كثيرون يدينون لهما بالطاعة وينظرون اليهما نظرة الاكبار والمهابة ، وكان القادرون منهم على القتال أوفر من مقاتلة العرب المسلمين عدداً وأمضى سلاحاً وأقرب الى ساحات العراق وأرض الشام من أولئك النازحين اليها من الجزيرة العربية .

وقد كان هناك عرب كثيرون انهزموا أمام العرب المسلمين ، وهم كذلك أوفر في العدد والسلاح وأغنى بالخيل والإبل والأموال .

فهي نصرة عقيدة لا مراء ، ولكن القول بانتصار العقيدة هنا لا يغني عن كل قول [٢٩٨] .

والواقع ، أن الذين انتصروا بالعقيدة كانوا أُولي خبرة وقدرة يؤمنون بها ويعرفون كيف يتغلبون بها على أعدائها .

---

(٢٩٧) انظر البيان والتبيين للجاحظ (٣/١٣ – ١٦) .

(٢٩٨) انظر عبقرية خالد للعقاد ص (١٢٦ – ١٢٧) .

إن الاسلام عقيدة منشئة آمن بها وذاد عنها وحمل رسالتها شرقاً وغرباً حماة قادرون .

فما عبرة كل ذلك للعرب في حاضرهم ومستقبلهم ؟؟

- ١٦ -

أما العرب في حاضرهم فتفصل بين أقطار الوطن العربي الكبير سدود وحدود ، عمل الاستعمار الحديث بكل طاقاته على تثبيتها وترسيخ أقدامها ، كما عمل أذنابهم على تعميق وجودها والاستقتال في سبيل الابقاء عليها .

أما العرب أنفسهم فلا انسجام فكري بينهم ولا عقيدة واحدة تعبّر عن أهدافهم .

فلمصلحة من تبقى السدود والحدود بين البلاد العربية ، ولفائدة من تبقى الأهواء والنزعات بين العرب ؟

إنِ الوحدة العربية هدف حتمي ، يستمد مقوماته من وحدة (اللغة) التي تحمل الثقافة والفكر ، ووحدة (التاريخ) التي تصنع الوجدان والضمير ، ووحدة (الكفاح) الشعبي التي تقرّر وتوحّد المصير ، ووحدة (القيم) الروحية والانسانية النابعة من رسالات السماء ، ووحدة المفاهيم الاجتماعية والاقتصادية القائمة على الحرية والعدالة الاجتماعية (٢٩٩) .

إنّ وحدة البلاد العربية ليست مجرد أمل يراود الساسة ، بل هي حقيقة تتغلغل في طبيعة الأشياء ، إذ لا يمكن في هذا العصر الذي امتاز بتجمع الشعوب وتكتّلها ، ان تبقى أقوام عربية متجاورة ، تربطها أواصر الدين واللغة والجنس والتقاليد ووحدة المصلحة والشعور — متفرقة دون ان تتّحد . هذه الرقعة من الخليج العربي الى المحيط الأطلسي ، عاشت دهراً طويلاً

(٢٩٩) بيان تكوين الدولة العربية الاتحادية للجمهورية العربية المتحدة ص (١) طبعة بغداد .

في ظل راية واحدة : مزدهرة بحضارتها ، قوية باتحادها ، فلمصلحة من يتناثر هذا العقد النضيد ويتفرّق بددا ؟! ألمصلحة الأمة العربية وهي أمة واحدة في تفرقها الوهن وفي اتحادها القوة ؟ أم لمصلحة الحضارة العالمية ، وهذه الحضارة تحقّق كسباً عظيماً من رجوع الحضارة العربية الى سابق عزّها التليد ؟؟

والسبيل الى تحقيق الوحدة العربية ، هو إقامة هذه الوحدة على أساسات من المصالح الاقتصادية والمصالح السياسية .

أما المصالح الاقتصادية فواضحة ، فان البلاد العربية يكمل بعضها بعضاً : فيها السهل والجبل ، وفيها الأنهار والوديان ، وفيها المعادن والمناجم ، وفيها الأراضي الزراعية الخصبة ، وفيها جميع أسباب الانتاج متوفرة متكاملة .

أما المصالح السياسية فلا تقلّ وضوحاً عن المصالح الاقتصادية ، فجميع هذه البلاد تخضع لتيارات سياسية واحدة لا تستطيع التغلّب عليها إلا بالتعاون والاتحاد . إن قوتها في أن تتجمع وتجاهد متحدة في الميدان الدولي لتكون مهيبة الجانب عالية الكلمة ، وإذا جاز لإنسان عاقل منصف ، أن يتصوّر أن البلاد الايطالية كانت أقوى وهي دويلات متناثرة منها اليوم دولة واحدة أو أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكسب شيئاً من اندماجها جميعاً في وحدة قومية قوية ، جاز عندئذٍ أن يقال : إن البلاد العربية يجب ان تبقى حيث هي دون أن تتحد !!

إن وحدة البلاد العربية آتية لا ريب فيها – رضينا أم أبينا ، فهذه سنّة الحضارة البشرية ؛ ونحن لا نملك من أمر هذه الوحدة إلا أن ننظم الاتجاه اليها ، فنسيّرها ونعجل بها (٣٠٠)

ولكن كيف يجري تطبيق الوحدة العربية بشكل رصين لا يخشى عليها من الرجّات والانتكاسات ؟؟

---

(٣٠٠) من جواب الدكتور عبد الرزاق السنهوري لأحد الصحفيين .

يجب أن يشيع الانسجام الفكري في العرب أولاً وقبل كل شيء ، وذلك لأن الانسجام العقائدي يوحّد الصفوف ويجمع الشمل ويبلور الاهداف الحيوية ، فتنطلق الأمة العربية من منطلق واحد نحو اتجاه معين وهدف واضح .

فما هي العقيدة التي تشيع في العقول الانسجام وتغمر القلوب بالنور ؟؟ يقول بعض العرب : إنها العروبة فحسب ، ويقول بعض العرب : إنها الاسلام .

والحق أنه لا عروبة بدون إسلام ، ولا إسلام بدون عروبة ، فالعرب بالاسلام كل شيء ، والعرب بدون اسلام لا شيء !

ولا أعرف سبباً يبرّر تطرّف بعض العرب في عروبتهم فلا يرون الاسلام ضرورة من ضرورات الأمة العربية في حاضرها ومستقبلها .

والعربي الحق هو الذي يدعو للاسلام أولاً ، لأن في دعوته للاسلام قوة ضخمة للعرب وتقديراً لهم واسناداً لقضاياهم ، فهل يفرّط بدعم المسلمين من غير العرب مخلص للعروبة حقاً ! !...

- ١٧ -

لقد وردت إحدى وأربعون آية كريمة في سور مختلفة من سور القرآن الكريم عن العرب بالذات [٣٠١] منها : (كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)[٣٠٢] ، ومنها : (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا)[٣٠٣] ، ومنها : (فانما يسّرناه بلسانك لتبشّر به المتقين

---

(٣٠١) انظر كتاب تفصيل آيات القرآن الحكيم – جول لابوم ص (٥٦٦ – ٥٧١) .
(٣٠٢) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١١٠) .
(٣٠٣) الآية الكريمة من سورة البقرة (٢ : ١٤٣) .

وتنذر به قوماً لُدّاً) [٣٠٤] .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يكره العرب إلا منافق » [٣٠٥] كما جاء عن فضل العرب في كتب السنة أحاديث كثيرة [٣٠٦] منها : « إذا ذلّ العرب ذلّ الاسلام » [٣٠٧] ، ومنها : « حبّ العرب ايمان وبغضهم نفاق » [٣٠٨] ، ومنها : « أحب العرب لثلاث : لأني عربي ، والقرآن عربي ، وكلام أهل الجنة عربي [٣٠٩] » ، ومنها : « ألا من أحبّ العرب فبحبّي أحبّهم ومن أبغض العرب فببغضي أبغضهم [٣١٠] » .

وقال الامام ابن تيمية : « إن العرب أفضل من جنس العجم .. » [٣١١] ، وقال : « الأحاديث الواردة في فضل قريش كثيرة ، وهي تدل على فضل العرب »[٣١٢] .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « العرب مادة الاسلام » . وقبيل معركة (القادسية) ، قال عمر : « والله لأضربنّ ملوك العجم بملوك العرب » [٣١٣] .

وقال المغيرة بن شعبة الثقفي لرستم قائد الفرس : « إنا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضاً ، فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى .. »[٣١٤] .

---

(٣٠٤) الآية الكريمة من سورة مريم (١٩ : ٩٧) .
(٣٠٥) رواية الامام أحمد بن حنبل . انظر مفتاح كنوز السنة ص (٣٣٩) .
(٣٠٦) انظر الترمذي الكتاب (٤٦) الباب (٦٩) .
(٣٠٧) رواه أبو ليلى في مسنده .
(٣٠٨) رواه الدار قطني عن ابن عمر .
(٣٠٩) رواه الحاكم والطبراني والبيهقي .
(٣١٠) رواه الطبري .
(٣١١) انظر كتاب الأحاديث النبوية في فضل الامة العربية ص (١١) .
(٣١٢) انظر كتاب الأحاديث النبوية في فضل الأمة العربية ص (١١ — ١٢) .
(٣١٣) ابن الاثير (١٧٢/٢) .
(٣١٤) ابن الاثير (١٧٩/٢) .

وفي يوم (عمواس) من أيام القادسية هتف الأشعث بن قيس مشجعاً قومه : « يا معشر العرب ! إنه لا ينبغي أن يكون هؤلاء القوم أجرأ على الموت ولا أسخى أنفساً عن الدنيا ؛ تنافسوا الأزواج والأولاد ، ولا تجزعوا من القتل ، فانه أمانيّ الكرام ومنايا الشهداء (٣١٥) »

وكتب عمر بن الخطاب الى سعد بن أبي وقاص بعد فتح (المدائن) حين بعث يستأذنه في مطاردة الفرس وراء جبلهم (٣١٦) : « وددت لو أن بيننا وبين (فارس) جبلاً من نار ؛ لا يصلون الينا منه ولا نصل اليهم » (٣١٧) كما قال لأهل الكوفة : « وددت أن بينهم وبيننا جبلاً من نار : لا يصلون الينا منه ولا نصل اليهم » (٣١٨) ؛ فقد كانت سياسة عمر أن يقف بالفتح في حدود العراق والشام لا يتعداهما ، وأن يجمع العرب بذلك في وحدة تمتد من جنوب شبه الجزيرة الى شمال بادية السماوة . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرص كل الحرص على تأمين شبه الجزيرة العربية وتخومها حتى لا يعتدي الفرس والروم عليها ؛ وكانت هذه سياسة أبي بكر حين أنفذ جيش أسامة بن زيد لقتال الروم على تخوم الشام كما أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان بالعراق والشام من قبائل العرب التي نزحت من شبه الجزيرة وأقامت مملكة الحيرة ومملكة بني غسّان من يمتّون الى المسلمين بأوثق الصلة (٣١٩) .

ولم يقبل النبي صلى الله عليه وسلم الجزية من عرب شبه الجزيرة العربية وهذا خلاف الحكم على غيرهم (٣٢٠) ، وقد ضاعف عمر بن الخطاب

---

(٣١٥) الطبري (٣/٦٦) .
(٣١٦) الفاروق عمر للدكتور هيكل (٢/١) .
(٣١٧) ابن الاثير (٢/٢٠٨) والطبري (٣/١٧٦) .
(٣١٨) الطبري (٣/١٧٦) .
(٣١٩) الفاروق عمر (٢/١) .
(٣٢٠) الخراج لأبي يوسف ص (٧٠) .

رضي الله عنه الصدقة على نصارى بني تغلب — وكانوا يسكنون (الجزيرة) بإزاء الروم — وأُسقطت عنهم الجزية [٣٢١] ، فقد أراد عمر أن يأخذ منهم الجزية فانطلقوا هاربين ، فقال النعمان بن زرعة أو زرعة بن النعمان لعمر : « أنشدك الله في بني تغلب ، فانهم قوم من العرب ، نائفون من الجزية ، وهم قوم شديدة نكايتهم ، فلا يغن عدوك عليك بهم » ، فأرسل عمر في طلبهم فردّهم وأضعف عليهم الصدقة [٣٢٢] .

وحتى الفقهاء أعطوا للعرب مكانتهم ، ففي بيان ما تعتبر فيه الكفاءة في قضايا الزواج ، ذكروا أشياء منها النسب ، فقالوا : « والعرب بعضهم أكفاء لبعض : رجل برجل ؛ والموالي أكفاء بعضهم لبعض : رجل برجل لأن التفاخر والتعيير يقعان بالانساب ، ولا تكون الموالي اكفاء للعرب لفضل العرب على العجم [٣٢٣] » .

وقال السرخسي : « العرب بعضهم أكفاء لبعض ، فان فضيلة العرب بكون رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ونزول القرآن بلغتهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : حبّ العرب من الايمان . وقال لسلمان الفارسي : لا تبغضني ! قال : وكيف أبغضك وقد هداني الله بك ؟! قال : تبغض العرب فتبغضني »[٣٢٤] .

وقال الزيلعي في قول الله عز وجل : (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) [٣٢٥] وفي قول الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم : « لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى) قال : « المراد به في حكم الآخرة ، وكلامُنا في الدنيا » [٣٢٦]

(٣٢١) الخراج ص (١٤٣) .
(٣٢٢) البلاذري ص (١٨٥ — ١٨٦) .
(٣٢٣) البدائع (٣١٩/٢) طبع سنة ١٣٢٧ هـ .
(٣٢٤) السرخسي (٢٤/٥) مطبعة السعادة عام ١٣٢٤ هـ .
(٣٢٥) الآية الكريمة من سورة الحجرات (٤٩ : ١٣) .
(٣٢٦) الزيلعي (١٢٨/٢) طبعة بولاق عام ١٣١٣ هـ .

ولو أردنا أن نستقصي كل ما جاء عن العرب في أقوال أئمة المسلمين لجئنا بأقوال لا تُعَدّ ولا تُحصى .

- ١٨ -

أما الاسلام ، ففيه من عناصر القوة طاقات لا تنضب . وليست عناصر قوّة الاسلام مقصورة على جانب دون جانب ، وإنما تتناول جوانب الحياة جميعاً : في الايمان بالله إيماناً يحرّر الضمير والوجدان ، وفي الاعتصام بالحق اعتصاماً يزهق الباطل أمامه ويندحر ، وفي معرفة الضعف النفسي والتطهّر منه حتى تأخذ النفس طريقها الى العزة والسمو الروحي ، وفي العلم المقوم لشخصية الانسان والكاشف له عن حقائق الوجود المادي وما وراء هذا الوجود من عالم ما وراء الطبيعة ، وفي الثروة وتعمير الأرض واستثمار قوى الكون والانتفاع بما في الطبيعة من بركات الله وخيراته وتوزيعها على أفراد الأسرة الانسانية بالكفاية (٣٢٧) والعدل ، وفي السلام العام القائم على احترام الانسان وكفالة حقوقه ، وفي احترام العهود والحفاظ على المواثيق ، وفي التضحية النبيلة والاستشهاد في سبيل الحق ومن أجل الحياة الحرة الكريمة .

هذه هي عناصر القوة في الاسلام ، وهي ليست مثل القوة التي اصطلح الناس عليها ؛ فهي قوة في العقيدة ، وقوة في الخلق ، وقوة في العلم ، وقوة في المال ، وقوة في التماسك الاجتماعي ، وقوة في التنظيم السلمي ؛ وقوة في الاستعداد الحربي ؛ وسيادة الأمة وقيادتها منوطة بتوفر هذه القوى مجتمعة .

لقد كانت هذه القوى هي العامل الأساسي في نجاح العرب في أول دور من أدوار حياتهم بعد الاسلام ، فما كادت تجتمع لها هذه العناصر حتى آل اليهم ميراث الأرض ووضع في يدهم قياد الأمم ، ووكل اليهم

---

(٣٢٧) عناصر القوة في الاسلام — سيد سابق — ص (٣) .

إخراج الناس من عبادة الأوثان الى عبادة الله وحده ، ومن جور الحكام الى عدل الاسلام ، ومن ضيق الدنيا الى سعتها .

وباجتماع هذه العناصر أصبح العرب المسلمون لهم دولة رفيعة البنيان ، عظيمة السلطان ، ثابتة الأركان ، وتمّ لهم وعد الله الذي لا يتخلف (٣٢٨) : (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ، ليستخلفنّهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكننّ لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً) . (٣٢٩)

فهل من مصلحة بعض العرب الذين يتطرفون للعروبة — وللعروبة وحدها — أن يصرّوا على فكرتهم التي تزعم أن الاسلام ليس ضرورة من ضرورات الأمة العربية في حاضرها ومستقبلها ؟

الجواب على ذلك واضح بسيط لكل ذي عقل ووجدان ، وهو : إن هذا الاتجاه في التفكير خطأ فاحش لا يفيد منه غير المستعمرين والشعوبيين وأصحاب المبادىء الهدامة من أعداء العرب والاسلام على حد سواء .

ولست أشك مطلقاً ، أن معتنقي هذا الاتجاه من هؤلاء لا يخرجون عن كونهم إما جهلاء بمبادىء الاسلام وروحه ، حتى ولو كانوا يحملون الشهادات العالية ، ولكنهم لا يعرفون عن الاسلام شيئاً ولم يملأ نور الاسلام الصحيح فراغ أدمغتهم ، فالتجأوا الى المبادىء الوافدة شرقية أو غربية ليملؤا هذا الفراغ .

أو إنهم مغرّر بهم ، اعتنقوا آراء أعداء العرب والاسلام وهم لا يقدّرون خطرها على حاضر أمتهم ومستقبلها .

إن الذين يفهمون أن الإسلام عقيدة مادية تنطبق عليها المقاييس المادية

---

(٣٢٨) عناصر القوة في الاسلام ص (٤) .

(٣٢٩) الآية الكريمة سورة النور (٢٤ : ٥٥) .

كما تنطبق على المبادىء الوضعية ، مخطئون كل الخطأ أو مغرضون كل الغرض أو جاهلون بالاسلام كل الجهالة .

والذين يفهمون أن الاسلام عقيدة روحية لا صلة لها بالمادة ولا بالحياة ، تتصل بالرؤى والمعجزات والخوارق ، مخطئون كل الخطأ أو مغرضون كل الغرض أو جاهلون بالاسلام كل الجهالة .

إن الاسلام في صميمه عقيدة ترتكز على المادة كما ترتكز على الروح ، فهو دنيا وآخرة ، سيف وكتاب ، جسم وروح ، دولة ودين ، سياسة وتبتل ؛ إيمان بالعمل المادي من أجل الدنيا ، وإيمان بالعمل الروحي من أجل الآخرة ... إيمان بالحياة وإيمان بالغيب .

والذين يغرقون في محاولاتهم جعل الاسلام عقيدة مادية من عقائد القرن العشرين ، ينسون أن العقائد المادية للقرن التاسع عشر والقرون السابقة الأخرى ، أصبحت متخلفة في هذا القرن ؛ وأن المبادىء المادية لهذا القرن ستصبح متخلفة في القرن الواحد والعشرين والقرون التالية الأخرى ؛ فاذا زعم هؤلاء أنهم يحسنون صنعاً الى الاسلام في محاولاتهم هذه بجعلهم الاسلام عقيدة (تقدمية) ، فعليهم أن يعلموا أنهم بهذا يسيئوون اليه أبلغ الاساءة لأن محاولاتهم هذه ستجعل الاسلام عقيدة (رجعية) في القرون القادمة ... وهيهات ! ! !

والذين يغرقون في محاولاتهم جعل الاسلام عقيدة روحية ، كله خوارق ومعجزات ومغيبات يتجاهلون روح الاسلام كما ورد في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة وفي التطبيق العملي لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة أصحابه من بعده وحياة السلف الصالح بصورة عامة .

إن الاسلام كفاح لا يهدأ ، وجهاد لا ينقطع ، واستشهاد في سبيل الحق والعدل والمساواة ، فهو يبدأ في ضمير الفرد وينتهي في محيط الجماعة ؛ وهذا هو سر خلوده : مادة وروح ، يسيطر عليه روح المسجد الذي

هو محل للعبادة وثكنة للجهاد ومدرسة للعلم ...

إنه لا يقتصر على همهمة الأدعية وطقطقة المسابح وتمتمة التعاويذ ، واتكال على أن تمطر السماء على الأرض صلاحاً وخيراً وحرية وعدلاً ؛ وما كانت السماء لتمطر شيئاً من هذا كله ، وما كان الله لينصر قوماً لا ينصرون أنفسهم ولا ينفذون أوامره في الجهاد والكفاح !

إنه ما من مسلم يستشعر قلبه روح الاسلام ، يمكن أن يمد للمستعمرين يداً أو يقدم لهم عوناً أو يهادنهم يوماً او يكفّ عن حربهم خفية وجهراً ...

إنه ما من مسلم يستشعر قلبه روح الاسلام ، يمكن أن يدع الطغيان والمظالم والعسف السافر يدبّ على هذه الأرض ويُستعبد الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً (٣٣٠) .

- ١٩ -

إن الوحدة العربية ، هي الخطوة العملية الأولى للوحدة الاسلامية ، فقد وحّد الاسلام العرب تحت راية الاسلام أولاً ، ثم عمل العرب المسلمون على إقامة دولة الاسلام .

إن غاية الوحدة العربية السياسية ، هي تحقيق وحدة العرب ، ولمّ شملهم ، وتحريرهم من كل القيود الداخلية والخارجية ؛ على حين أن الوحدة الاسلامية تهدف إلى إقامة كيان عام يجمع المسلمين على اختلاف أفكارهم وأقوامهم ، وجليّ من هذا ، أن الوحدة الاسلامية أشمل وأوسع مدى من الوحدة العربية (٣٣١) ، ولكن من الواضح أيضاً أن الوحدة العربية هي الأساس الواقعي للوحدة الاسلامية .

---

(٣٣٠) انظر مقال : الاسلام ومعركة الحياة .

(٣٣١) بحوث في القومية العربية ص (٦٢) .

ولكن ، هل بالامكان أن تتحقق الوحدة العربية بدون أن يشيع بين أبناء العرب الانسجام الفكري الذي تؤمنه العقيدة الراسخة ؟؟

وهل هناك عقيدة غير الاسلام ، بامكانها أن تؤمن هذا الانسجام الفكري المتغلغل في أعماق العقول والقلوب معاً ؟؟

إن الانسجام الفكري أو بتعبير آخر ، الانسجام العقائدي ، هو الأساس لتوحيد الاتجاه الى هدف معين واضح المعالم ، والاسلام هو الذي أشاع هذا الانسجام بين العرب في الصدر الأول من تاريخهم بعد الاسلام ، فوحّد صفوفهم وجمع كلمتهم وجعل منهم قوة ضاربة حققت للاسلام دولة ذات مكانة عالمية وكيان مرموق ؛ وهو — أي الاسلام وحدهُ — يحقق لهم كل ذلك في حاضرهم ومستقبلهم .

« إن الشعب العربي الذي يعيش في المنطقة التي نزلت فيها رسالات السماء ، يؤمن برسالة الدين ، ويتخذ من القوة الروحية التي تزوّده بها الأديان ، دافعاً للنضال الشعبي لتحقيق ذاته وبلوغ أهدافه ...

« ويجب أن يثبت في تقديرنا ، أن الدين مقوّم أساسي من المقومات التي يبني عليها المجتمع العربي حياته ومستقبله جنباً الى جنب مع كل المقومات المادية الأخرى التي يحرص عليها الدين ولا يعارضها [٣٣٢] »

إن القوة الدافعة التي يعطيها الإسلام للعرب ، والنور الذي يغمر قلوب المؤمنين به منهم ، فيجعلهم يضحون بكل ثبات في سبيل مثاهم العليا ، والتعاليم السمحة [٣٣٣] التي تروّض أخلاقهم وتبدلها من حال الى حال [٣٣٤] والأسس المتينة في مبادىء الاسلام التي تقاوم الاستبداد السياسي [٣٣٥]

(٣٣٢) بيان تكوين الدولة الاتحادية ص (١١) طبعة بغداد .

(٣٣٣) انظر كتاب : التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام — محمد الغزالي . وكتاب : سماحة الاسلام ، للدكتور أحمد الحوفي .

(٣٣٤) انظر كتاب خلق المسلم — محمد الغزالي .

(٣٣٥) انظر كتاب : الاسلام والاستبداد السياسي — محمد الغزالي .

والتمييز العنصري والاستغلال والظلم ، كل ذلك يجعل هذا الدين ضرورة من ضرورات العرب في حاضرهم ومستقبلهم .

فلماذا يخشى (بعض) القوميين من هذا الدين على مسيرتهم؟ إن الاسلام يدعم العرب في بلاد العرب وفي دار الاسلام ، ويجعل من العرب قوة هائلة كما جعل منهم قوة هائلة من قبل .

إن الاسلام صخرة صلدة عاتية ، والذي يحاول تحطيمه برأسه أو بأفكاره أو بادعاءاته ، لن يفعل شيئاً أكثر من أن تبقى الصخرة صامدة ولا يتحطم غير رأسه أو أفكاره أو إدعاءاته !

ولكن لمصلحة من نحاول إبعاد الاسلام عن ميدان التنظيم العقائدي ، ولولاه لما كان للعرب مجد ولا تاريخ ..!

وأي معنى للعرب بدون إسلام ؟؟ ! !

- ٢٠ -

وبعد ، فهذا أثر الاسلام في العرب ، فهل يستطيع أن ينكر أحد من العرب وغيرهم فضله العظيم على العرب وعلى غيرهم من الناس (٣٣٦) ؟

(٣٣٦) نشرت الصحف يوم ١٩٦٣/٨/١٣ وأذاعت وكالات الأنباء يوم ١٩٦٣/٨/١٢ ما يلي : « أوصى مؤتمر المعلمين الذي اختتم أعماله في الجزائر أمس : بتنشئة الأجيال الصاعدة في الأمة العربية ، على الايمان بالقيم الروحية المستمدة من رسالات السماء ومن الثقافة العربية الأصيلة ، واتخاذها أساساً للسلوك والتعامل ؛ وتضمن المناهج الدراسية القدر المناسب من القرآن الكريم والحديث الشريف حفظاً ودراسة ، مع اعتباره مادة أساسية ؛ والاعتناء بالسلوك الديني في داخل المدرسة » . كما أوصى المؤتمر : « بالعمل على دعم الاعتزاز باللغة العربية الفصحى ، والايمان بدورها الكبير في حفظ التراث الحضاري والوجود القومي العربي ، والثقة بقدرتها على استيعاب العلوم والمعارف ؛ وكذلك العناية باللغة مربية و استقامتها على ألسنة التلاميذ . كذلك أوصى المؤتمر بالعناية بتدريس التراث الفكري العربي وقيمته الانسانية ، مع ابراز نواحي الابتكار في آراء الشخصيات العربية التي حققت هذا التراث العظيم في مختلف الميادين العملية والفكرية ، والعناية بدراسة التاريخ العربي والاسلامي وابراز فضل العرب على المدنية الانسانية وتوضيح سياسة العرب في القضايا القومية العالمية ، وإحياء الثقافة =

إن حاضر العرب ومستقبلهم يدعوهم الى الوحدة الشاملة لخيرهم خير المسلمين وخير الانسانية كلها.

ولكن وحدتهم لن تكون قوية رصينة إلا إذا ساد أفكارهم الانسجام العقائدي (٣٣٧)، وإلا فستتناقض العقائد وتصطرع، فلا يكون استقرار، ولا يكون اطمئنان.

وليس بامكان غير الاسلام أن يؤمن لهم هذا الانسجام.

إن الطريق واضحة للسالكين على هدى وبصيرة ... إنها الوحدة تحت راية الإسلام.

وصدق الله العظيم: « وكذلك انزلناه حكماً عربياً، ولئن اتبعت أهواءهم بعدما جاءك من العلم ما لك من الله من ولي ولا واق » (٣٣٨).

= العربية وبيان مكانتها وأثرها في الثقافة العالمية قديماً وحديثاً». وهذا هو الطريق السوي لاشاعة الانسجام الفكري بين العرب: عروبة واسلام.

(٣٣٧) إن التعثر الذي أصاب تنفيذ ميثاق ١٧ نيسان المعقود في القاهرة بين وفود مصر والعراق وسورية لتكوين الدولة العربية الاتحادية، سببه الأول هو عدم وجود الانسجام العقائدي بين الأطراف الثلاثة المعنية، ومن الواضح جداً أن هذا الانسجام لو كان موجوداً لما تعثر هذا الميثاق الذي أصبح أمل مائة مليون عربي من المحيط الى الخليج ... لقد أدى التناقض العقائدي الى الريبة والشك بين الأطراف المعنية، فكان هناك بينهم أزمة ثقة من أول الأمر، وكان بناء الميثاق على جرف هار.

(٣٣٨) الآية الكريمة من سورة الرعد (١٣ : ٧).

المصادر والمراجع

المصـــــادر

أ ـ القرآن وعلومه

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ تفسير ابن كثير ـ الحافظ عماد الدين أبو الفدا اسماعيل بن كثير ـ مطبعة المنار بمصر ـ ١٣٤٧ هـ .

٣ ـ تفسير البغوي ـ الأمام البغوي ـ مطبعة المنار بمصر ـ ١٣٤٧ هـ ـ مطبوع في أدنى صحائف تفسير ابن كثير .

٤ ـ تفسير الكشاف ـ الامام أبو القاسم جاد الله محمود بن عمر الزمخشري ـ المطبعة الأميرية ببولاق مصر ـ ١٣١٩ هـ ـ الطبعة الثانية .

٥ ـ تفسير البيضاوي ـ القاضي أبو سعيد عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي مطبعة ـ دار الكتب العربية الكبرى بمصر ـ ١٣٣٠ هـ .

٦ ـ تفسير المنار ـ السيد محمد رشيد رضا ـ مطبعة المنار بمصر ـ ١٣٢٥ هـ الطبعة الأولى .

٧ ـ تفسير الجلالين ـ جلال الدين محمد بن محمد المحلى وجلال الدين السيوطي ـ مطبعة الحجازي بالقاهرة ـ مطبوع على هامش القرآن الكريم .

٨ ـ في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ مطبعة دار احياء الكتب العربية .

٩ ـ التفسير الواضح ـ محمد محمود حجازي ـ مطابع دار الكتاب العربي بمصر ـ ١٩٥٨ م .

١٠ ـ فضائل القرآن ـ ابن كثير ـ مطبعة المنار بمصر ـ ١٣٤٧ هـ ـ في نهاية الجزء الثامن من تفسير ابن كثير .

١١ ـ تفصيل آيات القرآن الكريم ـ جول لابوم ـ مطبعة عيسى البابي الحلبي بمصر ـ ١٣٤٢ هـ ـ الطبعة الأولى .
١٢ ـ دليل الحيران في الكشف عن آي القرآن ـ الحاج صالح ناظم ـ المطبعة الحميدية بمصر ـ ١٣٢٢ هـ .

ب ـ الحديث وعلومه

١٣ ـ فتح الباري بشرح البخاري ـ ابن حجر العسقلاني ـ المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر ـ ١٣٠١ هـ .
١٤ ـ شرح النووي على مسلم ـ الإمام النووي ـ المطبعة الكستلية بمصر ـ ١٢٨٣ .
١٥ ـ مسند الامام أحمد بن حنبل ـ المطبعة الميمنية بمصر ـ ١٣١٣ هـ .
١٦ ـ سنن الامام ابن ماجة ـ الامام ابن ماجة ـ القاهرة ـ ١٣١٣ هـ .
١٧ ـ مفتاح كنوز السنة ـ الدكتور فنسنك ـ مطبعة مصر ـ ١٣٥٢ هـ .

جـ ـ السيرة والطبقات

١٨ ـ سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ـ أبو محمد عبد الملك بن هشام ـ مطبعة حجازي بالقاهرة ـ ١٣٥٦ هـ .
١٩ ـ عيون الأثر ـ ابن سيد الناس ـ مطبعة القدسي ومطبعة السعادة بمصر ـ ١٣٥٦ هـ .
٢٠ ـ جوامع السيرة ـ ابن حزم ـ مطبعة دار المعارف بمصر .
٢١ ـ السيرة الحلبية ـ علي بن برهان الدين الحلبي الشافعي ـ المطبعة التجارية بمصر .
٢٢ ـ طبقات ابن سعد ـ ابن سعد ـ دار بيروت ودار صادر في بيروت ـ ١٣٧٦ هـ.
٢٣ ـ الاصابة في تمييز الصحابة ـ احمد بن علي الكناني العسقلاني ـ مطبعة دار السعادة بمصر ـ ١٣٢٣ هـ .

٢٤ ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة ـ ابن الأثير ـ المطبعة الاسلامية بطهران ـ ١٣٧٧ هـ.
٢٥ ـ الاستيعاب في معرفة الأصحاب ـ ابن عبد البر ـ مطبعة نهضة مصر .
٢٦ ـ أسماء الصحابة الرواة ـ ابن حزم ـ ملحق بجوامع السيرة ـ مطبعة دار المعارف بمصر .
٢٧ ـ أصحاب الفتيا ـ ابن حزم ـ ملحق بجوامع السيرة ـ مطبعة دار المعارف بمصر .
٢٨ ـ الأعلام ـ خير الدين الزركلي ـ الطبعة الثانية .
٢٩ ـ تهذيب ابن عساكر ـ ابن عساكر ـ مطبعة روضة الشام ـ ١٣٢٩ هـ .
٣٠ ـ ذيل المذيل ـ الطبري ـ المطبعة الحسينية بمصر .
٣١ ـ صفة الصفوة ـ أبو فرج ابن الجوزي ـ حيدرآباد الدكن ـ ١٣٥٥ هـ .
٣٢ ـ حلية الأولياء ـ أبو نعيم الأصبهاني ـ طبع بمصر ـ ١٣٥١ هـ .
٣٣ ـ الرياض النضرة ـ المحب الطبري ـ مصر ـ ١٣٢٧ هـ .
٣٤ ـ تهذيب الأسماء واللغات ـ أبو زكريا النووي ـ المطبعة المنيرية بمصر .

د ـ التاريخ

٣٥ ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ـ جمال‌الدين يوسف بن تغري بردى الأتابكي ـ مطبعة دار الكتب بمصر ـ ١٣٤٨ هـ .
٣٦ ـ تاريخ عمر بن الخطاب ـ ابن الجوزي ـ مطبعة محمد صبيح بالأزهر .
٣٧ ـ المعارف ـ ابن قتيبة ـ مطبعة دار الكتب بمصر ـ ١٩٦٠ م .
٣٨ ـ تاريخ الطبري ـ الطبري ـ مطبعة الاستقامة بمصر ـ ١٣٥٧ هـ .
٣٩ ـ ابن الأثير ـ ابن الأثير ـ مطبعة ذات التحرير بمصر ـ ١٣٠٣ هـ .
٤٠ ـ مروج الذهب ـ المسعودي ـ طبع على هامش الكامل في التاريخ ـ مطبعة ذات التحرير بمصر ـ ١٣٠٣ هـ .
٤١ ـ البدء والتاريخ ـ أبو زيد البلخي ـ مطبعة باريز ـ ١٨٩٩ م .

٤٢ ــ شذرات الذهب ــ عبد الحميد بن العماد الحنبلي ــ مكتبة القدسي بمصر ــ ١٣٥٠ هـ .
٤٣ ــ فتح مصر والمغرب ــ ابن عبد الحكم ــ لجنة البيان العربي بمصر .
٤٤ ــ رياض النفوس ــ أبو بكر عبد الله المالكي ــ مكتبة النهضة بمصر ــ ١٩٥١م.
٤٥ ــ البداية والنهاية ــ عماد الدين أبو الفدا ــ مطبعة السعادة بمصر .
٤٦ ــ دول الاسلام ــ شمس الدين الذهبي ــ مطبعة حيدر آباد الدكن ــ ١٣٣٧هـ.
٤٧ ــ فتوح البلدان ــ البلاذري ــ مطبعة السعادة بمصر ــ ١٩٥٩ م .
٤٨ ــ فتوح الشام ــ الواقدي ــ مطبعة دار العهد الجديد بمصر ــ ١٣٧٤ هـ ــ الطبعة الأولى .
٤٩ ــ المختصر من أخبار البشر ــ عماد الدين أبو الفدا ــ المطبعة الحسينية بمصر ــ ١٣٢٥ هـ ــ الطبعة الأولى .
٥٠ ــ تاريخ اليعقوبي ــ أحمد بن أبي يعقوب ــ مطبعة الغري بالنجف ــ ١٣٥٨هـ.
٥١ ــ مقدمة ابن خلدون ــ ابن خلدون ــ مطبعة مصطفى محمد بمصر .
٥٢ ــ تاريخ مدينة دمشق ــ ابن عساكر ــ مطبعة المجمع العلمي بدمشق ١٣٧٣هـ.
٥٣ ــ الامامة والسياسة ــ ابن قتيبة الدينوري ــ مطبعة البابي الحلبي بمصر ــ ١٣٧٧ هـ ــ الطبعة الثانية .
٥٤ ــ تاريخ ابن خلدون ــ ابن خلدون ــ مطبعة بولاق بمصر ــ ١٢٨٤ هـ .
٥٥ ــ العبر في خبر من غبر ــ الذهبي ــ طبع الكويت ــ ١٩٦١ م .
٥٦ ــ سمط النجوم العوالي ــ العصامي المكي ــ المطبعة السلفية بمصر .

هـ ــ الجغرافية

٥٧ ــ المسالك والممالك ــ الاصطخري ــ مطابع دار القلم بالقاهرة ــ ١٣٨١ هـ .
٥٨ ــ معجم البلدان ــ ياقوت الحموي ــ مطبعة دار السعادة بمصر ــ ١٣٢٣ هـ .
٥٩ ــ آثار البلاد وأخبار العباد ــ زكريا بن محمد القزويني ــ مطبعة دار صادر ودار بيروت ــ ١٣٨٠ هـ .

٦٠ ـ زبدة كشف الممالك ـ عرس الدين خليل بن شاهين الطاهري ـ طبع باريس ـ ١٨٩٢ هـ .
٦١ ـ أطلس التاريخ الاسلامي ـ هاري هازارد ـ مطبعة مصر .

و ـ المتفرقة

٦٢ ـ الخراج ـ أبو يوسف ـ المطبعة السلفية بمصر ـ ١٣٤٦ هـ .
٦٣ ـ المحلى ـ ابن حزم ـ مطبعة النهضة بمصر ـ ١٣٤٧ هـ .
٦٤ ـ أنساب الأشراف ـ البلاذري ـ مطبعة دار المعارف بمصر .
٦٥ ـ جمهرة أنساب العرب ـ ابن حزم ـ دار المعارف بمصر ـ ١٣٨٢ هـ .
٦٦ ـ الأصنام ـ الكلبي ـ المطبعة الأميرية بالقاهرة .
٦٧ ـ الأغاني ـ أبو فرج الاصبهاني ـ طبع دار الفكر ودار مكتبة الحياة بيروت.
٦٨ ـ الكامل ـ للمبرد ـ مطبعة محمد علي صبيح بمصر .
٦٩ ـ خزانة الأدب ـ البغدادي .
٧٠ ـ الاحكام السلطانية ـ أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي الماوردي ١٣٨٠ هـ .
٧١ ـ البيان والتبيين ـ الجاحظ ـ المطبعة التجارية بمصر .
٧٢ ـ خلاصة تذهيب الكمال ـ احمد الخزرجي ـ طبع بمصر ـ ١٣٢٢ هـ .
٧٣ ـ اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أهل الجحيم ـ ابن تيمية ـ المطبعة السلفية بمصر ـ ١٣٦٩ هـ .
٧٤ ـ بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع ـ علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكافاني الحنفي ـ مطبعة الجمالية بمصر ـ ١٣٢٨ هـ .
٧٥ ـ تبيين الحقائق ـ فخرالدين عثمان بن علي الزيلعي ـ المطبعة الأميرية ببولاق مصر ـ ١٣١٣ هـ .
٧٦ ـ المبسوط ـ شمس الدين السرخسي ـ مطبعة السعادة بمصر ـ ١٣٢٤ هـ .

المــــراجع

التاريخ والسير

١ ـ الفتوحات الاسلامية ـ أحمد زيني دحلان .
٢ ـ الخلفاء الراشدون ـ عبد الوهاب النجار .
٣ ـ الصديق أبو بكر ـ محمد جسين هيكل .
٤ ـ الفاروق عمر ـ محمد حسين هيكل .
٥ ـ تاريخ عمرو بن العاص ـ حسن ابراهيم حسن .
٦ ـ زعماء الاسلام ـ حسن ابراهيم حسن
٧ ـ عثمان ـ طه حسين .
٨ ـ علي وبنوه ـ طه حسين.
٩ ـ عبقرية خالد ـ عباس محمود العقاد .
١٠ ـ تاريخ سورية ولبنان ـ فيليب حتي .
١١ ـ الدولة الاسلامية وامبراطورية الروم ـ ابراهيم العدوي .
١٢ ـ تاريخ التمدن الاسلامي ـ جرجي زيدان .
١٣ ـ ليبيا بين الماضي والحاضر ـ حسن سليمان محمود .
١٤ ـ ليبيا من الاستعمار الايطالي الى الاستقلال ـ نقولا زيادة .
١٥ ـ تاريخ الفتح العربي في ليبيا ـ الطاهر أحمد الزاوي .
١٦ ـ الرسول القائد ـ محمود شيت خطاب .
١٧ ـ الفاروق القائد ـ محمود شيت خطاب .
١٨ ـ قادة فتح العراق والجزيرة ـ محمود شيت خطاب .
١٩ ـ قادة فتح بلاد فارس ـ محمود شيت خطاب .
٢٠ ـ الروم ـ اسعد رستم .

٢١ ــ فجر الاسلام ــ أحمد أمين .
٢٢ ــ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ــ محمد حميدالله .
٢٣ ــ خريجو مدرسة محمد ــ ابراهيم الواعظ .
٢٤ ــ شهداء الاسلام في عهد النبوة ــ علي سامي النشار .
٢٥ ــ الامبراطورية الاسلامية ــ محمد حسين هيكل .
٢٦ ــ خالد بن الوليد ــ طه الهاشمي .
٢٧ ــ دائرة المعارف الاسلامية .
٢٨ ــ بلدان الخلافة الاسلامية ــ لسترنج ــ نقله الى العربية : بشير فرنسيس وكوركيس عواد .
٢٩ ــ تاريخ الموصل ــ ياسين خيرالدين العمري .

مراجع متفرقة

٣٠ ــ في منزل الوحي ــ محمد حسين هيكل .
٣١ ــ الحضارة العربية ــ ي. هل . ترجمة ابراهيم العدوي .
٣١ ــ اشتراكية الاسلام ــ مصطفى السباعي .
٣٢ ــ النزعة الاشتراكية في الاسلام ــ أنور الخطيب .
٣٣ ــ العدالة الاجتماعية في الاسلام ــ سيد قطب .
٣٤ ــ التشريع الجنائي الاسلامي ــ عبد القادر عودة .
٣٥ ــ الجزية في الاسلام ــ دانيل دينت ــ تعريب فوزي فهيم جادالله .
٣٦ ــ الخراج في الدولة الاسلامية ــ محمد ضياء الدين الريس .
٣٧ ــ السياسة الشرعية ــ ابن تيمية .
٣٨ ــ الاحكام السلطانية ــ أبو يعلى .
٣٩ ــ منهاج الاسلام في الحكم ــ محمد أسد .
٤٠ ــ الاسلام عقيدة وشريعة ــ محمود شلتوت .
٤١ ــ عناصر القوة في الاسلام ــ سيد سابق .

٤٢ ـ التعصب والتسامح بين المسيحية والاسلام ـ محمد الغزالي .
٤٣ ـ خاق المسلم ـ محمد الغزالي .
٤٤ ـ الاسلام والاستبداد السياسي ـ محمد الغزالي .
٤٥ ـ سماحة الاسلام ـ أحمد الحوفي .
٤٦ ـ نظام السلم والحرب في الاسلام ـ مصطفى السباعي .
٤٧ ـ الجندية في الدولة العباسية ـ الرئيس الركن نعمان ثابت .
٤٨ ـ قانون الحرب والحياد ـ سامي جنينة .
٤٩ ـ بيان تكوين الدولة الاتحادية .
٥٠ ـ مجلة المجمع العلمي العراقي .
٥١ ـ مجلة المجمع العلمي في دمشق .
٥٢ ـ مجلة لواء الاسلام ـ مصر .
٥٣ ـ مجلة التمدن الاسلامي ـ دمشق .
٥٤ ـ مجلة التربية الاسلامية ـ بغداد .
٥٥ ـ مجلة الرسالة ـ مصر .
٥٦ ـ مجلة الأزهر ـ مصر .
٥٧ ـ نظامات الخدمة السفرية .
٥٨ ـ إدارة الحرب .
٥٩ ـ فوج مشاة في المعركة .
٦٠ ـ الفرقة في المعركة .
٦١ ـ محاضرات كلية الأركان في العراق .
٦٢ ـ محاضرات دورة الأقدمين في العراق .
٦٣ ـ محاضرات دورة الأقدمين في إنكلترا .

المراجع الأجنبية

64. The Sprit of Islam — Sayed Amir Ali.
65. Life of Mahomet — Sir William Muire.
66. Mohammad — Margaliouth.
67. Quran and War — Maulvi - Sadr - ud - Din.
68. Encyclopedia Britannica.

تصويبات

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
١٩	١٢	المولودين	الموَلّدين
٢٢	١٣	وبأمر	وبإمْرَة
٢٣	١٠	الكفاءة	الكفاية
٣٥	١٠	المريسيع	المُرَيْسِيْع
٣٧	٤ هـ	أبو سفيان بن الحرث	أو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم
٣٧	٥ هـ	ربيعة بن الحرث	ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم
٣٨	١٦	نضوج	نضج
٤٢	١٤	بي بكر	أبي بكر
٤٥	٩ هـ	عشرين	عشرون
٤٩	٢	وسلم ذوي	وسلم من ذوي
٤٩	١١	للكفاءة	للكفاية
٤٩	١٤	كفاءته	كفايته
٦٨	٦	الجسيمة	الجسمية
٧٢	١٢	فخرحت	فخرجت
٧٣	١	فبنفسي	بنفسي
٨٥	٥	المغيرة بن عبد الملك	المغيرة بن عبد الله
٩٩	٣	سلامه	إسلامه
٩٩	٤	اعبد مناف	عبد مناف

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
١١٠	٥	بناءه	بناوُه
١٤٧	٢	أن عمر أثبت كفاءة	أن عمراً اثبت كفاية
١٤٧	١٣	أو عثمان	وعثمان
١٥٤	١٠	فسُدْ	فسُدَّ
١٥٤	١٤	بحمله	بحلمه
١٦٧	١٣ـ١٤	ضد ضد	ضد
١٧٧	١٦	مائة الفاً	مائة ألفٍ
١٨٨	٢	كأن	وكأنما
١٨٩	٨	أبي عبد الرحمن بن معاوية	أبي عبد الرحمن معاوية
١٩٠	٧	يبيح	يبوح
١٩١	١٤	منه	لـــه
٢٠٤	٤	وحواريَّ	وحواريّي
٢٠٤	١٢	ضعينة	ظعينة
٢٠٤	١٤ هـ	ضعينة	ظعينة
٢٠٦	١٣	كُنانة	كِنَانة
٢١٢	٣	اختيار	اختياره
٢١٨	٤	تميم قدم	تميم حين قدم
٢١٩	١٢	والسخط وعلى	والسخط على
٢٢٥	٧	مثك	مثل
٢٢٥	٢١	خطأه	خطئه
٢٣٢	١	قال :	قال : «
٢٣٥	٢	صبر إنسان	صبر صبرَ إنسانٍ
٢٤٥	١٥ـ١٦	حتى حتى	حتى
٢٤٥	٣ هـ	هذا المعنى	هذا المعنى هو التطبيق

الصفحة	السطر	خطأ	صواب
٢٥٦	١١	أن عمراً مد عمراً	أنّ عُمَرَ أمدّ عَمْراً
٢٥٨	١٥	لِمَ	لما
٢٥٨	٢٣	ويسألونه	ويسألوه
٢٧١	١٢	ثُم إن	ثُم
٢٧٧	١٤	يستنفذ	يستنفد
٢٧٩	١٠	لهم	له
٢٩٠	١٠	إذا جاءوكم	إذْ جاءوكم
٣٣٥	١٢	فلمت	فلما
٣٣٨	٢	مائة زحفاً	مائة زحفٍ
٣٤٥	٢	العقائدي	العقيدي
٣٤٥	١٧	وكذك	وكذلك
٣٤٨	٥	فلا يغن	فلا تعن
٣٤٨	٧	الكفاءة	الكفاية
٣٥٣	٥	العقائدي	العقيدي
٣٥٤	٩	العقائدي	العقيدي
٣٥٥	٤	العقائدي	العقيدي
٣٥٥	٤ هـ	العقائدي	العقيدي
٣٥٥	٦ هـ	العقائدي	العقيدي

الفهارس

١ – الأعلام .
٢ – الأماكن .
٣ – القبائل والملل والنحل .
٤ – الأعلام الذين وردت لهم ترجمة مختصرة في الهوامش .
٥ – القادة في هذا الكتاب .
٦ – سير القادة في كتب : قادة الفتح الإسلامي .
٧ – الخرائط .
٨ – الموضوعات .
٩ – آثار المؤلف .

الأعلام

ـ أ ـ

— ب —

— ت —

— ث —

ـ ف ـ

ـ ق ـ

ـ ك ـ

الأماكن

— خ —

— د —

— ذ —

— ر —

— ز —

— س —

— ش —

— ص —

— ط —

القبائل والملل والنحل

الأعــلام
الذين وردت لهم ترجمة مختصرة في الهوامش

التسلسل	الصفحة	الأعلام
١	١٣٤	أبو أيوب المالكي .
٢	٩٩	أبو سفيان بن حرب الأموي .
٣	١٥٥	أبو مرثد الغنوي .
٤	٢٥٣	إياس بن معاذ الأنصاري .
٥	٩٩–١٠٠	بلا ل بن رباح الحبشي.
٦	٦٠	بشير بن كعب الحميري .
٧	٢٥٣	الحيسر أنيس بن رافع الأوسي .
٨	٢٥٦	خارجة بن حذافة العدوي .
٩	٢٠١	سلمة بن سلامة بن وقش الأنصاري الأشهلي .
١٠	١٠٠	سهيل بن عمرو القرشي العامري .
١١	٦٨–٦٩	عبدالله بن عمرو بن العاص .
١٢	٨٦	عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن مناف .
١٣	١٣٤	علقمة بن حكيم الفراسي .
١٤	١٣٠	قرة بن هبيرة .
١٥	١٣٤	مسروق العكي .
١٦	٧٤	معاذ بن جبل الأنصاري .
١٧	٢٠١	المنذر بن محمد بن عقبة الأنصاري الخزرجي .
١٨	٨٩	المهاجر بن أمية القرشي المخزومي .

القادة في هذا الكتاب

سير القادة في كتب قادة الفتح الإسلامي الصادرة

التسلسل	القائد	فتوحاته	المصدر	الصفحات من	الصفحات الى
١	أبو الأعور السلمي	فاتح طبرية من فلسطين	قادة فتح الشام ومصر	١٦٩	١٧٣
٢	أبو أمامة الباهلي	فاتح العربة والداثن من فلسطين	قادة فتح الشام ومصر	١٦٤	١٦٨
٣	أبو سبرة بن أبي رهم العامري	فاتح تستر والسوس وجنديسابور	قادة فتح بلاد فارس	١٥٥	١٦٠
٤	أبو عبيدة بن الجراح الفهري	فاتح أرض الشام	قادة فتح الشام ومصر	٥٤	٨١
٥	أبو عبيد بن مسعود الثقفي	فاتح منطقة الفرات الأوسط	قادة فتح العراق والجزيرة	٢١٢	٢٢٠
٦	أبو موسى الأشعري	فاتح الأهواز والسوس وأصبهان والدينور وماسبذان وقم وقاشان	قادة فتح بلاد فارس	١٧٨	١٩١
٧	الأحنف بن قيس التميمي	فاتح قاشان وخراسان	قادة فتح بلاد فارس	٢١٧	٢٤٦
٨	أسامة بن زيد بن حارثة الكلبي	القائد الذي هاجم الأمبراطورية الرومانية وجرأ العرب على مهاجمتها	قادة فتح الشام ومصر	٣٣	٥١
٩	البراء بن عازب الأنصاري	فاتح أبهر وقزوين وجيلان وزنجان	قادة فتح بلاد فارس	١٣٠	١٣٤
١٠	بكير بن عبد الله الليثي	فاتح شمالي آذربيجان وموقان	قادة فتح بلاد فارس	٢٠٥	٢٠٨
١١	جرير بن عبد الله البجلي	فاتح خانقين وقرمسين وحلوان وهمذان	قادة فتح العراق والجزيرة	٣٢٤	٣٣٩
١٢	جزء بن معاوية التميمي	فاتح مدينة دورق بالأهواز	قادة فتح بلا د فارس	١٥٢	١٥٤
١٣	الحارث بن يزيد العامري	فاتح هيت	قادة فتح العراق والجزيرة	٣٧١	٣٧٤
١٤	حذيفة بن اليمان العبسي	فاتح ماه والدينور	قادة فتح بلاد فارس	١٠٨	١١٧
١٥	حرقوص بن زهير التميمي	فاتح سوق الأهواز	قادة فتح بلاد فارس	١٤٧	١٥١

١٦	حرملة بن مريطة التميمي	فاتح مناذر ونهرتيرى بالأهواز	قادة فتح بلاد فارس	١٣٧	١٤١
١٧	الحكم بن أبي العاص الثقفي	فاتح جزيرة بركاوان وتوج	قادة فتح بلاد فارس	٢٧٠	٢٧٢
١٨	الحكم بن عمير التغلبي	فاتح مكران	قادة فتح بلاد فارس	٢٩٣	٢٩٧
١٩	خارجة بن حذافة العدوي	فاتح الصعيد	قادة فتح الشام ومصر	٢٣٦	٢٤٠
٢٠	خالد بن عرفطة العذري	نائب سعد بن أبي وقاص في القادسية وفاتح مدينة ساباط	قادة فتح العراق والجزيرة	٢٧١	٢٧٥
٢١	خالد بن الوليد المخزومي	سيف الله وقائد معركة اليرموك	قادة فتح العراق والجزيرة	٤٧	٢١١
٢٢	ربعي بن الأفكل العنزي	فاتح الموصل	قادة فتح العراق والجزيرة	٣٥٠	٣٥٤
٢٣	الربيع بن زياد الحارثي	فاتح بيروذ ومناذر من الأهواز	قادة فتح بلاد فارس	١٦٤	١٧٢
٢٤	الزبير بن العوام الأسدي	فاتح حصن بابليون بمصر	قادة فتح الشام ومصر	١٩٧	٢٢٨
٢٥	زر بن عبد الله الفقيمي	فاتح جنديسابور	قادة فتح بلاد فارس	١٦١	١٦٣
٢٦	زهرة بن الحوية التميمي	فاتح ما بين القادسية والمدائن	قادة فتح العراق والجزيرة	٢٧٦	٢٨٨
٢٧	السائب بن الأقرع الثقفي	فاتح مهرجان قذق والصيمرة	قادة فتح بلاد فارس	١١٨	١٢٢
٢٨	سارية بن زنيم الكناني	فاتح فسا ودارابجرد	قادة فتح بلاد فارس	٢٧٣	٢٧٦
٢٩	سراقة ذو النور بن عمرو	فاتح باب الأبواب	قادة فتح بلاد فارس	٢٠٩	٢١٣
٣٠	سعد بن أبي وقاص الزهري	فاتح العراق والجزيرة	قادة فتح العراق والجزيرة	٢٢١	٢٦٨
٣١	سفيان بن مجيب الأزدي	فاتح طرابلس	قادة فتح الشام ومصر	١٠٨	١١٠
٣٢	سلمة بن قيس الأشجعي	فاتح جبال الأكراد في الأهواز	قادة فتح بلاد فارس	١٧٣	١٧٧
٣٣	سلمى بن القين التميمي	فاتح مناذر ونهر تيرى	قادة فتح بلاد فارس	١٤٢	١٤٦
٣٤	سهيل بن عدي الخزرجي	فاتح الرقة والرها وولاية كرمان	قادة فتح العراق والجزيرة	٤٣٦	٤٤١
٣٥	سويد بن مقرن المزني	فاتح قومس وبسطام وجرجان وجبل جيلان	قادة فتح بلاد فارس	١٩٥	٢٠١
٣٦	شرحبيل بن حسنة الكندي	فاتح الأردن	قادة فتح الشام ومصر	١١٣	١١٩

التسلسل	القائد	فتوحاته	المصدر	الصفحات من	الى
٣٧	ضرار بن الخطاب الفهري	فاتح ماسبذان	قادة فتح بلاد فارس	٨٩	٩٥
٣٨	عاصم بن عمرو التميمي	فاتح سجستان	قادة فتح بلاد فارس	٢٧٩	٢٨٩
٣٩	عبادة بن الصامت الخزرجي	فاتح مدينة انطرسوس والاسكندرية	قادة فتح الشام ومصر	٢٥٣	٢٦٣
٤٠	عبدالله بن حذافة السهمي	فاتح عين شمس بمصر	قادة فتح الشام ومصر	٢٢٩	٢٣٥
٤١	عبدالله بن عبدالله بن عتبان	فاتح نصيبين والرها وأصبهان	قادة فتح العراق والجزيرة	٤٤٢	٤٤٨
٤٢	عبدالله بن المعتّم العبسي	فاتح محور دجلة من المدائن حتى الموصل شمالا	قادة فتح العراق والجزيرة	٣٤٣	٣٤٩
٤٣	عتبة بن غزوان المازني	فاتح جنوب العراق والأهواز	قادة فتح العراق والجزيرة	٣٧٧	٣٨٦
٤٤	عتبة بن فرقد السلمي	فاتح شمال العراق وأذربيجان	قادة فتح العراق والجزيرة	٤١٥	٤٢٢
٤٥	عثمان بن أبي العاص الثقفي	فاتح إرمينية الرابعة وجزيرة بركاوان وبلاد فارس وأول من هاجم السند	قادة فتح بلاد فارس	٢٦٢	٢٦٩
٤٦	عرفجة بن هرثمة البارقي	أول قائد ركب البحر وأول من اختط الموصل وأسكنها العرب ومصرها	قادة فتح العراق والجزيرة	٣٥٥	٣٦٢
٤٧	عقبة بن عامر الجهني	فاتح أسفل أرض مصر	قادة فتح الشام ومصر	٢٤٩	٢٥٢
٤٨	عكرمة بن أبي جهل المخزومي	القائد الشهيد	قادة فتح الشام ومصر	٨٥	٩٥
٤٩	العلاء بن الحضرمي	فاتح البحرين وجزيرة دارين وأول من هاجم فارس	قادة فتح بلاد فارس	٢٤٩	٢٥٤
٥٠	عمر بن الخطاب	فاتح العراق وفارس والشام ومصر وليبيا	قادة فتح بلاد فارس	٢٩٩	٣٣٩
٥١	عمر بن مالك الزهري	فاتح محور الفرات من الرمادي حتى ملتقى الخابور بالفرات	قادة فتح العراق والجزيرة	٣٦٥	٣٧٠
٥٢	عمرو بن العاص السهمي	فاتح فلسطين ومصر وليبيا	قادة فتح الشام ومصر	١٢٣	١٦٣

٥٣	عمير بن سعد الأوسي الأنصاري	فاتح مدينة رأس عين في الجزيرة	قـادة فتح العراق والجزيرة	٤٦٩	٤٧٥
٥٤	عمير بن وهب الجمحي	فاتح تنيس ودمياط وتونة ودميرة وشطا ودقهلة وبنا وبوصير	قـادة فتح الشام ومصر	٢٤١	٢٤٨
٥٥	عياض بن غنم الفهري	فـاتح الجزيرة	قـادة فتح العراق والجزيرة	٤٢٥	٤٣٥
٥٦	القعقاع بن عمرو التميمي	فـاتح خانقين وحلوان وهمذان	قـادة فتح العراق والجزيرة	٣٠١	٣٢٣
٥٧	المثنى بن حارثة الشيباني	القائد الذي جرأ العرب على مهاجمة الامبراطورية الفارسية ومهد لفتح العراق	قـادة فتح العراق والجزيرة	٢٥	٤٤
٥٨	مجاشع بن مسعود السلمي	فاتح لواء أردشير خره وسابور	قـادة فتح بلاد فارس	٢٥٥	٢٦١
٥٩	معاوية بن أبي سفيان الأموي	فاتح عرقة وقيسارية وعسقلان وقبرس	قـادة فتح الشام ومصر	١٧٤	١٩٤
٦٠	المغيرة بن شعبة الثقفي	فاتح ميسان ودستميسان وأبزقباذ	قـادة فتح العراق والجزيرة	٣٨٧	٤١١
٦١	النعمان بن مقرن المزني	فاتح رام هرمز وشهيد معركة فتح الفتوح	قـادة فتح بلاد فارس	٩٧	١٠٧
٦٢	نعيم بن مقرن المزني	فاتح منطقتي همذان والري	قـادة فتح بلاد فارس	١٢٣	١٢٩
٦٣	هاشم بن عتبة بن أبي وقاص الزهري	فاتح محور ديالي من المدائن الى جلولاء	قادة فتح العراق والجزيرة	٢٩١	٣٠٠
٦٤	الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي	فـاتح منطقة عرب الجزيرة وفاتح أذربيجان	قـادة فتح العراق والجزيرة	٤٤٩	٤٦٨
٦٥	يزيد بن ابي سفيان الأموي	فاتح لبنـان الأشم	قـادة فتح الشام ومصر	٩٩	١٠٧

الخرائط

الموضوعات

الصفحة

الصفحة

المصادر والمراجع

طبع هذا الكتاب في
مطابع دار الكتب
بيروت ـ تلفون : ٢٢٨٨٣٦

آثار المؤلف

الكتب العسكرية :

١ – القضايا الأدارية في الميدان – مطبعة الجيش العراقي – بغداد – ١٩٥٢

٢ – التدريب الفردي ليلا – مطبعة شفيق – بغداد – ١٩٥٤

كتب التاريخ الاسلامي الصادرة :

٣ – الرسول القائد الطبعة الأولى – بغداد – ١٩٥٨

الطبعة الثانية – بيروت – ١٩٦٢

الطبعة الثالثة – دار القلم – القاهرة – ١٩٦٤

٤ – قادة فتح العراق والجزيرة – دار القلم – القاهرة – ١٩٦٤

٥ – المهلب بن أبي صفرة الأزدي – مطبعة العاني – بغداد – ١٩٦٤

٦ – الفاروق القائد – الطبعة الأولى – مطبعة العاني – بغداد – ١٩٦٥

الطبعة الثانية – دار مكتبة الحياة – بيروت – ١٩٦٦

٧ – الأحنف بن قيس التميمي – مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد – ١٩٦٥

٨ – قتيبة بن مسلم الباهلي – مطبعة المجمع العلمي العراقي – بغداد – ١٩٦٥

٩ – عقبة بن نافع الفهري – مطبعة العاني – بغداد – ١٩٦٥

١٠ – أبو موسى الأشعري – مطبعة العاني – بغداد – ١٩٦٥

١١ – أبو عبيدة بن الجراح – مجلة المجمع العلمي العربي – دمشق – ١٩٦٥

١٢ – قادة فتح بلاد فارس – دار الفتح – بيروت – ١٩٦٥

١٣ – قادة فتح الشام ومصر – دار الفتح – بيروت – ١٩٦٥

١٤ – مقالات وبحوث في :

أ . مجلة المجمع العلمي العراقي

ب . مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق

ج . مجلة الرسالة المصرية

د . المجلات العسكرية العراقية

ه . مجلة « المسلمون » .

و . مجلة الحج في الحجاز

ز . مجلة التمدن الاسلامي في دمشق

ح . مجلة الوعي الاسلامي في الكويت

ط . مجلة التربية الإسلامية في بغداد

ي . مجلة الوعي في كراتشي - الباكستان .

كتب تاريخ الحرب :

١٥ - المشير فون رونشتد (اسرار الحرب العالمية الثانية) - ترجمة - الطبعة الأولى بغداد ١٩٦٠
الطبعة الثانية - دار مكتبة الحياة - بيروت ١٩٦٥

كتب التاريخ الاسلامي التي ستصدر قريباً :

١٦ - قادة فتح المغرب العربي (ليبيا - تونس - الجزائر - المغرب) .

١٧ - قادة فتح المشرق الإسلامي (من الصين شرقاً الى سيبيريا شمالا الى المحيط جنوباً)

١٨ - قادة فتح الأندلس والبحار .

١٩ - قادة فتح أوروبة .

٢٠ - الصديق القائد .

٢١ - الإمام القائد .

٢٢ - القادة الراشدون .

٢٣ - الفتح الاسلامي .

٢٤ - الحرب والسلام في الاسلام .

٢٥ - قادة النبي .

٢٦ - سفراء النبي .

٢٧ - شهداء الاسلام في عهد النبي .

٢٨ - شهداء الفتح الإسلامي .

٢٩ - كرامة العلماء .

كتب لغوية تصدر تباعاً :

٣٠ - المصطلحات العسكرية في الأدب الجاهلي .

٣١ - المصطلحات العسكرية في القرآن الكريم .

٣٢ - المصطلحات العسكرية في الحديث الشريف .

٣٣ - المصطلحات العسكرية في مصادر التاريخ الاسلامي .

٣٤ - المصطلحات العسكرية في الأدب العربي بعد الاسلام .

٣٥ - المصطلحات الحضارية في القرآن الكريم .

كتب الدعوة التي تصدر تباعاً :

٣٦ - عدالة السماء .

٣٧ - من نور الاسلام .

٣٨ - طريق النصر في معركة الثأر .

دار الفتح

للطباعة والنشر

بيروت — ص ب ٤٢٩٥

بناية العازارية أ — ٤ جديد

الطابق الرابع رقم ٣

تليفون : ٢٥٣٠٩٧

عنوان المؤلف

اللواء الركن محمود شيت خطاب

الأعظمية — بغداد